طريق الهجرة النبوية

عبد القدوس الأنصاري

[الطبعة الأولى]
١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م

طبعت بمطـابع الروضـة
بجدة ـ تليفون : ٢٧٩٢١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ

عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

بين يدي الكتاب

موضوع هذا الكتاب الذى هو : « طريق الهجرة النبوية الى المدينـة المنورة » هو موضوع عريق وشـائق ، وعويص خليق بالدراسـة والاستجلاء والتحليل والتبيان لما له من أثر بالغ في رفعة شأن الاسلام والمسلمين .

وقد أسهم في الاشـادة به « القرآن المجيد » والحديث النبويّ الشريف .. وناهيك بأن أول صحابيّ جليل تحدث عنه حـديث العيان والممارسة كان أبا بكر الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه الأثير في رحلة هذه الهجرة الخالدة الرائدة .

وقد أقبل العلماء والباحثون الى طَـرَق هذا البحث من جوانبه قديماً وحـديثاً .. ومع ذلك لم يُهيَّأ لى أن أطلع فيما اطلعت عليه من الكتب ، على كتـاب مستقل خصصه مؤلفه لهـذا البحث الجليل الأصيل الحَفيل . ولذلك رأيتُ أن أُدلي بدلوي فيه . بتأليف هذا الكتاب الذي أرجو أن سيكون « أحد المراجع التراثية الحديثة المعتمدة » عن : « طريق الهجرة النبوية » ان شاء الله ؟

المقدمة

الحمد لله مستحق الحمد والثناء ، وأفضل الصلاة والسلام على سيد الأنبياء ، محمد المهاجر من مكة الى المدينة بوحي من رب الأرض والسماء ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فهذا كتاب ألّفتُه عن : « طريق هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة » . وأرجو أن يكون قد أدى مهمته الاسلامية التراثية على خير ما يرام ان شاء الله .

ومن قبل الشروع في الموضوع جعلت نصب عيني دراسة المراجع المعتمدة مما تمكنتُ من جمعه ، ومما تمكنتُ من مراجعته . وكنت كما يبدو لي ، لا بد واجداً كتاباً أو كتيباً خصصه مؤلفه القديم أو الحديث باجالة قلمه في هذا البحث النيّر ، فصرتُ أتتبع المصادر ، وأباحث بعض من لهم المام طيب بمصادر تاريخ تراثنا لعلي واجد" لديهم ضالتي ، مما يشفي غلتي ، ويكون لى منار هداية في هذا الطريق المتعدد المداخل والمخارج ، فما اهتديتُ لما كنت طلبته ، وكان قد قدم من مصر 'كتبي متضلع بمخطوطات الكتب ومطبوعاتها ، وله ولأبيه من قبله جولات" صادقة متتابعة قديمة وحديثة في البحث ، عن نفائس المخطوطات ، ليحولها الى مطبوعات تزود بها 'قرّاءها مكتبته التجارية : « مكتبة الخانجي » بشارع عبد العزيز بمصر ، وقد تقابلنا مصادفة في مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وصادف أن خروجنا من مبانيها الجديدة كان في ظرف واحد ، وكان بيننا تعارف وصلة من قبل فطرحت عليه سؤالا هو : هل مرّ بك يا أستاذ ؟ اسم كتاب مستقل عن طريق هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! سواء أكان مخطوطاً أم مطبوعاً ؟ فأجاب بعد اجالة فكره هنيهة : نعم هناك كتاب طبعه محمد منير الدمشقي ، لابن القيم ، واسمه : (طريق الهجرتين) وهو في الموضوع الذى تسأل عنه .. وأذكر أني قد كنت اطلعت على هذا الكتاب في المدينة المنورة .. فأردت التحقق مما أبداه لى .. فذهبت الى مكتبة الحرم بمكة المكرمة وطلبت من أمين المكتبة المذكورة عبد الله المعلمي أن يأتيني بالكتاب ، وسرعان ما أتاني به . وراجعته فاذا هو في موضوع اسلامي هو الهجرة بالقلب الى الله تعالى ورسوله في خلوص النية وصدق العمل ، واطاعة الله واطاعة رسوله ، وحتى الآن لم أعثر على كتاب استقل ببحث طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يزال في الجوانح أمل في أن أعثر عليه اذا كان قد 'ألف .. فعلماء الاسلام لم يتركوا باباً من أبواب المعرفة الا طرقوه ..

● ● ●

هذا وقد كان الباعث الذي حملني على طروق هذا الموضوع بادىء ذي بدء يتمثل في أن وكيل جامعة الملك عبد العزيز بِجُدّةَ قد طَلَبَ مني أن أقدم للجامعة بحثاً تعريفياً لمعالم طريق الهجرة النبوية شافهني بذلك الدكتور عبد الله نصيف وكيل الجامعة ، ثم تحدث لى عنه سامي عنقاوي مدير مركز الحج للأبحاث في الجامعة باشارة من سعادة وكيل الجامعة ، وقد شعرت وقتئذ بثقل عبء هذه المهمة ، لما تقتضيه ـ مقدماً ـ من دراسة دقيقة واسعة واعية ، وتحقيق 'موَسَّع 'متأن ، لكثير من نصوص المصادر والمراجع المؤلفة في تفسير القرآن المجيد ، وفي الحديث النبويّ الشريف ، وفي السيرة النبوية العطرة ، وفي كتب اللغة ، والبلدانيات ، وفي التاريخ ، وفي الأدب : نثره وشعره ، لما لهذه المصادر كلها من علاقة وطيدة بطريق الهجرة النبوية .

وكان يبدو لي من تتبعي لمراحل هذه الهجرة الكريمة أنّ معالمها ومراحلها لم 'تهَيّأ لها دراسة علمية شافية ، تميط اللثام عن سائر مواقعها ومنازلها وخطوطها الخاصة والعامة . وأكثر ما قرأته عنها في كتب السيرة النبوية والتاريخ وفي البلدانيات وكتب اللغة ، مجرد سرد لأسماء منازلها وثناياها وجبالها وأوديتها وأنجادها وأغوارها ، ومنعطفاتها وحزونها وسهولها .. وقلت في نفسي : لعل سبب ذلك يعود الى أن الصحابة الذين رافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته هذه كانوا اثنين فقط .. هما : صاحبه الأثير : أبو بكر الصِّدّيق' ، ومولاه عامر' بن فُهَيْرَةَ ، ومعهم دليل الطريق ، الذي كان على دين قومه الجاهليّ : عبد الله بن أرقط أو 'أريقط .. وقد روت هذه القلة للصحابة أهمّ ما مروا به في هذه الطريق غير العامة ، والتى سلكها بهم الدليل الخبير الأمين ، حتى يبعدهم عن مواقع أنظار قريش وعن أرصادها في هذه المسيرة المحفوفة بالمخاطر ، والتى اذا نجحت فانها تقلب موازين حياة أعداء صاحبها الرسول الكريم .. وتنشر أضواء دينه الجديد على ربوع مكة ثم على بلاد العرب جمعاء ، ثم على آفاق العالم الرحبة فيما بعد ، بتوفيق الله الواحد القدير .

●—●—●

وكانت « الجامعة » عَجلَى في طلبها مني أن أكتب بحثاً موجزاً مركزاً عن معالم الطريق ، وذلك لأنها كانت قد أزمعت حينئذ أن توفد بَعثَة علمية من رجالها في صبيحة اليوم التالى ، 'تحَلّق بطائرة حوّامَة 'معدّة لهذا الهدف فوق الاتجاهات المقدرة لهذه الطريق 'قُدُماً صوب المدينة ، لِتُصَوِّرها من عَلٍ' ، على مدى عرض قدره عشرة كيلومترات ، من مبدئه الى منتهاه .. أو من منبعه الى مصبه كما يقولون .

●—●—●

هذا وقد استبان لى من المراجعة والتأمل أن أقدم 'كتّاب السيرة النبوية ، أو لعله من أقدمهم زمناً ، في العناية بمواقع طريق الهجرة هو ابن اسحق في نطاق سيرته التى هذبها ابن هشام ورتبها ودعمها ونقدها وحسنها وزاد فيها .. ولكن سيرة ابن اسحق

هذه المطبوعة أخيراً بالمغرب العربي ظهرت خالية من ذكر أيّ شيء عن الهجرة النبوية اللهم الاّ في موضع واحد ذكرتها فيه ذكراً عابراً مجردا من الناصب والجازم ، وذلك في قولها :

« حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال : أو عكرمة شك محمد بن أبي محمد ، عن ابن عباس قال : 'صرِفَت القِبلَة' عن الشام الى الكعبة في رجب ، على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

وقبل ذلك ورد في سيرة ابن اسحق ذكر لهجرة أبي بكر قبل هجرته مع المصطفى عليه الصلاة والسلام .. ولعلاقة صاحب هذه الهجرة التي لم تتم ـ بهجرة الرسول الى المدينة فقد كان صاحبه الأول فيها رأينا أن نورد ما ورد منها في مطبوعة سيرة ابن اسحق .. استكمالا لحلقات البحث من هذه الناحية .

قال محمد بن اسحق : « حدثني الزهريُّ عن عروة ، عن عائشة قالت : كان لأبي بكر مسجد بِفِنَاء داره(٢) ، فكان اذا صلى فيه ، وقرأ القرآن بكى بكاء كثيراً فيجتمع اليه النساء والصبيان والعبيد ، يعجبون مما يرون من رِقَّتِه . وقد كان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة حين 'أوذُوا بمكة ، فأَذِنَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى كان من مكة على يومين ، فلقيه ابنُ الدغنة ، رجل من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكان سيد الأحابيش ، فقال له : أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذاني قومي ، وأخرجوني منْ بلادي ، فأود أن أؤُمَّ بلدة(٣) أستريح من أذاهم وآمن منهم ، فقال : ولم ؟ فوالله انك لتزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدم . ارجع ، فأنت في جواري .. فرجع ، فلما دخل مكة قام ابن الدغنة يصرخ بمكة : يا معشر قريش ، اني لقد أَجَرتُ ابن أبي قحافة فلا يؤذيه أحد . وكانوا اذا عقدوا فَبَخٌ(٤) وكَفَّ عنه هذا الحيُّ من قريش . وكان اذا صلى في مصلاه ذلك

(١) سيرة ابن اسحق تحقيق وتعليق الدكتور محمد حميد الله وتقديم الأستاذ محمد الفاسي ط. مطبعة محمد الخامس ، فاس ، المغرب سنة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ، الصفحة ٢٧٩ .

(٢) وصف ابن جبير الرحالة دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومسجده على ما شاهدهما في عام ٥٧٩ هـ (ص٨٨ من رحلته طبع دار السعادة بمصر) فقال :

« ومن مشاهدها ـ أي مشاهد مكة ـ دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهي اليوم دارسة الأثر ، ويقابلها جدار فيه حجر .. الخ » . وفي مكان آخر قال في وصف المسجد والدار أيضاً :

« وبجهة المسفل ـ أي المسفلة ـ وهو آخر البلد ، مسجد منسوب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يحف به بستان حسن ، فيه النخيل والرمان وشجر العناب وعاينا فيه شجر الحناء ، وأمام المسجد بيت صغير فيه محراب .. الخ » . (صفحة ٨٨ و ٨٩ من نفس الطبعة السابق ذكرها) .

(٣) هنا فراغ في الطبعة : علق عليه محقق الكتاب بقوله في الهامش : لعله آمنة أو مطمئنة ص٢١٨ . وفي صحيح البخاري أن هجرته هذه كانت الى الحبشة وانه استمر في هجرته حتى بلغ برك الغماد فلقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فاعاده معه الى مكة : (باب الهجرة) في صحيح البخاري .

(٤) علق على هذا اللفظ محقق الكتاب في الهامش فقال : كذا في الأصل مشكلة بفتح الفاء والباء لأنه يريد اذا عقد الأجاليش ـ الأحابيش ـ وهم حلفاء أهل مكة عقد جوار لأحد رضي به أهل مكة وسكن جاشهم ص٢١٩ .

بمكة ، كان من أمره ما وصفت ، فمشى اليه رجال من قريش ، فقالوا : يا ابن الدغنة : ان هذا الرجل الذي أَجرتَ رجل له حال ما هو لغيره ، انه اذا تلا ما جاء به محمد ، بكى بكاء لا يبكيه أحد ، فـيرقّ لذلك منه ضعفاؤنا ونسـاؤنا وخَدَمُنا . فمره فليكُفّ عنا ، يتخذ مصلى غير هذا وفي بيته ، فمشى اليه ابن الدغنة فقال : يا أبا بكر ، اني لم أجرك لتؤذي قومك ، فاتخذ مُصَلى غير هذا . فقال أبو بكر : أو غير ذلك ؟ فقـال : ما هو ؟ قال : أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله . فقال : نعم ، فقال أبو بكر : فقد رددتُ عليكِ جوارك . فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش ، ان أبا بكر قد رد عليّ جواري ، فشأنكم بصاحبكم(٥) .

●—●—●

وأخيراً عندما لم أجد في سيرة ابن اسحق المطبوعة بالمغرب طبعة مصححة أنيقة ، شيئاً ما عن الهجـرة ، ولا عن طريقهـا تـأمّلتُهـا ملياً ، فأدركت بعـد مطالعتها أن هنـاك « خرماً » في المطبوعة ، لم يُعثر عليه ، شَمَلَ الحديث عن طريق الهجرة وما بعدها من أحداث حتى غزوة بدر . وقد بدأ الخرم المشار اليه عقب حديث التقاء الرسول صلى الله عليه وسلم باخوانه الأنبياء في القُـدس ليـلة الاسراء .. وكان ذلك الحديث بالصفحة ٢٧٤ . واستمر الخرم الى ما قبل الصفحة ٢٨٦ .. فصح أن الجزء المخروم من الكتاب وقع فيما بين الصفحتين المذكورتين آنفاً من كتاب سيرة ابن اسحق .. والسبب في وجود هـذا الخرم الكبير ليس اهمالا أو سهواً أو قصوراً من كلا محقق الكتاب الدكتور العلامة محمد حميد الله ، والمُقَـدم له العلامة الشيخ محمد الفاسي ، وانما سببه هو عدم العثور على هذا الجزء الكبير المفقود من الـكتاب لا بالمغرب ولا بالمـكتبة الظاهرية بدمشق .. وقـد تـوَصّلتُ الى هذه النتيجة ، أولا : من متابعة موضوعات الكتاب ، وثانيـاً : من فحوى ما ورد في الصفحة ٢٨٠ ونَصّها : « انتهت القطعة الثانية من كتاب المغازي لابن اسحق ، وبه تم كل ما عُثر عليه في المغرب » .. مضافاً اليه ما ورد في الصفحة المقابلة للصفحة المتقدم ذكرها ، ونصه : « القطعة الثانية من كتـاب المغـازي .. وهي في مجموعة من مخطوطات الظاهرية بدمشق من الورقة ١٥٨/ألف ، الى ١٧٤/ب . وليست من رواية يونس بن بكير كالقطعة المغربية بل رواية محمد بن سلمة . وثالثاً : من متابعة نصوص كتاب سيرة ابن هشام التى رواها عن ابن اسحق فيما يتعلق بالأحداث المخرومة من سيرة ابن اسـحق المطبوعة ، وابن هشـام ثقـة ثبت بروايته في كتابه لتلك الأحـداث (التي من ضمنها حـديث الهجرة وطريق الهجرة) عن ابن اسـحق ، ونحن نراه ينص في كل موضوع رواه عن ابن اسحق ، بروايته له عنه .. وأما ما كان من حديث أو خبر صادر عن ابن هشام نفسه فانه يقول في مستهله : (قال ابن هشام) . (راجع سيرة ابن هشام طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر) .

---

(٥) سيرة ابن اسـحق ص٢١٨ و٢١٩ طبعة فاس ـ المغرب . وفي صحيح البخاري أن أبا بكر ابتنى مسجداً بفناء داره . (باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم) .. ولعل هذا المسجد هو الموجود اليوم في المسفلة بمكة المكرمة حتى الآن . ونرجح ذلك ترجيحا قوياً .

وكم كان من المفيد أن ينبه المحقق والمقدم لطبعة سيرة ابن اسحق هذه عن وجود هذا الخرم بصراحة ، ثم يملأ أحدهما الفراغ نقلا من كتاب سيرة ابن هشام فيما يتعلق بالموضوعات الساقطة من سيرة ابن اسحق ، لأن ابن هشام ـ كما قدمنا ـ ثقة مأمون فيما يرويه نصاً عن ابن اسحق في سيرته .. وبذلك يزول الالتباس ، ويتضمن كتاب سيرة ابن اسحق ، النصوص ذات الأهمية البالغة ، ومنها النصوص التي نقصت في مطبوعته هذه القيمة المحققة .

●—●—●

هذا وبعد مراجعتي لما لدي من مصادر هذا البحث العويص الذي هو تبيانُ معالِم طريق الهجرة النبوية كُنتُ كَتَبتُ ما تسنَّي لي كتابتُه في الظرف المحدد الضيق الذي رسَمه لي مندوب الجامعة اذ ذاك وهو أربع وعشرون ساعة : كتبت تلك الخلاصة الوجيزة التي رأيتُ فيما بعدُ أن من المناسب أن تكون (مفتاحاً) فقط لبحث مُوسَّع في الموضوع(٦) .

ثم حدثني هاتفياً بعدها بليال « سباعي عثمان » أمين سر تحرير جريدة البلاد ، قبيل غرة شهر المحرم ١٣٩٨ هـ مطلع السنة الهجرية الحالية ، بليلة أو ليلتين ، فطلب مني أن أكتب بحثاً عن طريق الهجرة النبوية لينشر بالعدد الخاص بها الذي ستصدره جريدة البلاد ، في مناسبة دخول العام الهجري الجديد : عام ١٣٩٨ هـ ، وكان الوقت الذى حدده لي ضيقاً جداً لا يتسع مطلقاً لكتابة بحث متوسط عن طريق الهجرة ، فأحرى كتابة بحث موسع فيها يُنشر في صحيفة سيارة ، وقد علِمتَ من أمرها ما علِمتَ آنفاً ، فأجلتُ الفكر ملياً في هذا الطلب الذي تكرر مرتين في أسبوعين متلاحقين ، ومن ثَمَّ رأيتُ أن أتصل برئيس تحرير الجريدة « عبد المجيد شبكشي » أباحثه في هذا الشأن .. واتفقنا على أن أستأني في كتابة البحث ، ليصدر كتاباً مستقلا بذاته ، ومن ثمَّ بدأتُ في كتابة هذا البحث المُوسَّع ، ووضعته في شكل كتاب ، لا مقال ، مستمداً التوفيق والمعونة من البارىء جل ذكره .. وتعالت صفاته .. فانه الربُّ الموفق ، لا رب ولا موفق سواه ..

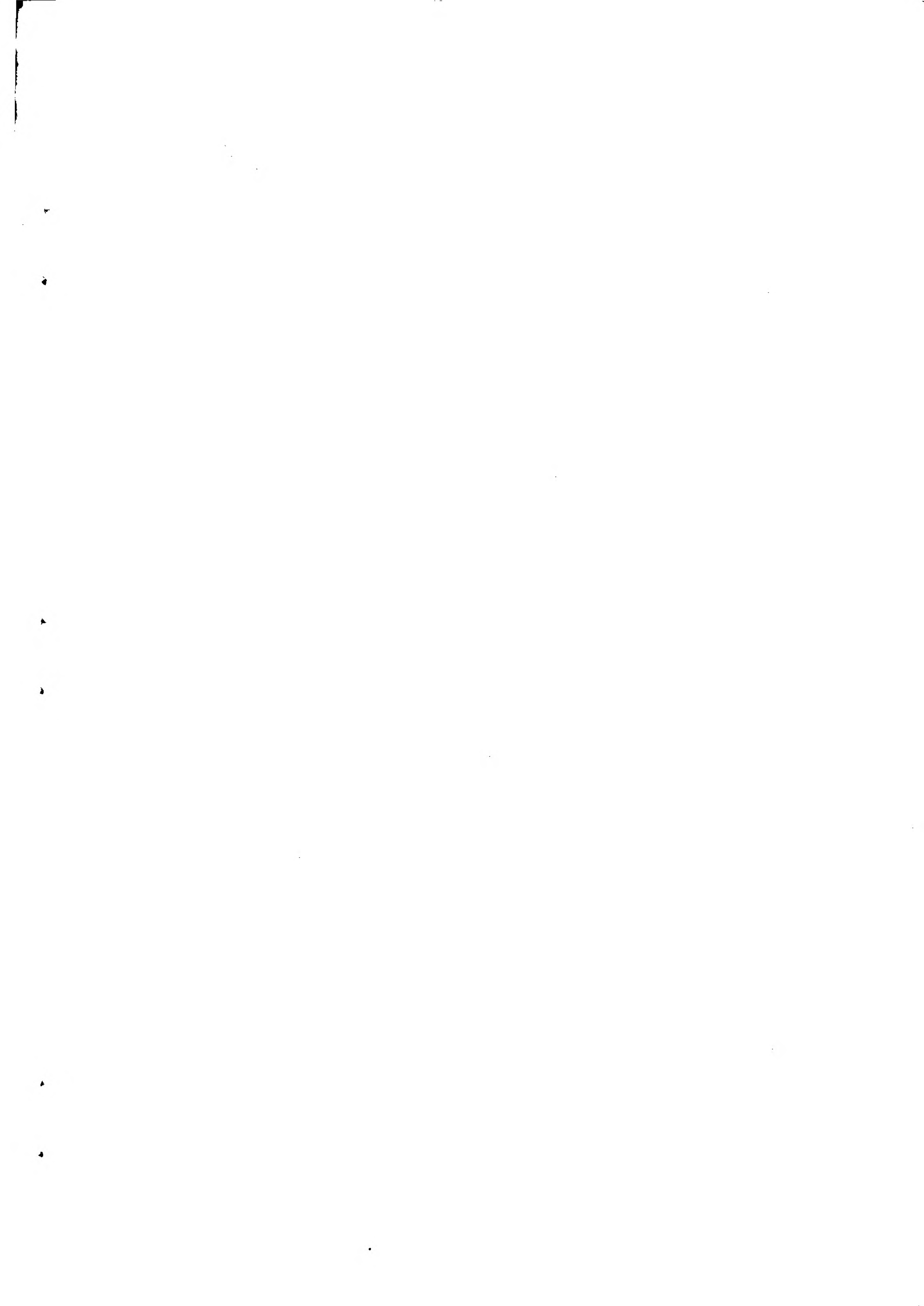
ومن جديد بدأتُ في مراجعة نصوص المصادر ، أجمع بين مختلفها ، وأقارنُ بينه وبين مؤتلفها .. وهكذا تكَوَّنَ هذا المولود « الجديد » في هذا الموضوع العويص المبارك ، وقد اعتبرته (بداية الطريق الى تحقيق معالم طريق الهجرة النبوية العطرة) .

---

(٦) هذه الخلاصة نشرتها في مجلة المنهل بالعدد الصادر لشهر المحرم ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م ص١٠ .

الفصل الأول

إرهاصات الهجرة



الارهاص الأول :

اذا تأمّلنا ما ورد في « صحيح البخاريّ » نجد أن أول ارهاصات الهجرة النبوية على التحقيق حدث مع بداية بَعثَةِ الرسول صلى الله عليه وسلم لهداية قومه والعرب والناس كافة في نواحي المعمورة . وقد عبر عن هذا المعنى خَيرَ تعبير الشيخُ الكبيرُ المؤمنُ الرشيدُ الواعي « وَرَقةُ بن نَوفل(١) » حينما أخبره النبيُّ بما رآى وبما سمع في غار حراء .. وكانت صلةَ الوصل في الجمع بين الرسول عليه الصلاة والسلام ووَرَقَة ، أمُّ المؤمنين خديجةُ رضي الله عنها ..

وهذا نص الحديث الذي رواه محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفيّ البخاريّ في أهم مُؤلَّف له في الحديث النبويّ ألا وهو : (الجامع الصحيح) . قال ما نصه : (بسنده) المتصل الى عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : أول ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ اليه الخلاءُ ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ التَّحَنُّث : التعبدُ ـ الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع الى أهله ، ويتزودُ لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه المَلَكُ فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلتُ : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلتُ : ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال :

(اقرَأ باسمِ رَبك الذي خَلقَ ، خَلقَ الانسَانَ من عَلق ، اقرَأ وَرَبُّكَ الأكرَم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف

---

(١) في كتاب الاصابة للحافظ ابن حجر تحقيق علمي واسع عن اسلامه واقرار النبي صلى الله عليه وسلم ذلك (مادة ورقة) .

فـؤاده ، فدخـل على خديجـة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقـال : زَمِّلوني(٢) ، زَمِّلوني .. فزمَّلوه .. حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة : وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي : فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى (ابن عم خديجة) ، وكان امرأ تنَصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانيّ ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالت له : يا ابن العم ، اسمَع من ابن أخيك ! فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبر ما رآى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً ، اذ يخرجك قومك .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَ مخرِجيَّ هم ؟ قال : نعم ! لم يأت رجل قط ، بمثل ما جِئتَ به الا عودِيَ ، وان يدركني يومُك أنصركَ نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب(٣) ورقة أن توفي ، وفتر الوحي(٤) .

فهذا الحديث يتحدث عن أمرين : بَدء نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما سوف يترتب على نزول الوحي عليه من اخراج قومه له من مكة .. وفحوى الاخراج هذا ونتيجته هنا : الهجرة النبوية المقبلة لا محالة .

●—●—●

الارهاص الثاني :

وبوسعنا تاريخياً وعلمياً أن نقول : ان الارهاص – الثاني – من

(٢) زملوني : لفوني .
(٣) لم ينشب : لم يلبث .
(٤) صحيح البخاري ، الحديث الثالث من أول باب عنوانه : (كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) الخ .

ارهاصات الهجرة يتمثل في أمور مزدوجة ، هي : دخولُ نفر من قريش وأتباعهم ، وبعضِ رجالات العرب في دين الاسلام بمكة ، وقيامُهُم ، بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته الخيرة ، بشعائر دينهم خفية ثم علناً ، وتأذّي قريش واستنكارها لهذا الاتجاه الجديد ، وخوفهم من استفحال أمر الدين الاسلامي وشكيمة متبعيه ، والرغبةُ في القضاء عليه وعلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل أن يخرج عن طاقتهم ومحيطهم الى محيط آخر ، فيعتزُّ بذلك الاسلامُ والمسلمون وينحطُّ مستوى مجتمعِ قريش ، ودينِ قريش الجاهليّ مما ينتج عنه اضمحلال عزهم ، ويؤثر على مكانتهم لدى عرب الجزيرة ، يقابل ذلك اخلاص المسلمين لدينهم اخلاصاً حقاً عميقاً ثابتاً ، يضحُّونَ في التزامه ، وفي سبيل قيامه ، بأرواحهم وأموالهم .. مما كان مصدر تهديد مباشر للمجتمع القرشيّ الجاهليّ ، وللتقاليد الجاهلية التي يقفون على قمتها ، لأنهم سَدَنَةُ الكعبة المشرفة ، وأهل الحرم المحترم .

فهذه الأمور كلها مجتمعة كانت (بحقّ) هي الارهاصَ الثانيَ للهجرة النبوية ، والمقدمة الايجابية الثانية لحدوثها في أي يوم من الأيام المقبلة ، وفي أي شهر من الشهور الآتية ، وفي أي عام من الأعوام القادمة .

●—●—●

الارهاص الثالث :

جاء ثالث الارهاصات مباشراً ومتصلا من كَثَب ، بهذه الهجرة المرتقبة من قريش ، والمرجوة من قِبَل النبي وأصحابه ، وبخاصة انه قد مهد لها الطريق ، وأثبت امكانها ، ودل على نجاحها ، أمور عدة ، منها نجاحُ هجرةِ بعضِ الصحابة الى أرض الحبشة ، وحسنُ استقبال النجاشيّ لهم ورعايتُه لهم ، وثباتُه على هذه الرعاية برغم

بعث قريش لمندوبين عنها الى النجاشيّ ، ليثنوا عزمه ، ويلووا فكره عن اضافة المسلمين المهاجرين في بلاده . ووقوفهُ في وجه هذا المطلب غير المثاليّ ُوقُوفَ الرجل الحازم العاقل الرشيد .. الذي لا تنحط همته الى طرد ضيوفه الصُلحَاء المؤمنين ، ذوي الدين المستقيم ، والخُلق القويم ، بوشاية الوشاة ، أو باغراء الموتورين ، مهما يكن مركزهم أو مهما يكن لدَدُهُم في عداوتهم لهؤلاء الضيوف الوافدين الطيبين ذوي الأخلاق المرضية ، والاتجاهات السنية .

ويضاف الى ذلك أيضاً أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم لما اشتد بهم أذى قريش في دينهم ودنياهم ، ولَقَوا منهم الأمرّين من تسفيه وايذاء شديد منوع .. وتعرَّض بعضهم لنبيّ الله ، بالأذى ، طفحت قلوب هؤلاء المسلمين بالرغبة العارمة في مفارقة هؤلاء القوم الذين لا يزيدهم انتشار الأضواء الا عَمَى وصمماً .

●—●—●

وقد ورد في الحديث النبويّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ للمسلمين ُمقَدماً ماهية دار هجرتهم فقال لهم وهو يومئذ بمكة : « قد ُأرِيت دار هِجرتكُم . ُأريت سَبخة ذات نخل بين لابتين(٥) » . وهذه الدار هي المدينة بدون أدنى ريب فهي التي ينطبق عليها وحدها هذا الوصف النبويُّ الكريم .

وبالفعل قام بعضهم — ُمقَدماً — بالهجرة الى المدينة التي فيها اخوة لهم كرماء من الخزرج والأوس ، آمنوا بربهم وبرسوله ، وزادهم الله ُهدى ، فأحبوا المهاجرين اليهم من الصحابة والصحابيات .. وقد لاقوا منهم في المدينة كل اعزاز واكرام وترحيب .

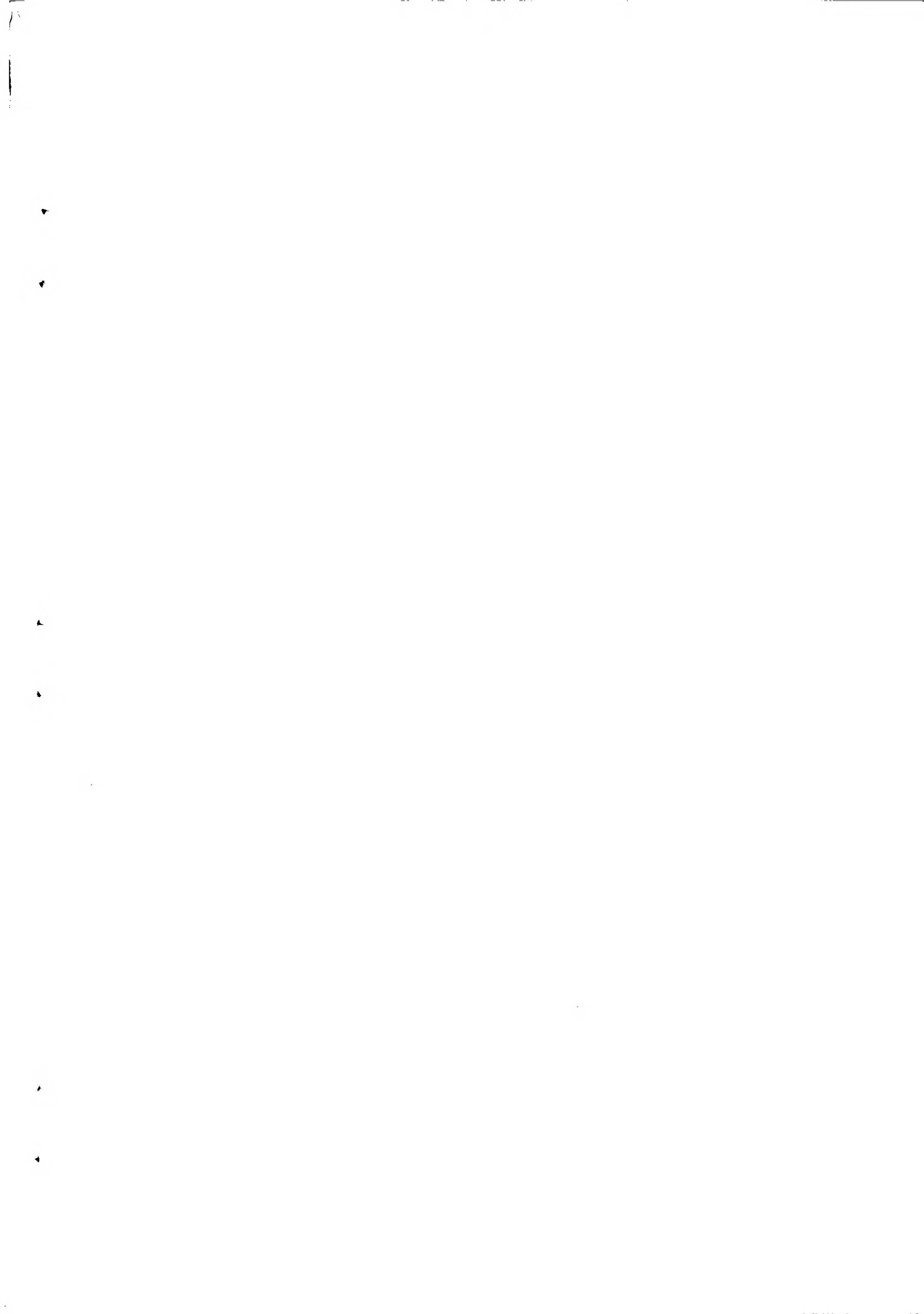
ونحن نرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه الأثير

---

(٥) السيرة النبوية لاسماعيل بن كثير ص٢١٣ ج٢ ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

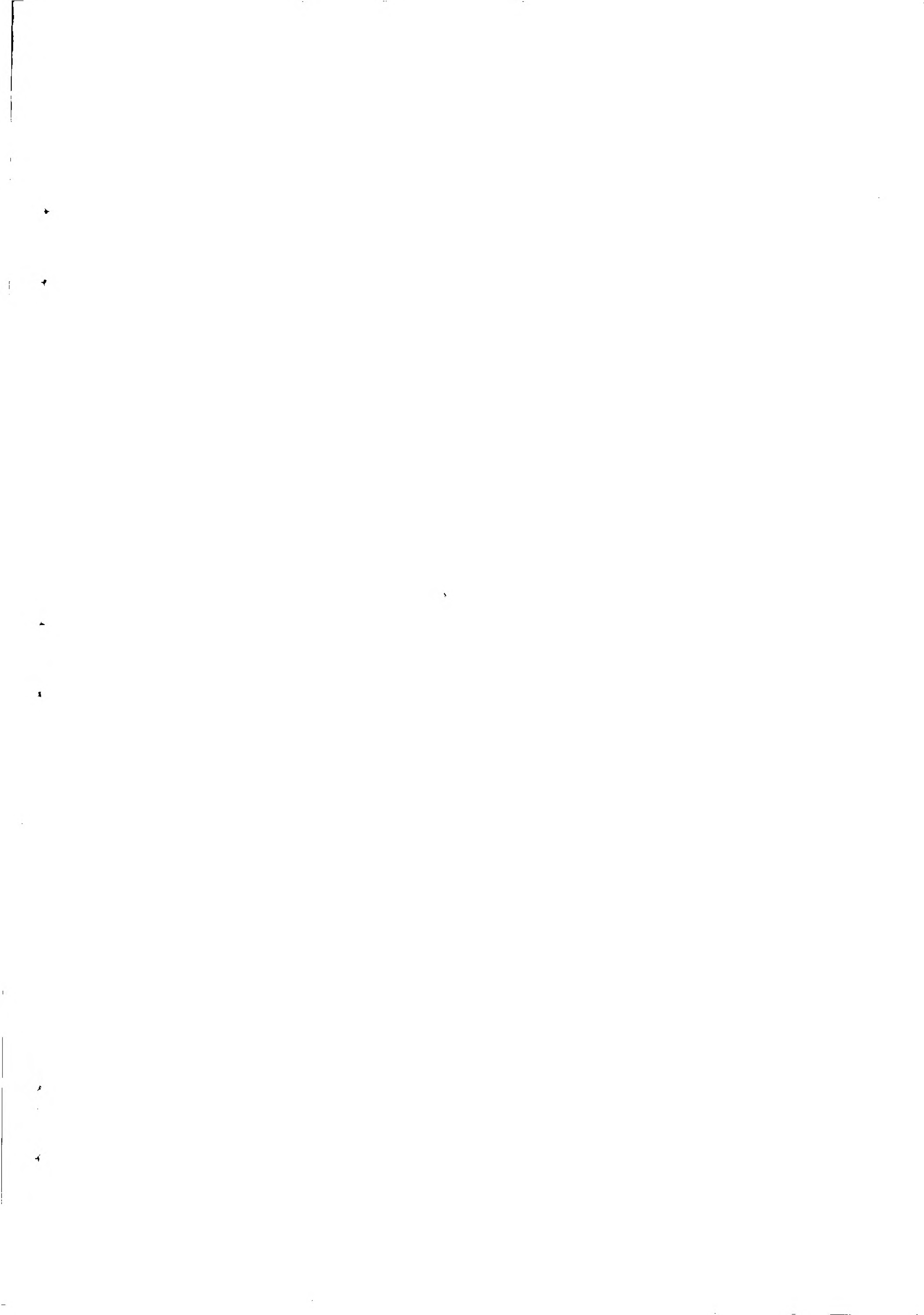
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، يتداولان الرأي ويتبادلان الأحاديث حيال خطة القيـــام بمشروع الهجرة ، وكان أبو بكر شديد الرغبـــة والالحاح في هذه الهجرة ، مستعجلا لها كل الاستعجال ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِيُقَـدِمَ عليها حتى يأذن له الله فيها .. فلما جاءه هذا الاذن من مولاه ، بَشَّرَ صاحبه الأثير بذلك ، فاتفقا على خطة الهجرة ، وسرعان ما نفذاها على ما سيأتيك تفصيله .

وقد أحست قريش بأمر الهجرة هذه ، كما أدركت مدى خطورتها على وضعها الديني والاجتماعي والاقتصادي .. فانه اذا هاجر الرسول ووجـد المنَعَةَ في بلد آخـر ، بدأ حينئـذ نجم الشرك والمشركين في الأفول ، وبدأ نظام عقـدي واجتماعي واقتصادي وتجاري جـديد ، لا يتفق مع الأوضاع الاجتماعية السائدة لدى عرب قريش ومن لف لفهم من عرب الجاهليـة قاطبة .. وقُل عكس ذلك فيما يتعلق بالوضع التجاري والاقتصادي الربوي السائد ، وجُـلّ الأوضاع السـائدة في الجاهلية .. وهذا خطر مداهم ومحقق ، ايجاباً وسلباً ، في نظر قريش ، ولذا لا غرو أن يسعى رجالاتُها بكل جهودهم لصَـدّ هذا التيار الجارف المداهم ، والوقوف دون انتشاره بكل ما لديهم من قوة وأيد .



الفصل الثاني

أحداث ليلة الهجرة



قبل الهجرة النبوية الى المدينة هاجر من هاجر من الصحابة اليها ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، وتَخَلَّفَ معه بها من المهاجرين من ُحبس أو ُفتن ، وبقي معه عليٌّ بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصِديقُ رضي الله عنهما . وكان أبو بكر كثير الاستئذان من رسول الله في الهجرة ، وكان الرسول يقول له : « لا تتعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يَكُونَهُ .

واستيقنت قريش اذ ذاك أن الرسول قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير بلدهم ، فقد رأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم زرافات ووحداناً ، وعرفوا أن هؤلاء المهاجرين من المسلمين قد نزلوا داراً آمنة ، وأصابوا من أهلها مَنَعَة وُحباً وترحيباً ، وهم كلهم مع ذلك أبطال مغاوير أشداء على من عاداهم ، ُرحَمَاءُ بينهم ، فحزرت قريش خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار هجرته المرتقبة ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا — ليلة الهجرة — في دار النَّدوة : دار ُقصَيّ بن كلاب المُعَدَّة من قِبلِهم للتشاور بها في الأمور ذات الأهمية البالغة ، وتشاوروا فيها فيما ُهم صانعون في أمر رسول الله حين خافوه .

وقد تشاوروا في الأمر في شتى أبعاده ، وقلبوا فيه وجوه النظر ، وبحثوا في جوانبه ، واستقر رأيهم أخيراً ، على رأي أبي جهل بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطا منهم ، ثم يعطوا كل فتى منهم سيفاً صارماً ، فيعمدوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فَتَستريح قريش منه . فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمُه في القبائل جميعاً ، فلا يقدرُ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فيرضون عندئذ بالدية ، فيعطونها اياهم . وقد تفرق القوم على ذلك الرأي ، وهم مجمعون عليه . (وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أمرِهِ ولَكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ) .

قال ابن اسحق فيما يرويه عن عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما : « فأتى جبريلُ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تَبِيت الليلة على فراشك الذي كُنتَ تبيت فيه) . وأضاف ابن اسحق في حديثه قوله : « فلما كانت عَتمَة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه . فلما رأى رسول الله مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب : (نم على فراشي ، وتَسَجَّ - أي تغطَّ - بِبُردي هذا الحضرميّ الأخضر ، فنم فيه ، فانه لن يخلُصَ اليك شيء تكرهه منهم) .

وخرج رسول الله فأخذ حفنة من تراب في يده ، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من سورة يس : (يس والقُرآنِ الحَكيم ، انَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ ، عَلى صِراط مُستَقيم ، تَنزيلُ العَزِيزِ الرَّحيم) الى قوله : (فَأَغشَيناهُم فهُم لا يُبصِرُونَ) ، فلم يبق رجل الا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب وهم نائمون . ثم جاءهم من أخبرهم بأن محمداً قد كان خرج عليهم ، وقد وضع على رؤوسهم التراب .. ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش مُتَسَجّياً بِبُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : « والله ان هذا لمحمد نائماً عليه بُردُهُ ، فلما أصبحوا قام علي عن الفراش ، فقالوا : والله لقد صَدَقَنا الذي حَدَّثَنا » .

وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة .

وكان أبو بكر قد ابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما اعداداً لذلك ، وقد أتى رسولُ الله حينئذ بالهاجرة أو بالليل دارَ أبي بكر ، فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة الا لأمر حدث . ودخل الرسول وطلب الخلوة مع أبي بكر ، فقال له أبو بكر : يارسول الله انما هما ابنتاي ، وفي الجامع الصحيح للبخاري : انما هم أهلك - وكان أبو بكر أنكح عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك - وما ذلك فداك أبي وأمي ؟ فقال رسول الله :

انّ الله أذن لي في الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحبةَ يارسول الله ، قال رسول الله : « الصُّحبة » . فبكى أبو بكر من الفرح ، ثم قال لرسول الله : ان هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط(١) أو الأرَيقط ، أو الأرقط ، رجل من بني الدئل ابن بكر أو من بني الليث ، وكانت أمّه امرأة من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً ، يدلهما على الطريق ، فدفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

●—●—●

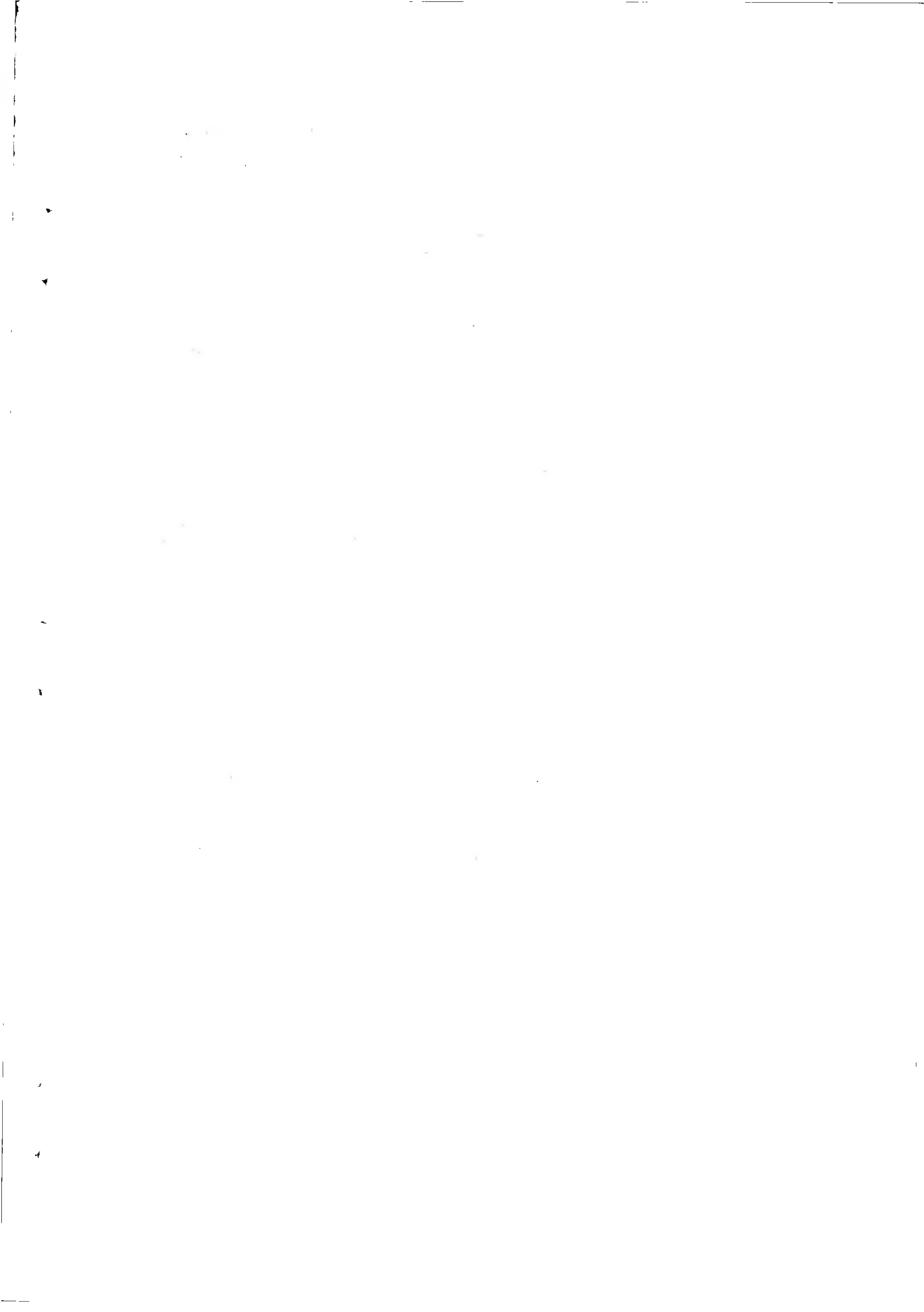
وكانت الهجرة النبوية سِراً من الأسرار التي ’أخفِيَ حقيقةُ أمرها عن قريش والناس جميعاً .. فلم يكن يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج سوى عَلِيّ بن أبي طالب ، وأبي بكر الصديق، وآل أبي بكر .. وقد أمر الرسول علياً أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ، الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان الناس ’يودِعُونَ عنده نفائس أموالهم التي يخشون عليها ، لما يعلمون من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

القرآن المجيد يشير الى ترصد قريش للرسول

وقد أشار القرآن المجيد الى ترصد قريش للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ليلة الهجرة ، ليحبسوه حتى يموت أو يقتلوه صبراً ، أو ينفوه من الأرض ، فقال جَلّ من قائل مخاطباً نبيه المصطفى ،— ممتناً عليه : (وَاذ يَمكُرُ بكَ الَّذينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ، أو يَقتُلُوكَ أو ’يخرِجُوكَ ، ويَمكُرُونَ ، وَيَمكُرُ الله والله خَيرُ المَاكِرينَ) .. سورة الأنفال الآية (٣٠) ..

---

(١) ورد اسمه في تاريخ الطبريّ ص٣٨٠ ج٢ الطبعة المصرية بدار المعارف التى حققها محمد أبو الفضل ابراهيم ، هكذا : (أرقد) ـ بالدال المهملة ـ بدلا من الطاء المهملة . ويبدو لي أنه تحريف مطبعيّ عن (أرقط) اسم والده الصحيح وذلك برغم تكرار الطبعة لاسم (أرقد) بالدال المهملة .. والدليل على هذا اسناده الخبر على هامش الصفحة المذكورة ، بقوله : (الخبر في سيرة ابن هشام) ، فالذي في سيرة ابن هشام هو اسم (أرقط) بالطاء المهملة ، لا (أرقد) بالدال المهملة .



الفصل الثالث

متى حدثت الهجرة ؟

بالنسبة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم

حدد لنا « الجامع الصحيح » للامام البخاري الوقت الذي حدثت فيه الهجرة النبوية من حياة النبي عليه السلام ، وذلك في حديث رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : 'بِعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة 'يوحى اليه ، ثم 'أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين(١) . والهجرة اذن 'محدد ظرف' وقوعها بدقة ، بالنسبة لحياة الرسول عامة، وبالنسبة لِبَعثَتِه خاصة . وقد حَدَّدَ تاريخ وقوعها بالنسبة للتاريخ الميلادي ، محمد مختار ، بسنة ٦٢٣ م وقال : ان 'غـرَّةَ ربيع الأول بتلك السنة كان يصادف يوم الاثنين ، ودخول الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان يوم الاثنين أيضاً ، في الثامن منه(٢) .

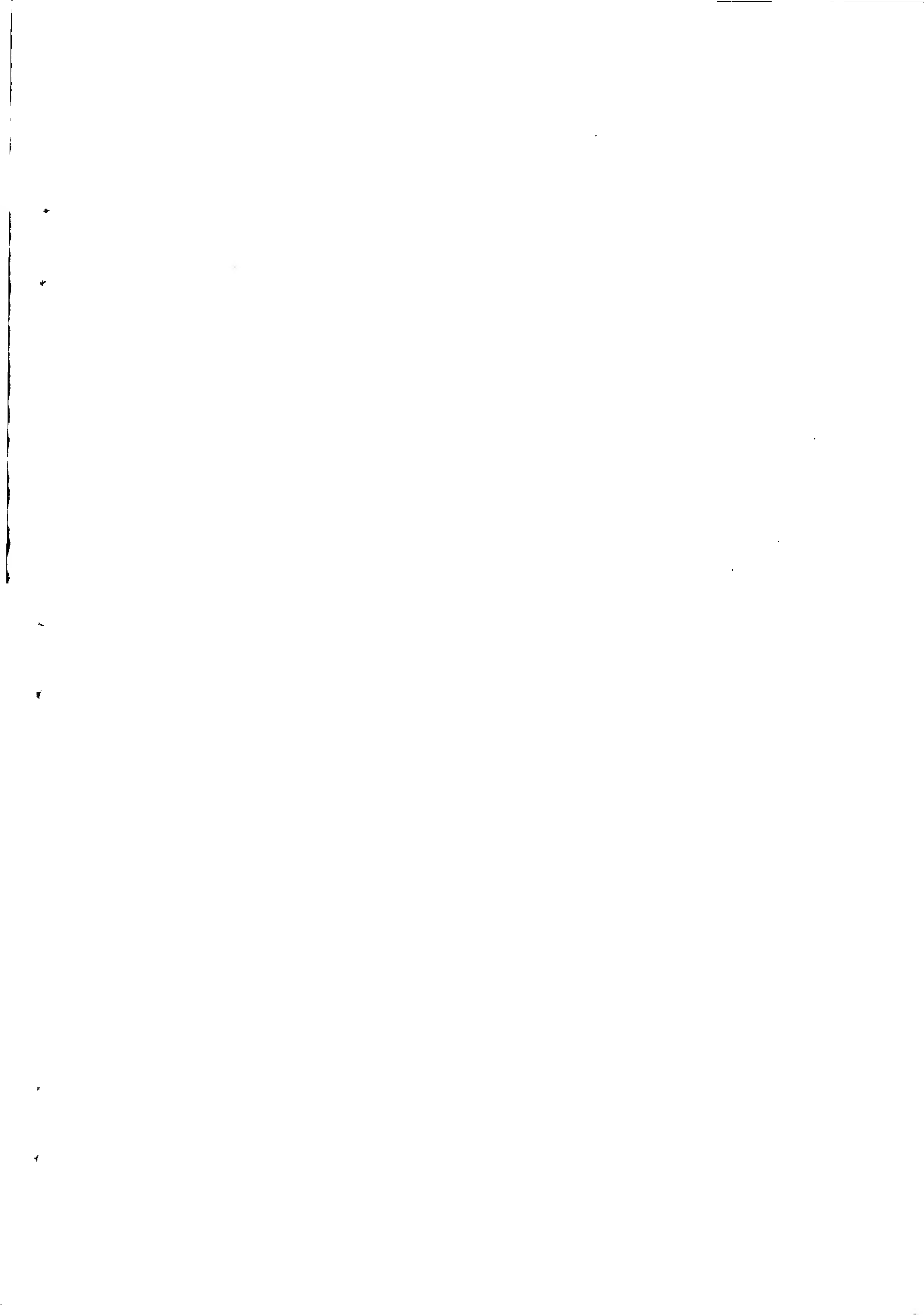
ومما يدعم قول محمد مختار بأن الرســول صلى الله عليه وســلم وصل المدينة في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول بعد خروجه من مكة في غرة هذا الشهر ، ما ذكره عبد الله بن الأصبغ السُّلَمي وهو قوله: (ومن الحديبية الى المدينة سبع مراحل ، والى مكة مرحلة)(٣) .

---

(١) صحيح البخاري ص٢٢٧ ج٢ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م .

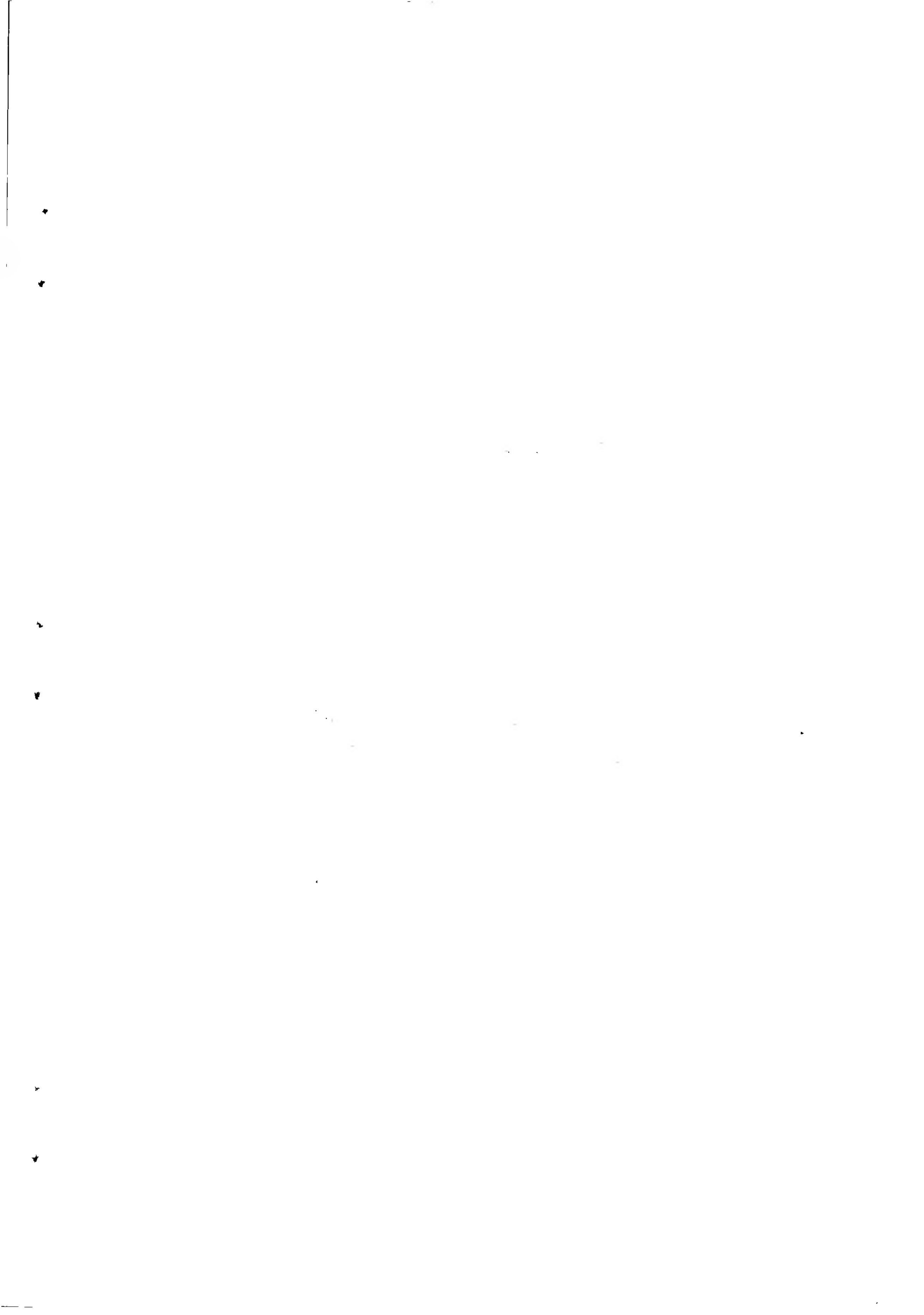
(٢) التوفيقات الالهامية في مقابلة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية لمحمد مختار باشا ط. المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١١هـ .

(٣) معجم ما استعجم ، للبكري ص٨١١ ج٣ ط. مطبعة التاليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٦٩م .



الفصل الرابع

بدء الهجرة



بعد وصول الرسول عليه السلام الى دار أبي بكر الواقعة في خط بني ُجمَح بأسفل مكة أي جنوبها ، خرجا ماشيين على أقدامهما بعد خروجهما من خوخة في ظهر دار أبي بكر المشار اليها ، كتماناً لتحركاتهما عن الأعداء الراصدين لهما في كل مكان ، ومن ثم ذهبا حالا الى (جبل ثَور) ودخلا (غاره) ومكثا به ثلاثة أيام ، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا ذا مال ، فاحتمل جميع ماله معه ، وقد دبَّر رضي الله عنه أمر السفر تدبيراً حكيماً محكماً ومسدداً وموفقا ، فقد أمر ابنه عبد الله ابن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأ تيهما اذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامرَ بن ُفهَيرةَ أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ، يأتيهما اذا أمسى في الغار، فيحتلبان ويذبحان ، ثم ُيتبِعُ الغنم أثر عبد الله بن أبي بكر اذا عاد الى مكة فَيُعفِي بذلك أثره . وكانت ابنته أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما .

كان كل شيء في أيام الغار ، مرتباً ومنظماً ، على خير ما يرام ، وقد كان أبو بكر متفانياً في حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، يفديه بنفسه وروحه وجهده وفكره وعقله ولسانه وماله في اخلاص عميق شديد .. رضي الله عنه وأرضاه .

وكان من تعلقه بحبه العميق وتقديره البالغ له أنهما لما قدما الى الغار ليلا ، (وهذه الرواية ترجح أن خروجهما من دار أبي بكر كان ليلا ، لا في الهاجرة لقرب المسافة بين مكة وجبل ثور) ــ دخل أبو بكر في الغار قبل رسول الله ، فلمس الغار في أبعاده الداخلية وأنحائه الجانبية لينظر أفيه سَبُع أو حَيَّة : يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك.

●—●—●

ولمَّا أيقنت قريش بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قاصداً المدينة ، خَصَّصَتْ حين فقدته بمكة (مائة ناقة) جائزة مالية

عالية مُغرية ، لمن يَرُدُّه عليهم ، ومن هذا ومن تحركاتهم وتدابيرهم يُدرَك مدى قلقهم وانزعاجهم من هذه الهجرة ، وخوفهم من مغبتها ومن عواقبها وثمارها الشديدة المرارة بالنسبة لهم فيما يَحزِرُون ويُقَدِرون .

وقد مكث الرسول وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ، فلما مضت هذه الأيامُ الثلاثةُ ، وسكَنَ طلب الناس عنهما ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا ، ببعيريهما ، وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بِسُفرَتهما ـ أي زادهما ـ ونسيت أن تجعل للسفرة عصاماً : ـ ما تُعَلَقُ به السُفرَة ـ فلما ارتحلا ذهبت تعلق السُفرة تلك بنطاقها الذي شقته فسميت بذلك : (ذات النطاقين) رضي الله عنها وأرضاها .

وقَرَّبَ أبو بكر الراحلتين الى رسول الله ، وقدم له أفضلهما ، وطلب منه أن يركب هذه الراحلة الفضلى ، بلطف وأدب جم ، فقال الرسول : (اني لا أركب بعيراً ليس لي) . فقال أبو بكر : فهي لك يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : أخذتها به ، وقال أبو بكر قولته السابقة : هي لك يارسول الله ، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد امتنع من قبول الراحلة هدية من صاحبه الأثير ، رغبة منه في استكمال فضل الهجرة وأن تكون الهجرة على أتم أحوالها .. فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فُهَيرَةَ خلفه ، ليخدمهما في الطريق ، فساروا ليلتهم ، ومن الغد الى الظهر ، ورأوا صخرة طويلة فَسَوّى أبو بكر عندها مكاناً ليقيل فيه رسول الله وليستظل بظلها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعدما زالت الشمس(١) .. وقد دفع النبيُّ صلى الله عليه

(١) الكامل في التاريخ لعلي بن أبي الكرم (ابن الأثير) ص١٠٤ و١٠٥ ط. بيروت . وربما تكون هذه الصخرة احد معالم طريق الهجرة بالنسبة للباحثين اذا قاموا باستكشافها .

عليه وسلم الى أبي بكر ثمن الناقة التي اشتراها منه للهجرة عليها .. دفع اليه حين بنى بعائشة اثنتي عشرة أوقية ونَشا .

●—●—●

هذا ويبدو مما سبق ذكره أن الخُطوة الأولى من خُطى الهجرة بدأت من دار أبي بكر الصديق بمكة ، الواقعة في أسفل مكة (المسفلة) بخط بني جُمَح الى غار ثور . وكانت الخطوة الثانية من مخرج غار جبل ثور بأسفل مكة ، أي جنوبها الشرقي، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه أبو بكر ، ومولى صاحبه : عامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أرقط الذى سلك بهم طريقاً غير عام وغير معتاد سلوكه .. وكانوا كلهم يمتطون الرواحل صوب المدينة . وكان اسم الناقة التي امتطاها الرسول : (الجدعاء) على رواية ابن اسحق ، و (القصواء) على رواية الواقديّ ، وهذه الناقة لها ذكر رائع وعجيب في حديث الهجرة ، فقد قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمن طلبوا منه النزول عندهم بالمدينة من الأنصار : (دعوها فانها مأمورة) .. ومن تحركاتها وبُروكها والتفاتها الى خلفها ، وبُروكها النهائي في المربد الذي بُنيَ عليه المسجد النبوي ثبت فعلا أنها مأمورة .

هذا وقد كان عدد أشخاص الركب النبويّ في طريق الهجرة أربعة ، هم :

(١) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) صاحبه الأثير : أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٣) مولى أبي بكر : عامر بن فُهَيرَةَ ، وكان مسلماً . وكان رديفَ أبي بكر على راحلته .

(٤) عبد الله بن أرقط أو أُرَيقِط أو الأريقِط ، على اختلاف في اسم أبيه . ويقول السهيليّ في عبد الله بن أرقط هذا : « ولم يكن

اذ ذاك مسلماً ، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك » .. ويضيف الى ما ذكر قوله عنه أيضاً : « وجاء في حديث أنهم استأجروه، وكان هادياً خرّيتاً ، والخِريتُ : الدليل الحاذق بالدلالة كأنه ينظر في خَرتِ الابرة أي ثقبها(٢) . وجاء في تاريخ ابن خلدون أن عبد الله ابن أرقط هـذا رجع الى مكة وأخـبر عبد الله بن أبي بكر بمكانه ، فخرج ومعه عائشـة أختـه ، وأُمّهما أم رومان ، ومعهم طلحة بن عبد الله ، فقدموا المدينة(٣) .

ونجزمُ بأن طريق الهجرة المحمدية لم يكن طريقـاً لاحبـاً ولا عاماً مرتاداً للجميع ، تسلـكه القوافـل والنـاس دواماً من مكة الى المدينة ، ومن المدينة الى مكة ، فرادى وجماعات ، وانما كان طريقاً أغلبه غيرُ متعارف لدى جميع المسافرين ، وليس يعرفه الا الخريتون من الأدلاء .. والسبب الذي دعا دليل هذه الطريق في الهجرة الى اختيار سـلوكه بمن كان دليلهم فيها ، يعود الى الرغبـة في تَجَنُّبِـه تعقب المغامرين ونظرات الفضوليين ، لهذا الركب المهاجر المحدود المُزمِع الخروج من بلد حبيب يسوده ظلام كثيف من ظلام الجاهلية الدامس ، ويتحكم فيه نفر من أهل الجاهلية الذين لا يصغون لحق ، ولا يرعوون عن باطل ولا هوى .. ويسعون جهدهم لاطفاء نور الله في الأرض قبل انتشار اشـعاعه الذى هو من السماء .. (وَيَأبَى اللهُ الا أن يُتمَّ نورَهُ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ) .

وقد مَرَّ بنا أن الدليل عبد الله بن أرقط كان جد خبير بمسالك هذه الطريق التي يحتار غير الخريت في سلوكها ، فكان يتنقل بهم في سـيره من طـريق الى طـريق ، ومن منـزل معـروف الى منزل غـير مألوف . وربما قطع الطريق الممتد من عَرضه ، وأقدم على دخـول سبيل يرى أنها أولَى بالسلوك في انجاح مهمته الخطيرة .. ويدلنا على

---

(٢) راجع لسان العرب ، لابن منظور الأنصاري (مادة خرت) .

(٣) تاريخ ابن خلدون ص٧٤١ م٢ طبعة دار الكتاب اللبناني ببيروت سنة ١٥٩٦م .

مدى خطورة الهجرة ما حدث قبل بدايتها ، من تَبييت قريش للرسول في داره ليلا ، على أمل القضاء عليه في مقر نومه ، ضمن خطة ابليسية مدروسة ، ثم ما قدمته قريش بعد نجاحه في انطلاقته من مكة ، من (جائزة كبيرة) قدرها (١٠٠) ناقة لمن يرُدُّه عليهم ، ثم ما تلا ذلك من تعقيباتهم المُلحَّة ، الفردية والجماعية المُطَّرِدَة .. له ، في الطريق التي يرون أنه قد يكون سلكها الى المدينة ، واتيانهم بالقافة — متتبعي الأثر — الخُبَراء في فَنّ تتبع الأثر ، للعثور عليه في أي مكان وُجِدَ ، وفي أي سبيل سار .

فهذه الاهتمامات الكبرى في تتبع النبي وخوض غمار المتاعب وصرف الأموال في سبيل صرفه أو انصرافه عن الهجرة ، هي دلائل واضحة للعيان على ما كانت صدور قريش تجيش به ، وعلى ما تكنه قلوبهم من شدة الانزعاج من الهجرة النبوية ، والعمل الضخم الحثيث، في سبيل احباطها ، بل في سبيل القضاء على صاحبها ، قبل أن يصل الى دار المنَعَةِ والأمان ، التي ينصر الله فيها الاسلام نصراً مؤزراً .

●—●—●

ويدلنا على أن طريق الهجرة النبوية طريق مؤلفة من مسالك عديدة ، بعضُها قد لا يكون معروفاً للسالكين جميعاً ..

.. يدلنا على ذلك ما نلمحه من ورود أسماء لبعض منازل هذا الطريق احتار بعضُ علماء البلدانيات ، وكُتّاب السيرة في أسمائها ومسمياتها ، فتعددت هذه الأسماء ، وغمضت المسميات لديهم ، واختلف نطقها ، واختلفت كتابتها ، واختلفت تعريفاتها ، في تلك الكتب ، بما يصعب معه التأليف بينها ، أو الجمع أو تأويل الأسماء ، وتحقيق المسميات بها .. بل ان بعضها اعترف بعض خبراء الجغرافية الاجتماعية والبلدانية الاسلامية ، بعجزهم عن معرفة مدلولاتها .. ولكنني أرى أن التحقيق العلمي المنظم الحديث الدقيق ، سيكون كفيلا

بالالمام بمراحل هذه الطريق واتجاهاتها ومواقعها سواء أكانت سهولا أم جبالا أم أودية أم ثنايا في جبال . ومما يفتح لنا طريق هذا التفاؤل قول الحافظ ابن عبد البر الذي أوردناه في مستهل الفصل السادس : « ونهضوا ــ أي الرسول وصحبه ــ قاصدين على غير الطريق المعهودة ، وقد وصف بعض أهل السير مراحله يوماً فيوماً » .

كما فهمنا من دراسة هــذه الطريق في أســفار الســيرة النبوية وغيرها ، أن بعض منازل هذه الطريق مسلوكة أو عَــــرَّفُوهَا بأنها تقع على طريق مكة ــ المدينة . ونرجو أن تكون « الخريطة التقريبية » المرافقة لهذا الــكتاب والتي صممها مؤلفه عقب الاستنارة بعديد من المراجع ، مفتاحاً أو مناراً يلقى الضوء على طريق هذه الهجرة النبوية العظيمة .

الفصل الخامس

أحداث في طريق الهجرة

وقعت أحداث في طريق هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم نوردها فيما يلي :

الحادث الأول :

قيام قريش بمسح الطرق الصادرة من مكة مسحاً تفتيشياً دقيقاً بغية الوصول الى مكمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوى اليه في جبل ثور وحول غاره . وقد بلغ من اهتمامهم باستكشاف مكان وجوده أن عَيَّنُوا لهذه المَهمَّة « قائف أثر » معروفاً . واختلف كُتَّابُ السيرة في اسمه فقال بعضهم : هو سُراقة بن جعشُم الكناني ، وقال آخرون : هو كرز بن علقمة . ويرى ابن كثير حل هذا الاختلاف بأنه « يحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر »(١) .

وقد باءت مساعيهم في العثور على الرسول ، بالاخفاق الذريع ، فعادوا بِخُفَّي حُنَين ، على ما هو مذكور في القرآن الكريم، وفي كتب الحديث النبويّ والسيرة النبوية ، وفي التاريخ ، وكتب الأدب والبلدانيات .

●—●—●

من أحاديث الغار

رَوَوا أن العنكبوت نسج بيته على فم غار جبل ثور ، وأن حمامة أو حمامتين باضت أو باضتا على نسج العنكبوت ، وجعلت أو جعلتا ترقدان على بيضهما ، امعاناً في حجب أنظار المعقبين عن رؤية من بالغار .. كما ذكروا أن الله أنبت على باب الغار شجرة الرَّاءَة – احدى أغلاث الشجر – لتسهم في المَهَمَّة التي قام بها العنكبوت والحمام . وكان قصارى هَمّ قريش أن تحبط هذه الهجرة ، وأن تقبض على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وتقبض معه على صاحبه رضي الله

---

(١) السيرة النبوية لاسماعيل بن كثير ص٢٤١ و٢٤٢ ج٢ ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي .

عنه ، وقد أمعنت في حبك هذا التدبير ، فخصصت (قائفاً) يتبع الأثر حتى اذا وقف على باب الغار الذي حمى اللهُ رسولَهُ وصاحبه من أن يراهما أعداؤهما فيه ، وهما منهم قيد خطوة ، قال القائف عندئذ : هنا انقطع الأثر ، فعادت قريش وأرصادها القهقرى مخفقين في كشف مكان الرسول وصاحبه وهما منهم قاب قوسين أو أدنى .

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أحس بالخطر الماثل في انفتاح الغار ، وفي قربه جداً ممن يتعقبونهما من قريش عند اقترابهم من بابه ، فقال والرسول يسمع : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا .. وقد علق الامام السُّهَيلي في كتابه : (الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام) على قول أبي بكر هذا بقوله : « وتدبر قوله : « تحت قدميه » لترى أنهم كانوا قيد خُطوة أو نصفها من باب الغار »(٢) وعندئذ أجابه الرسول بقوله : « ما ظَنُّكَ يا أبا بكر باثنين ، اللهُ ثالثهما ؟!) وبهذه الاجابة العظيمة اطمأنت نفس أبي بكر وهو في جوف غار ثور .

والحق أن أبا بكر رضي الله عنه كان شديد الانزعاج لانحصارهما في جوف الغار ، ولعلمه أو رؤيته قريشاً وهم قريبون من باب هذا الغار .. وبخاصة عندما رأى القائف الذى كانت مَهَمَّتُهُ تتبُّعَ أثرهما في هذا المكان بالذات .. ويضيف كُتَّابُ السيرة النبوية أن أبا بكر قال مضيفاً الى قولته السابقة التي هي : (لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا) قال مضيفاً الى ذلك ، والحزن يعصر قلبه الرقيق : (ان قُتِلتُ ـ بضم القاف وكسر التاء وسكون اللام بعدها تاء مضمومة في الآخر ـ فانما أنا رجل واحد ، وان قُتِلتَ ـ بضم القاف وكسر التاء وسكون اللام بعدها تاء مفتوحة : ضمير المخاطب ـ أنت هلكت الأمة) . فعندئذ قال له رسول الله : (لا تحزن ان الله معنا) .

●—●—●

(٢) الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام لعبد الحمن السهيليّ (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) ج٤ ص٢١٣ طبع دار الكتب الحديثة بمصر .

القرآن يتحدث عن مؤامرة قريش و يشيد بحادث الغار وبحديثه

تحدث القرآن الكريم عن المؤامرة الخطيرة التي حاكتها ندوة قريش من أجل احباط هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة، وأشاد بحادث الغار وبحديثه فقال : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ، ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ، ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) . سورة التوبة « الآية ٤٠ » .

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : « اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هارباً ، صحبه صديقه وصاحبه أبو بكر ابن أبي قحافة فلجأ الى غار ثور بثلاثة أيام ، ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ، ثم يسيروا نحو المدينة ، فجعل أبو بكر يجزع ، أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص الى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه و يثبته ويقول : يا أبا بكر . ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »(٣) .

●—●—●

أبو بكر يحزن في الغار

ومما روي أيضاً من حديث الغار أن أبا بكر رآى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من التعب ، وكونه في ضيقة الغار ، مع فرقة الأهل ووحشة الغربة ، وكان أرق الناس على رسول الله ، وأشفقهم عليه ، فحزن لذلك ، وقال : نظرت الى قدمي رسول الله في الغار ، وقد

(٣) تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٠٢ ط. دار الأندلس ببيروت سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م .

تقطرتا دماً ، فاستبكيت ، وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحفاء والجفوة(٤) .

●—●—●

الحادث الثاني :

تَتَبُّعُ سُراقة بن مالك بن جُعشُم الكناني المدلجي للرسول صلى الله عليه وسلم سعياً وراء ظفره بالجائزة الكبرى التي وضعتها قريش لمن يَـرُدُّ الرسول الكريم عليهم من هجرته الى المدينة .

وكان سراقة قد تحلب ريقه للحصول على تلك الجائزة الثمينة المُغرية ، فعزم على ملاحقة الرسول والعودة به حياً هو ومن معه الى قريش .. ولندعه يتحدث بنفسه عن نفسه حيال هذه المَهَمَّةِ التي اندفع اليها اندفاع المغامر الطامع الطامح .. يقول سراقة وهو يروي قصته من الألف الى الياء ، ويلوح جلياً أنه قصَّ ذلك بعد اسلامه :

« لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال (سراقة) : فبينما أنا جالس في نادى قومي اذ أقبل رجل منا ، حتى وقف علينا ، فقال : «والله لقد رأيتُ رَكَبَةَ ثلاثة مـرّوا عليَّ آنفاً ، اني لأراهم محمداً وأصحابه . قال : فأومأت اليه بعيني أن اسكت ، ثم قلت : انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ! ثم سكت ، قال (سراقة) : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتي ، فأمرت بفرسي ، فقيد لي الى بطن الوادي (وادي مكة) وأمرت بسلاحي ، فـأُخرِجَ لي من دُبُرِ حجرتي(٥) ثم أخذت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره : (لا يَضُـرُّه) قال : فأبيت الا أن أتبعه ، قال : فركبت في أثره ، فبينما فرسي يشتد بي ، عثر بي فسقطت عنه قال : فقلت ما هذا ؟.

---

(٤) الروض الأنف ص٢١٣ ج٤ .

(٥) يبدو من هذا القول ان الخروج من ظهور المنازل كان أمرا متعارفا غير مستنكر لدى المجتمع العربي القرشي حينذاك فيمن يزعمون اخفاء تحركاتهم عن عيون الناس ، لأسباب امنية .. وهذا سراقة يصرح باخراج سلاحه من ظهر حجرته لذلك السبب .

قال : ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره : (لا يضره) قال : فأبيت الا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثر بي فرسي ، فذهبت يداه ، في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالاعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم، فقلت : أنا سراقة بن جعشم : انظروني أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « قل له : ما تبتغي منا ؟ » قال : فقال بذلك أبو بكر، قال قلت : « تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك » قال : « اكتب له يا أبا بكر » قال : فكتب لي كتاباً في عظم أو في رقعة أو خزفة ، ثم ألقاه اليّ ، فأخذته فجعلته في كنانتي ، ثم رجعت فسكت ، فلم أذكر شيئاً مما كان ، حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعي الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة ، قال : فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، قال : فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : اليك اليك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله ، وهو على ناقته ، والله لكأني أنظر الى ساقه في غَرزه – رَحلِه – كأنها جُمَّارَة ، قال : فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك لي ، أنا سراقة بن جعشم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم وفاء وبر ، أُدنه ! » قال : فدنوت منه ، فأسلمت ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله عنه فما أذكره ، الا أني قلت : يا رسول الله ، الضالَّةُ من الابل تغشى حياضي ، وقد ملأتُهَا لابلي ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : نعم ! في كل ذات كبد حَرَّى أجر ، قال : ثم رجعت الى قومي فَسُقتُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صدقتي »(٦) .

●—●—●

هذا ويصف ابن الأثير الأرض التي لحق فيها سراقة بن جعشم ،

---

(٦) سيرة ابن هشام ص١٣٤ و١٣٥ ج٢ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ٥٥هـ = ٣٦م .

النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن معه في رحلة الهجرة الى المدينة ، بقوله : «فلحقهم وهم في أرض صلبة» (٧) وهذا القول قد يحمل براعم تحديد ذلك الموقع اذا رفدته قرائن أخرى كشافة .

●—●—●

بعض ملابسات قصة سراقة

تحدث السهيلي في كتابه « الروض الأنف » شرح سيرة ابن هشام بأن سراقة بعد عودته من رحلته المخفقة ، الى مكة لامه أبو جهل حين رجع بلا شيء ، فقال سراقة وكان شاعراً :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا	لأمر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تَشكُك بأن محمدا	رسول ببرهان فمن ذا يقاومه ؟
عليك بكفّ القوم عنه فانني	أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	بأنّ جميع الناس طراً يسالمه(٨)

وأقول : ان تكن نسبة هذه الأبيات الى سراقة بن جعشم صحيحة ، فهذا أمر عجب ، وما أراها كذلك لأسباب جوهرية ، منها : أن سراقة لم يعلن اسلامه الا بعد فتح مكة على ما رواه ابن اسحق حسب ما مر بنا آنفاً .

ثم كيف يتحدى سراقة أبا جهل في مكة ، عقب الهجرة بعد اخفاقه في اعادة الرسول الى قريش ثم يدعو أبا جهل الى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم بأنه ألَدّ خصومه ، ومن أقوى عتاة مشركي مكة . ثم لا يقوم أبو جهل بأي رد على هذه الجرأة وهذا التحدي ، فلا ينال سراقة بأي أذى ، ولا يحصل عليه أي ضرر من قريش ؟ وقد علموا بأنه قد خرج من دينهم في ظرف كان النبي صلى الله عليه وسلم سائراً في طريقه الى بلد المنعة خارج مكة ، يدين له بعض العرب بالرسالة

---

(٧) راجع كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ص١٠٥ ج٢ ط. دار صادر بيروت .
(٨) الروض الأنف ص٢١٧ ج٤ .

والطاعة .. ومنها : أن نسج الأبيات ركيك ، وتبدو عليها آثار الصنعة والتوليد .. ومنها : أن اقدامه على اعلان اسلامه وطلبه جهراً من أبي جهل أن يكف عن النبي أذاه ، ويزجر القوم عن عداوته ـ لو حدث هذا لكان له عقابيل سيئة على سراقة لا محالة ، يرويها 'كتَّاب' السيرة والأخبار .. ويشيدون بموقفه مثل ما أشادوا بمواقف من قام بجهر اسلامه في مكة قبل الهجرة وأثناءها .

وعلى كل فان تسمية الأبيات لأبي جهل ، بأبي حكم ، ربما كان فيها الشاعر ـ لو صحت نسبة الأبيات اليه ـ مجاملا لأبي جهل ومتلطفاً به لعله يتأثر من كلامه ونصحه له ، فلا يبطش به . وقد ألغى الاسلام هذا اللقب وسماه على واقع 'عتُوِّه وعمق جهله : « أبا جهل » . وذلك في حياة أبي جهل ومنذ صدر الاسلام . وقد تحدث به الشعر العربي ، ففي شعر حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول عليه السلام ما يثبت ذلك قال :

سماه معشره أبا حَكَمٍ	والله سماه « أبا جهل »(٩)
وتَبَّ ابنا ربيعة اذ أطاعا	(أبا جهل) لأُمِّهمَا الهبول(١٠)

وقال في غزوة بدر التي قتل فيها أبو جهل فرعون هذه الأمة :

فغادرنا أبا جهل صريعا	و'عتبَة قد تركنا بالجبوب(١١)

والجبوب هي الأرض الغليظة ، ويأصد بها (أرض معركة بدر الكبرى) التي وقعت فيها معركة انتصار الاسلام الأولى ، وهي بالفعل أرض غليظة كما هو مشاهد حتى الآن .

●—●—●

---

(٩) ديوان حسان ص٣٤٤ ط. المطبعة الرحمانية بمصر و ص١٥٨ ج١ ط. دار صادر بيروت .

(١٠) نفس المصدر والطبعة ص٣٤١ و ١٥٨ ط. دار صادر بيروت .

(١١) معجم ما استعجم للبكري ، من ص٩٥٥ الى ص٩٥٧ ج٣ ط. مطبعة التاليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م .

الحادث الثالث :

النزولُ على أم معبد في خيمتيها المنصوبتين بين قُديد والمُشَلَّل في احدى طرق المدينة الذاهبة من الطريق الذي يمر بسرف بعد مكة الى مَر ، فعُسفان ، ثم الى قديد ، فالمشلل ، وبينهما ثلاثة أميال ، ثم الى كُلَيَّة ، فالجحفة ، والى السقيا ، ووادي العبابيد الذي هو القاحة فيما يقول به البكري ثم الى بئر الطلوب ، وهناك طرق أخرى متشعبة لم يذكر فيها طريق الهجرة الا في مواضع معدودة(١٢) .

●—●—●

وقد ذكر أبو اسحاق الحربيّ الطريق بين المدينة ومكة مبتدئاً من العقيق ومنتهياً بالتنعيم . وبمقارنتنا بين ما أورده الحربيّ وما أورده عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسيّ اتضح لنا أن الطريق الذي أورده الحربي مجموع من بعض الطرق الواردة في معجم البكري . ويلاحظ أن الحربي من أهل القرن الهجري الثالث ، ولد سنة ١٩٨ هـ وعاش في القرن الثالث الهجري ، والبكري من أهل القرن السابع الهجري ، فهو متأخر عن الحربي بأربعة قرون ، وربما حدث تنوع واختلاف في الطرق خلال هذه المدة المديدة ، وقد وافق البكري الحربي في اعتبار بداية الطريق من المدينة الى مكة وذلك طبقاً لمسيرات حجاج المدينة ومصر والمغرب والشام الى الحج .

●—●—●

هذا ولأم معبد الخزاعية هذه حديث شائق في قصة طريق الهجرة النبوية الكريمة ، أفاض فيه بعض كتاب السيرة النبوية وفصلوا وقائعه تفصيلا كميلا جميلا ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ على خيمتيها اللتين كانت تنزل فيهما بين قديد والمشلل . وقديد كانت احدى منازل قبيلة خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم المخلصين ، وكانت أم معبد (عاتكة بنت خالد ، احدى بني كعب من خزاعة) امرأة

(١٢) نفس المصدر والطبعة ص١٧ .

بـَرزَة (أي طاعنة في السن : تبرز للرجال) جلدة ، تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم . فسألوها لحماً وتمراً ، ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً ، وكان القوم يقيمون في قـديد ، ُمرملين ، ُمشتين (أو ُمسنِتين َ(١٣) أي (مجدبين) . وأرى أن هذه الكلمة أقرب الى الانسجام مع أسلوب القصة ، وقد كان ظرف هجرة الرسول عليه السلام فصـل الصيف ، بدأ بها في يوم الاثنين غرة شهر ربيع الأول من (السنة الأولى للهجرة) الموافق ١٣ سبتمبر ٦٢٢م وكان دخـوله قرية قبـاء احـدى مداخل المدينة المنورة وضـواحيها ، من الجنـوب ، على ما يقوله محمد مختار ، في ٨ ربيع الأول من ذلك الشهر العربي(١٤) .

وهذا الذي يقول به محمد مختار لا يتفق في شطره الثـاني مع ما جزم به ابن اسحق ، من أنه صلى الله عليه وسلم خرج أول يوم من ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول(١٥) .

●—●—●

وبعد ما نزل الرسول بخيمتي أم معبد الخزاعية في وادي قديد نظر الى شاة في كسر الخيمة ، فقال : (ما هذه الشاة يا ُأمّ مَعبَد ؟) قالت: شاة خلفها الجهـد عن الغنم ، فقال : (هل بهـا من لبن ؟) قالت : هي أجهـد من ذلك . قال : « أتأذنين لي أن أحلبهـا ؟ » قالت : بأبي أنت وأمي ، ان رأيت بها فاحلبها ، فدعا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسح بيده ضرعها ، وسَمّى الله ، ودعا لها في شاتها ، فَتفاجَّت(١٦) عليه ، ودَرَّت واجترت ، ودعا باناء بربض الرهط ، فحلب فيه ثجاً ،

---

(١٣) ربما نشا هذا اللبس من كتابة الكلمة هكذا : (مسس) بدون نقط فتصبح قراءتها على الوجهين: (مشتين) و (مسنتين) ولها أمثال كثيرة فيما كتب قبل عهد وضع النقط على الحروف .

(١٤) التوفيقات الالهامية في مقابلة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكيـة والقبطيـة ، تاليف اللواء المصري محمد مختار باشا ص١ ط : المطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣١١ هـ .

(١٥) الروض الأنف للسهيلي ص٧ ج٢ ط : المطبعة الجماليـة بمصر سـنة ١٣٣٢ هـ ، وتعليقـات عبد الرحمن الوكيل على كتاب الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام ص٢١١ ج٤ ط : دار الكتب الحديثة بمصر .

(١٦) فتحت رجليها للحلب .

حتى علاه لبنها . وفي رواية أخرى : حتى علته الرغوة ، أو : حتى علاه البَهَاءُ – بريق الرغوة – ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم صلى الله عليه وسلم ، ثم أراضوا – أيْ كرروا الشرب حتى بالغوا في الارتواء – ثم حلب فيه ثانية ، بعد بدء حتى ملأ الاناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها – يعني على الاسلام – ثم ارتحلوا عنهـا . فمـا لبثت حتى جاء زوجها أبو معبـد يسوق أَعنُزاً عِجَافاً يَتَسَاوَكنَ – يتمايلن من شدة ضعفهن – هَزلى ، لانقى بهن ، فلما رآى أبو معبد اللَّبن عجب وقال : من أين لك هذا يا أم معبد والشـاة عازب حيال ، ولا حَلُوبَ في البيت ؟ قالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ، وقال : صِفيه لي يا أم معبـد ، قالت : رأيته رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثلجـة – عظم البطن – أو : نحـلة – أي ضعف وصغر – ولم تُزرِ به صعلة – أي صغر الرأس – وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره غطف (أو) وطف – أو عطف : الشـك من أبي محمد بن مسلم – الغطف والعطف والوطف – طول شعر أشـفار العين حتى تنعطف – وفي صوته صحل – البحح – وفي عنقه سطع – اشراف وطول – وفي لحيته كثاثة ، أحور ، أكحل ، أزجُّ ، أقرنُ ، شديد سواد الشعر ، ان صمت فعليـه الوقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حُلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظمن ، (أو) أربعة خرزات نُظُم تحدرن ، لا بائن من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به . ان قال أنصتوا له ، وان أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد ، (أي غير ظالم) .. قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكِرَ ، بمكة ، لقد هممتُ أن أصحبه ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا .

●–●–●

يقول محقق الكتاب عبد الرحمن الوكيل : (نقلت البحث من شرح

السيرة لأبي ذر الخُشَني (ص١٢٦ وما بعدها) مراجعا على ص٤٦٦ ج١ الخصائص للسيوطي ط. دار الكتب الحديثة . و ص١٣٩ ج٢ زاد المعاد لابن القيم) .. ويقول أيضاً محقق كتاب « الروض الأنف » عبد الرحمن الوكيل ، في حديث أم معبد انه : (ينم عن أسلوب أدبي ممتاز)(١٧) .

والحقيقة الماثلة للعيان أن حديثها حديث أدبي رائع ذو محاسن جمة ، وبلاغة سنية ، من نواح عديدة ، ففيه اجادة لوصف الأحداث الباهرة حتى لكأنك تشاهدها معها من كثب ، وذلك عند قدوم الرسول عليه السلام الى منزلها ، مستضيفاً . وفيه رونق جذاب وروعة تتمثل في وصفها للرسول خَلقاً وخُلقاً . فقد استجمعت صفاته المنيفة الشريفة في الساعات المحدودة التى أقام فيها بخيمتيها . وفيه بلاغة ظاهرة في وصفها لمعاملة من كانوا معه له ، وفي منزلها . وهكذا ثبت بما لا يقبل الريب أن ذهن هذه الأعرابية الصحابية الكهلة وبصرها كانا نفّاذين عبقريَّين سريعي الالتقاط والاستيعاب لما وقع في دائرتيهما ، جيدي التصوير لكل ما يمر بهما من أحداث وشؤون .

هذا وفي رسالة من عاتق بن غيث البلادي أن مكان خيمتي أم معبد يعرف اليوم بأرض أم معبد بأسفل وادي ُقديد ، جنوب قرية صعبر على ١١ كيلومتراً ، وشمال مكة على ٢٧ كيلا يمين الاسفلت .

●—●—●

تكملة قصة أم معبد

كان أمر رسول الله وصاحبه ومن معهما في هجرتهم الى المدينة قد خفي على جماعة المسلمين الذين بقوا بمكة بعد هجرة الرسول منها الى المدينة ، ومنهم أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ولم يدروا أين توجهوا، وماذا حل بهم بعد فراقهم مكة ، لقد استبد بهم الخوف والقلق حتى مَرَّ

(١٧) راجع هامش الصفحة ٢٢٢ من شرح الروض الأنف ج٤ ط : دار الكتب الحديثة بمصر .

هاتف بمكة يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد أبياتاً شعرية رصينة، يروى فيها قصة أم معبد مضيفة الركب النبوي في منزلها بقُدَيد ، ويتحدث عن الطريق الذي سلكوه الى المدينة . ويبشر أصحابه المتخلفين بمكة ، بنجاح هجرتهم .

قالت أسماء راوية قصة هذا الهاتف المسموع غير المرئي : (فلما سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان الى المدينة(١٨) وهذه هي الأبيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتي أم معبد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم	ومقعدُها للمؤمنين بمرصد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لَقُصَي ما زوى الله عنكم	به من فعال لا يجازى وسؤدد ؟
سلوا أختكم عن شاتها وانائها	فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فَتَحلَّبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها بحالب	يرددها في مصدر ثم مورد

قال 'كتَّاب' السيرة النبوية : ان حسان بن ثابت الأنصاري" (شاعر الرسول) صلى الله عليه وسلم ، لما بلغه شعر هذا الهاتف وهو في المدينة قال يجيبه ويؤيده فيما هتف به ، ويندد بقريش ، وكان ذلك فيما يبدو من فحوى شعره بعد وصول النبي الى المدينة في هجرته المباركة على العالمين :

لقد خاب قوم غاب عنهم نَبِيُّهم	وقد سر من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة رَبُّهم	وأرشدهم .. من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا	عَمَى ، وهُداة يهتدون بمهتد ؟
لقد نزلت منه على أهل يثرب	ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب	فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

(١٨) الكامل في التاريخ لابن الأثير علي بن أبي الكرم ص١٠٦ ج٢ ط : دار صادر بيروت .

واذا كان لمثلي أن يقول رأيه في قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه ، فانه يبدو لي من نصوص أبياتها ، أنه قالها عقب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة لا قبلها ، وذلك أنه ينص فيها على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حل في المدينة اذ يقول :

تَرَحَّلَ عن قوم فَضَلَّت عقولهم ... وَحَلَّ على قوم بنور مُجَدَّدِ

هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يَرْشُدِ

واذ يقول أيضاً :

لقد نزلت منه الى أهل يثرب ... رِكَابُ هُدى حلت عليهم بأسعُدِ

●—●—●

نسب أم معبد وذويها

واسم أم معبد هو عاتكة . (وأم معبد كنية لها) ونسبها في رواية: بنت خالد بن منقذ الخزاعي ، ولها أخ من أبيها اسمه حُبيش وهو صحابي أيضاً ، ولها من الولد ثلاثة هم: معبد ونضرة وحُنيدة . واسم زوجها المُكَنَّى بأبي معبد : أكثم بن عبد العزيز بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن حبيش « راجع السيرة النبوية لابن كثير ص٢٥٧ ج٢ » .

●—●—●

نسب خالد الخزاعي والد أم معبد في رواية ثالثة

واليك اسماً آخر لخالد ونسباً آخر له ، فهو : خنيف ــ بالتصغير ــ ابن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حبيش ــ بالتصغير أيضاً ــ ابن حزام ابن حُبشِيَّة بن كعب بن عمرو ، وعمرو هذا هو أبو خزاعة كلها . ويختلف اسم والد خالد عما ورد آنفاً في رواية الاصابة للحافظ ابن حجر : فهو خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حُبيش بالتصغير بن حرام بن حُبشية بن كعب بن عمرو . وهذه رواية رابعة ، لمسلسل نسب خالد والد أم معبد .

وعلى كثرة رواة قصة أم معبد فقد ضعف سندها الذي رويت به ، وقد أخرج بعضها كل من البغوي وابن شاهين ، وابن السكن ، وابن منده ، والطبراني وغيرهم من طريق صرام بن هشام بن حبيش عن أبيه حبيش بن خالد (وحبيش هذا هو أخو أم معبد وهو صحابي) كما قدمنا ، وبعضها في تاريخ الطبري على ما أسلفناه .

ولم يصرح في رواية البغوي ومن ذكرهم بعده بذكر الجني وانما قيل في روايتهم : « فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه » ولكن غرام الرواة بالجن جعلهم يغرمون بذكرهم وراء كل شأن عجيب(١٩) .

هذا وقد أيد ابن عبد البر قصة أم معبد ووثقها في كتابه (الدرر في اختصار المغازي والسير)(٢٠) .

وقد ترجم الحافظ ابن حجر العسقلاني لأم معبد في « الاصابة » كما ترجم لخالد الأشعر والد أم معبد ترجمة موجزة (مادة خالد) .

وذكر له روايته لحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .

كما ترجم الحافظ ابن عبد البر لخالد أيضاً فقال في ذكر أسماء الصحابة الذين تسموا باسم (خالد) : (خالد الأشعري ـ الأشعر) الخزاعي (الكلبي) (يبدو أن صحته : الكعبي) . وقد اختلف في اسم أبيه على ما قدمناه . وقال الواقدي : 'قتل مع 'كرز بن جابر بطريق مكة عام الفتح(٢١) .

●—●—●

الحادث الرابع :

اسلام 'بريدة الأسلمي . وهو : بريدة بن الخصيب بن عبد الله بن

(١٩) هوامش الروض الأنف ، لعبد الرحمن الوكيل ص٢٢١ ج٤ .
(٢٠) الدرر في اختصار المغازي والسير ، لابن عبد البر ص٨٩ طبع القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .
(٢١) الاستيعاب ، لابن عبد البر ص٤١٢ ز ٤١٣ ج١ ط : مطبعة السعادة بمصر .

الحـارث بن الأعرج ، و'يكنى أبا عبد الله ، وقيـل : يكنى أبا سهل . وقيل أبا الخصيب ، وقيل : يكنى أبا ساسان ، والمشهور : أبو عبدالله. أسلم 'بريدة قبل بدر ، ولم يشهدها ، وشهد الحديبية ، فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة . وحينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل ذلك من مكة الى المدينة فانتهى الى الغميم أتاه بريدة' بن الخصيب فأسلم هو ومن كان معه ، وكانوا ثمانين بيتاً فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ، فصلوا خلفه ، ثم رجع بريدة الى قومه وقد تعلم شيئاً من القرآن ليلتئذ ، ثم قدم على رسول الله .. بعد 'أحد .. فشهد معه مشاهده ، وشهد الحديبية(٢٢) .

ويبدو جلياً أن سبب عدم شهود بريدة لغزوة بدر هو رجوعه الى قومه أثناء الهجرة النبوية بعد أن أسلم ، وبقاؤه بين ظهرانيهم مسلماً الى ما بعد غزوة أحد ، ومن ثم شهد المشاهد التي تلت غزوة أحد مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن حسن حظ 'بريدة أنه أتى النبي عليـه السـلام في طـريق هجرته وهو في الغَـميم(٢٣) وكان اسـلامه على يديه ، وتعلم منه شيئاً من القرآن ، ويضاف الى هذه المناقب اسلام قومه وهم ــ زهاء ثمانين بيتاً ــ اذ ذاك ، ولا بد أن رجوعه الى قومه ومكثه لديهم الى ما بعـد غزوة أحد يعود الى اطمئنانه بالايمان وربما يعود مع ذلك الى ارشاده لقومه المسلمين .. فكان بريدة الأسلمي أحد الصحابة الأجلاء الذين أسهموا اسهاماً فعلياً في نشر الاسلام في بلاد العرب والعالم ، كما أسلم قومه الأسلميون معه أثناء قدومهم معه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ماض في طريق هجرته من مكة الى المدينة .

ويقول ابن عبد البر عن 'بريدة الأسلمي : انه كان من سـاكني

---

(٢٢) الاستيعاب لابن عبد البر ص١٧٣ و١٧٤ ج١ ط : مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ و « الغميم » : بفتح الغين المعجمة وكسر الميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم أوفى ابن موالة الغبري وشرط عليه اطعام ابن السبيل والمنقطع وكتب له كتاباً في أديم أحمر .

(٢٣) الاستيعاب ، لابن عبد البر ص١٧٣ و١٧٤ ج١ ط : مكتبة المتنى ببغداد (بالأوفست) .

المدينة ثم تحول الى البصرة ثم خرج منها الى خراســان ، غازياً ، فمات بمرو ، في امرة يزيد بن معاوية وبقي ولده . وقد روى الحافظ ابن عبد البر حديثاً عن عبد الله بن ُبريدة الأسلمي هذا عن أبيه قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطير ولكن يتفاءل » .

وذكر الحافظ شاهداً على تفــاؤل النبي وعدم تَـطيُّـرِه أن بريدة كان ركب في سبعين راكباً من أهل بني سهم فتلقى النبي ، فقال له نبي الله : من أنت ؟ قال : أنا بريدة ، فالتفت الى أبي بكر فقال : « يا أبا بكر برد أمرنا وصــلح » .. ثم قال : ممــن أنت ؟ قلت : من أســلم ، قال لأبي بكر : « سلمنا » . ثم قال لي : من بني من ؟ قلت : من بني سهم ، قال : « خرج سهمك » . وروى البخاري عن محمد بن مقاتل عن معاذ بن خالد عن عبد الله بن مسلم الأسلمي من أهل مرو ، قال سمعت عبد الله ابن بريدة يقول : « مات والدي بمرو و ُقبر بالحصين وهو قائد أهل المشرق ونورهم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أيما رجل مات من أصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة) . راجع المصدر السابق نفسه ص١٧٥ و١٧٦ .

●—●—●

الحادث الخامس :

عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من القاحة في طريق هجرته الى المدينة وهبطا وادي العرج أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رجل من أسلم اسمه أوس بن عبد الله بن حجر ، رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل يقال له : « ابن الرداء » الى المدينة ، وبعث معه غلاماً يقال له « مسعود بن ُهنيدة » .

وقد كان هذا الرجل الذي حمل رسول الله على جمل له ، وبعث معه غلاماً له حتى وصل المدينة ، من الأسلميين الذين أسلموا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أثناء هجرته الى المدينة .

وقد روى صخر بن مالك بن اياس بن مالك بن أوس بن عبد الله

ابن حجر ، وهو شيخ من أهل العرج . عن جده الاعلى أوس بن عبد الله ابن حجر أنه قال : مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر متوجهين الى المدينة ، بدوحات بين الجحفة وهرشى ، وهما على جمل واحد ، فحملهما على فحل ابله وبعث معهما غلاماً يقال له مسعود ، فقال له : اسلك بهما مخارم الطريق التى سماها ، ورجع الرسول مسعود الى سيده أوس بن عبد الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مسعوداً أن يأمر سيده يسم الابل في أعناقها قيد الفرس .. قال صخر راوي الحديث : فهي سمتنا الى اليوم . وقد قيل في أوس : أوس بن حجر الأسلمي ، وقيل أبو أوس تميم بن حجر الأسلمي ، كان ينزل الجذوات من بلاد أسلم ناحية العرج ، وكلهم ذكره في الصحابة ، وقد قال فيه بعضهم : أوس بن حجر ــ بضمتين ــ كاسم الشاعر التميمي الجاهلى(٢٤) .

●—●—●

الحادث السادس :

من أحداث طريق الهجرة ما رواه الامام أحمد بن حنبل بسنده عن مصعب بن عبد الله هو(٢٥) الزبير ، قال حدثني أبي عن قائد مولى عبادل قال : خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى اذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ، وسعد هو الذي دلّ رسول الله على طريق رَكُوبَة ــ ثنية بين مكة والمدينة عند العرج ــ فقال ابراهيم : ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم أتاهمومعه أبو بكر، وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار في الطريق الى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من رَكُوبة ، وبه لِصّان من أسلم ، يقال لهما : المُهانان . فان شئت أخذنا عليهما .. فقال النبي : « خذ بنا عليهما » ..

---

(٢٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ ابن عبد البر النمري القرطبي ج١ ص٨٢ ط : مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .

(٢٥) ربما كان هذا غلطا مطبعيا أو نسخيا يبدو أن صحته هو (ابن) الزبير .. لأن (عبد الله) هو (ابن) الزبير ، وليس هو (الزبير) .. كما هو معروف .

قال سعد : فخرجنا حتى اذا أشرفنا ، اذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليَمَا نِتي .. فدعاهما رسول الله ، فعرض عليهما الاسلام فأسلما . ثم سألهما عن أسمائهما ، فقالا : نحن المُهانان ، فقال عليه السلام : « بل أنتما المُكرَمَا نِ » ، وأمرهما أن يَقدَما عليه المدينة(٢٦) .

ويقول السمهودي عن « ركوبة » هذه : انها بالفتح كحلوبة ، ثنية بين مكة والمدينة عند العرج على ثلاثة أميال منه لجهة المدينة . ونسب هذا القول الى الأسدي ، وبها ثنية الغائر(٢٧) .

●—●—●

وبوسعنا ان نأخذ فوائد طبعية لبحثنا هذا عن طريق الهجرة ، من هذا الحادث ومن حديث سعد .

وأول هذه الفوائد : أن عبد الله بن أرقط على خبرته ومهارته في معرفة الطرق بين مكة والمدينة ، وارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أن يقوم بمهمة دلالتهما في طريق هجرته فانه لم يكن الدليل الوحيد بل شاركه في الدلالة سعد أبو عبد الرحمن راوي الحديث المشار اليه آنفاً . ولعل السبب في ذلك يعود الى فحوى المثل العربي القائل : « أهل مكة أدرى بشعابها » . فسعد هذا من أهل هذه المنطقة التي فيها الطريق المختصر الى المدينة ، وسعد على كل حال أخبرُ بها وبمسالكها ، فأقره الرسول المصطفى على دلالته الرشيدة الصائبة في هذا المكان ، وهكذا جُمِدت دلالة ابن أرقط في هذا الجزء من الطريق .

وثاني هذه الفوائد : ما تحدث به راوي الحديث من أن الرسول عليه السلام أراد اختصار الطريق ، وليس من ريب في أن اختصار

---

(٢٦) السيرة النبوية لأبي الفداء اسماعيل بن كثير ص٢٦٥ و ٢٦٦ ج٢ تحقيق مصطفى عبد الواحد ط : مطبعة عيسى الحلبي بمصر . وقولهما عن الرسول : هذا اليماني ، باعتبار أن مكة تقع الى جهة اليمن بالنسبة لمقرهم في شمالها ، ولا يزال هذا مستعملا لدى البادية حتى اليوم .

(٢٧) وفاء الوفا ص٣١٢ و٣٦٩ ج٢ الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٢٦ هـ راجع مادتي ركوبة ومدارج .

الطريق مطلب حميد ، لعدم اضاعة الوقت في سلوك الطريق الأطول ، وبخاصة ان هناك معقبين لهجرة الرسول ، من قريش .

وثالث الفوائد : أن تغيير الاسم القبيح للانسان المسلم الى اسم حسن هو أمر شَرعَه رسول الله مع هذين المسلمين ومع غيرهما .

●—●—●

الحادث السابع :

ذكروا من أحداث طريق الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي الزبير بن العوام ، ابن عمته صفية رضي الله عنهما وهو في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسا أبا بكر ثياب بياض(٢٨) ، وهي التي دخلا بها المدينة .. بدليل ورود هذا الحديث نفسه في صحيح البخاري عن عروة بن الزُبَير أيضاً ، فقد جاء في الحديث الذي أورده البخاري أن رجلا من يهود أوفى على أطم من آطامهم لأمر ينظر فيه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معاشر العرب هذا جَدُكُم الذي تنتظرون !(٢٩) .

---

(٢٨) السيرة النبوية لأبي الفداء اسماعيل بن كثير ص١٤٩ ج٢ .

(٢٩) صحيح الامام البخاري في باب الهجرة النبوية ص٢٢٨ و٢٢٩ ج٢ طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ١٩٥٣ م .

الفصل السّادس

قبيلة ام معبد حليفة الرسول الله صلى الله عليه وسلم



كانت قبيلة ’خزاعة التي منها أم معبد قد دخلت في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما شرطت قريش للرسول وشرط لهم أن من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله وعهده ، وقد اغتنم بنو بكر ’حلفاء’ قريش هذه الهدنة فَبَيَّتُوا خزاعة أخذاً بثأر كان لهم عليهم ، وذلك على ماء لهم يسمى (الوتير) وقد قتلوا رجلا منهم وتجاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل ، مستخفياً ، حتى أجازوا خزاعة الى الحرم ، ومع ذلك لم يكُفُّوا عن قتالهم ، وقد لجأت خزاعة في مكة الى دار بديل بن ورقاء، ودار مولى لهم اسمه رافع . وبذلك نقضت قريش العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا في عقد رسول الله وعهده ، وعندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي أحد’ بني كعب قوم أم معبد مضيفة الرسول في ’قديد ، في طريق هجرته الى المدينة ، خرج صوب المدينة ومضى حتى قدمها ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف على الرسول وهو جالس في المسجد النبوي بين ظهراني الناس فقال شعراً :

يا رب اني ناشِد محمدا	حلف ابينا وابيه الأتلدا
نحن ولدناك فكنت ولدا	’ثمتَ’ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أيدًا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لى في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل واقل عددا
هم بَيَّتُونا بالوتير ’هجَّدا	وقتلونا ر’كَّعا و’سجَّدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ’نصِرت يا عمرو بن سالم » ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان ـ أي سحاب ـ من السماء،

فقال : « ان هذه السحابة لَتَستَهِلُ بنصر بني كعب »(١) .

●—●—●

وهكذا نرى الشاعر الخزاعي عمرو بن سالم قد أحسن طريقة عرضه ـ شعراً ـ لقضية مباغتة قبيلة بني بكر لهم في عقر دارهم ، ونصرة قريش لهم بعد أن عاهدوا الرسول على الهدنة ، وذلك باسهامهم خفية مع بني بكر في قتال خزاعة ليلا وبالحرم . وقد كان من براعة استهلال عمرو بن سالم لأبياته البليغة التى عرض فيها شكوى قومه المظلومين قوله في مطلع أبياته الرجزية المذكورة آنفاً :

يا رب انى ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
نحن ولدناك فكنت ولدا	ثُمتَ أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أيِّدا ،	وادع عباد الله يأتوا مددا

كما كان بليغاً في عرضه لقصة نقض قريش المشركة لميثاقها مع الرسول بنصرتها خفية لبني بكر حلفائهم ، على خزاعة حلفاء الرسول وذلك عندما قال :

ان قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المُؤكّدا
وجعلوا لى في كَداء رصدا	وزعموا أن لستُ أدعو أحدا

---

(١) سيرة ابن هشام ص٣٢=٣٧ ج٤ ط : مصطفى البابي الحلبي بمصر تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي .

الفصل السّابع

طريق الهجرة

يبدو جلياً ، أن أغلب الخط الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته الى المدينة لم يكن (الطريق الأعظم) الذي اعتاد الناس سلوكه بين البلدين .. يقول ابن عبد البر : « ثم مَروا على خيمتي أم معبد فكان من حديثها ما هو منقول مشهور عن الثقاة ، ونهضوا قاصدين على غير الطريق المعهودة . وقد وصف بعض أهل السير مراحله يوماً فيوماً(١) . ويقول ابن خلدون : (وتواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق ، واستأجرا عبد الله بن أريقط الدؤلي ــ الدئلي ــ من بني بكر بن عبد مناف ليدل بهما الى المدينة وينكب عن الطريق العظمى)(٢) .

ان طريق الهجرة على ما يترآى من متابعة سيره العام يحيد عن الطريق الأعظم ، متعمداً أحياناً كثيرة ، واذا دخل فيه أحياناً فقد يشقه عرضاً ويعترضه ثم يخرج عن مجراه . والباعث على ذلك ما أوضحناه مراراً في غير هذا المكان ، ألا وهو تحاشي أنظار الكثرة من المسافرين بالطريق الأعظم ، وتجنب تعقيبات قريش للرسول في طريق هجرته الذي 'يرجَّح' عادة أنه الطريق الأعظم .

وقد قمنا ــ بقدر الطاقة والامكانات المتاحة لنا ــ بوضع خريطة تقريبية لهذا الطريق المأثور الذى سلكه الركب النبوي المهاجر الى المدينة والذي يبدو أنه لم توجه اليه من قبل دراسات علمية شاملة ودقيقة للتعريف بجميع أجزائه وانعطافاته ومسالكه .

وفيما يلي « بيان » شامل مسلسل عن الخط الذي سلكته الهجرة النبوية من مكة الى المدينة :

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ص٨٩ . وقوله (ونهضوا) اي من خيمتي ام معبد كما هو واضح من سياق الكلام .

(٢) تاريخ ابن خلدون ص٧٣٨ المجلة الثاني ط. دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ م . ومما يجب أن ننبه اليه بالمناسبة ان طبعة تاريخ ابن خلدون هذه كثيرة الأغلاط الفاحشة ، فشكلت قباء بكسر القاف ، وسَمَّيت السَّنح' (السَّخ) ص٧٣٩ م٢ . وهكذا .

فأولا :

كان خروج الرسول عليه السلام ومعه أبو بكر رضي الله عنه من مكة ــ الى ناحية جنوبها الشرقي حيث موقع جبل ثور بأسفلها ــ وهذا الطريق ليس بالطريق الأعظم المسلوك بين مكة والمدينة ، بداهة ، وليس من الطرق الأخرى المذكورة في كتب البلدانيات . فان المدينة تقع في شمال مكة ، وجبل ثور الذي ذهب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه يقع في جنوبها الى الشرق . وكان القدامى يسمون الأماكن الواقعة من مكة في جنوبها (أسفل مكة) ويسميها من جاء بعدهم بالمسفلة، أي الأماكن السفلى بمكة ، أخذاً من التسمية القديمة التي ربما كان سبب اطلاقها على الناحية الجنوبية من مكة أنها منخفضة ، فهي مجرى بعض سيول مكة التي تجري منها صوب الجهة الجنوبية .

والسبب الذى جعل الرسول يبدأ هجرته المتجهة الى الشمال من مكة المكرمة ، بالخروج منها بادىء ذي بدء الى الجنوب منها ، هو كما أشرنا اليه آنفاً : ابعادُ عيون قريش وجواسيسهم عن خط مسيرته التي سلكت طريقاً غير مقدر لديهم أنه يسير فيها صوب المدينة . ولقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل ثور ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه ، ليلتهم ، ومن الغد الى الظهر ، ورأوا صخرة طويلة فَسَوَّى أبو بكر عندها مكاناً لِيَقيلَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستظل بظلها ، فنام رسول الله عليه السلام في بقية ظلها وحرسه أبو بكر ، ثم رحلوا بعد ما زالت الشمس(٣) .

وبوسعنا أن ندعم نظريتنا القائلة بأن طريق الهجرة لم يكن كله أو جُله الطريق الأعظم المسلوك للقوافل والمسافرين من مكة الى المدينة ندعمها بما أورده أبو اسحق الحربي في كتابه (المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة) الذى حققه حمد الجاسر ونشرته دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .. فان الحربي عقد بحثاً مستفيضاً في كتابه

(٣) كتاب الكامل لابن الأثير ص١٠٤ و١٠٥ ج٢ ط : دار صادر بيروت .

المذكور ، عنوانه في المطبوعة : (وهذا ابتداء خبر الطريق بين المدينة ومكة) واستمر في هذا البحث من الصفحة ٤٢٠ حتى الصفحة ٤٦٨ .

ونحن هنا ننقل خلاصة ما ورد في هذا البحث من أسماء منازل الطريق الأعظم المسلوك قديماً بين الحرمين ولكننا ننقلها عنه عكساً لا طرداً كما فعل حمد الجاسر في تلخيصه بالبيان الذي ضمنه أجزاء هذه الطريق(٤) – أي ان ما جعله الحربي ، وحمد الجاسر أول منزلة من منازل الطريق : من العقيق حتى التنعيم جعلناه آخرها ، وذلك لأن الحربي بدأ بالتعريف بهذه الطريق من المدينة الى مكة . ونحن سرنا مع طريق الهجرة من مكة الى المدينة .

فنقول مراعين لهذا الترتيب الطَّبَعِي" بالنسبة لموضوع هذا الكتاب ، ان هذا الطريق يبدأ من :

التنعيم
فَسَرِف
فبطن مرّ
فعُسفَانَ

فأمَج

فقديد

فالجحفة
فالأبواء
فالسقيا
فالطلوب
فالعرج

فالرويثة

---

(٤) راجع الفهارس العامة لكتاب الحربي ص٦٨٠ و٦٨١ .. ونشير الى ان هذا البيان من وضع حمد الجاسر وترتيبه كما هو واضح من المطبوعة .

فالروحـــاء
فالســـيالة
فَمَلَـــل
فالجفـــير
فذي الحليفة (الميقات)
فقناة معاوية
فالعقيـــق .

ونحن هنا اذا تأملنا مجرى هـذا الطريق الأعظم ، ونظرنا الى ما حواه من منازل هجرة الرسول عليه السـلام نجد هذا الطريق الأعظم يحوي أسماء ١٩ موضعاً ، ومن بين هـذه المواضع التسعة عشر توجد أربعة مواضع فقط مذكورة في طريق الهجرة النبوية ، وقـد وضعنا تحتها خطوطاً أفقيـة للتمييز ، وهي : عسـفان ، وأمج ، وقـديد ، والعرج .

ومن هذا نتوصل الى أن خط سير النبي عليه السلام في هجرته لم يكن نفس الطريق الأعظم من مكة الى المدينة مطلقاً ، وانما كان خطاً خاصاً دخل منه أربعة منازل فحسب في مجموعة منازل الطريق الأعظم ، على أنّ بعض هـذه المواضع عارضها خط الهجرة بعد أن دخلهـا من أسفلها متجنباً سلوك الدرب الأعظم ، وقد قطعها عرضاً نافذاً الى اتجاهه الخاص .

هذا ويلاحظ اضافة لذلك أن مسيرة الرسول من مكة الى جبل ثور، ومن جبل ثور الى ما يسامت البحر الأحمر هو أيضاً ذو أهمية في موضوع الاستخفاء عن عيـون الجواسيس والراصدين والمعقبين له من ناحيـة قريش ، وهو على كل حال متجنب عمـداً ، خط الطريق الأعظم كمـا أشرنا اليه فيما سبق .

●—●—●

وكان من نتائج دراسـتنا لطريق الهجرة هـذه أن لاحظنـا أن

(انعطافين) حدثا في طريق هذه الهجرة ، أولهما : في الخروج من مكة الى نقطة الاتصــال بجانب أو جوانب من الطريق الأعظم الســائر الى المدينة ، وثانيهما : حدث بعد وصول الرسول الى 'قباء . فانه انعطف منها الى الناحية الغربية فالشّمالية ، تاركاً الطريق المعتاد الذي يسير من قباء الى المدينة رأســاً بدون أي انعطاف ، وقد دخل الرســول عليه الصلاة والسلام المدينة من ناحيتها الشمالية من ثنية الوداع التي تقع بشمالها .

ثانيــاً :

بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من الغار وَاصَلَ الركبُ النبوي الكريم رحلته 'قُدماً ، في نطاق المنعطف الأول الذي يمثل أول خط الهجرة ، أي منذ قيامهم من جبل ثور ، وقد استمرت مسيرتهم طيلة يومهم وطيلة ليلهم ، واستمر سيرهم في اليوم التالي حتى ظهره ، فلمــا اشتد عليهم الحــَرُّ ، رأى أبو بكر رضي الله عنه أن ينزلوا بأي مكان مناسب يجدونه . وقد استقبلتهم صخرة طويلة اذ ذاك ، فقرر أبو بكر أن يستظل رسول الله صلى الله عليــه وسلم بما تبقى من ظلهــا ، وأن يهيء له أخذ قسط من اغفاءة وراحة .. ففرش له فروة ، وطلب منه أن يضطجع ، فوافق الرسول ، ونام هنيهــة ، وعنــدما اســتيقظ من اغفاءته كان أبو بكر قد أحضر له ('كثبة) ــ قليلا ــ من لبن احتلبه له فتى من غلمان قريش كان يرعى هناك بعض غنمهم .. مما يدلنا على أن هذه الصخرة كانت حول موقع 'جِدّة تقريباً وقبل مَحَطَّة عسفان على كل حال .. وربما تمكنت الجامعة من استكشافها اذا بعثت لذلك بعثة علمية واعية .. وربما يكون في ذلك مفتاح جديد لمعرفة طريق الهجرة النبوية من المنبع الى المصب ان شاء الله .

●—●—●

وعلى ذكر الصخرة الطويلة هذه نورد فيما يلي ما اطلعت عليه من

الصخور التى وصفت بالطول أو رأيتها كذلك في هذه البلاد ..

فأولا : هذه الصخرة التى وصفت في طريق الهجرة النبوية بأنها طويلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استظل ببقية ظلها في الهاجرة ونام في ظلها هنيهة وشرب لَبَناً عندها .

ثانياً : وهناك صخرة أخرى طويلة شاهدناها في طريقنا الى بلاد بني ُسليم وشكلها يشبه ُعنق الجمل تماماً . وقد نشرت صورتها في كتابي : « بين التاريخ والآثار » وها ئنذا أعيد نشر صورتها هنا للمناسبة القائمة) .

ثالثاً : وهناك صخرة ثالثة وصفت بأنها طويلة أيضاً .. وجاء ذكرها في كتابنا : « تاريخ مدينة ُجدّة » .. وهذه الصخرة الطويلة كانت تقع قرب مدينة ُجدة في الجهة الجنوبية منها وكانت صنماً لمالك وملكان ابني كنانة . وكان اسم هذا الصنم «سعداً» وكان صنماً معبوداً في الجاهلية .. وقد جاء اليه أعرابي بابله ، فنفرت الابل لما رأت الصخرة الطويلة .. وهربت منه فأخذ حجراً فرماها به وقال :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا	فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة في تنوفة	من الارض لا يدعى لغيّ ولا رشد؟(٥)

وكلا الانعطافين المشار اليهما آنفاً ُيكَوِّنان شبه سية القوس ، أو نصف دائرة . وقد حاولنا أن نرسم شكليهما في الخريطة التقريبية التي وضعناها لهذا الكتاب وذيلناها به .

ثالثاً : ثم سلك عبد الله بن أريقط بالرسول عليه السلام من أسفل وادي أمَج (بفتح الهمزة وبالميم المخففة المفتوحة بعدها جيم) .. ومعنى الأمج لغة «العطش» .. ولست أدري أتوجد علاقة بين الاسم والمسمى ،

---

(٥) (راجع تاريخ مدينة جدة ص ٥٥) ـ للمؤلف .

أم ــ كما يقولون ــ ان الأسماء لا تعلل ؟ بمعنى أنها لا تُعرَف دائماً علة التسمية بها وخاصة بعد انقضاء زمن مديد عليها .

وأمج وغران واديان متلازمان ــ وغران بضم الغين المعجمة وفتح الراء المخففة بعدها ألف ونون ــ وهما يأخذان من حــرة بني سُليم ، ويفرغان في البحر الأحمر(٦) .

ووادي أمج كان من منازل خزاعة ، وهو غير بعيد عن قديد احدى منازلهم بطريق الهجرة ، وكان به منزل أم معبد الخزاعية . ووادي أمج أقرب الى مكة من قديد .

يحدثنا ياقوت في « معجم البلدان » ضمن تعريفه لوادي أمج هذا ــ يحدثنا بحديث الوليد بن العباس القرشيّ الذي نورده لك ــ للمناسبة القائمة ــ فيما يلي :

قال الوليــد بن العبــاس : خرجت الى مكة في طلب عبــد آبق ، فسرت ســيراً شــديداً حتى وردتُ أمج في اليوم الثالث غدوة ، فتعبت فحططت رحلي ، واستلقيت على ظهري واندفعت أُغني :

يامن على الأرض من غاد ومُدلـج	**أقر الســلام على الأبيــات من أمج**
أقر الســـــلام على ظبي كلفت به	**فيهــا أغن غضيض الطرف من دعج**
يا من يبلغــــه عني تحيـــــة : لا	**ذاق الحمام وعاش الدهر في حرج(٧)**

قال : فلم أدر الا وشــيخ كبير يتوكأ على عصا ، وهو يهــدج الي فقال : يا فتى . أنشــدك الله الا رددت الي الشــعر . فقلت : بلحنــه ؟ فقال : بلحنه ! ففعلتُ فجعل يتطرب ، فلما فرغتُ قال : أتدري من

---

(٦) معجم البلدان لياقوت الحمويّ ص٣٥٧ ج١ ط. طهران بايران . ووصف البحر بالأحمر في المتن هو زيادة من عندنا لتعيين هذا البحر لقراء اليوم فلا تذهب أفكارهم الى البحار الأخرى .

(٧) ربما كان معنى البيت : يا من يبلغــه عني التحية أي الدعاء الذي هو لا ذاق الحمام ولا عاش الدهر في حرج أي ولا رآى ضيقا في حياته . وقد اضطر الشاعر الى حذف (لا) الثانية لاستقامة الوزن ، وفي ألفية ابن مالك :

وحــذف ما يعــلم جائز كمــا ـــ تقـول زيد ، بعـد من عنــدكما ؟

قائل هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قال : أنا والله قائله منذ ثمانين سنة . واذا الشيخ من أهل أمَـج(٨) .

ويلوح أن (أمجاً) يومئذ لم يكن بلداً . انه ما زال وادياً مأهولا ببعض الأعراب من خزاعة وغيرهم ، ولهم به مزارع ونخيل وآبار على نحو ما نراه في طريق مكة ـ المدينة في العصر الحاضر .

●—●—●

هذا وقد قال أبو اسحاق الحربي : (وبأمج نحو من عشرين بئراً يزرع عليها ، وهي لخزاعة وفيه جماعة منها . وأمج كثيرة المزارع والنخيل(٩) . ويقع (أمج) اليوم في ديار بني سليم(١٠) . وكان لخزاعة على ما ذكره الحربي .

ويقع وادي أمج بعد وادي خليص ـ بالتصغير ـ أحد منابع العين العزيزية بِجُدة التي أجراها الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله لتروي مياهها العذبة الثرة مدينة ُجدة .. ويقع أمج بعد خليص بجهة مكة بميلين(١١) . وبعد أمج بميل ، وادي الأزرق المعروف قديماً بوادي ُغران .

وقد اهتمت ادارة العين العزيزية بوادي ُغران ، ووادي خليص من أجل مشروع سقي مدينة ُجدة بمياهها ، وليسهما معاً في زيادة ثروة المياه العذبة المجراة الى جدة ، وفي كتاب تاريخ العين العزيزية للمؤلف نرى استطلاعات العين الفنية من قبل مهندسيها تشمل وادي خليص وغران . ونتائج بحوث المهندسين الجيولوجين تفيد باجتماع

---

(٨) معجم البلدان ص٣٥٧ ج١ طبعة طهران .

(٩) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لابراهيم بن اسحق الحربي المكنتي بأبي اسحق ص٤٦٠ و٤٦١ نشر دار اليمامة .

(١٠) وفاء الوفا ص٢٤٩ ج٢ طبعة أولى ، وبنو سليم كتاب للمؤلف ص٣٦ طبع مطبعة دار العلم للملايين ببيروت .

(١١) الميل مقياس للطول قدر قديماً ب ٤٠٠٠ ذراع ، وحديثاً ب ١٧٦٠ ياردة (المعجم الوسيط مادة ميل.

الواديين قبل انصبابهما في البحر الأحمر وقد بينوا أن فيهما مياهاً جوفية غزيرة(١٢) .

رابعاً : وبعد وادى أمج نرى عبد الله بن أرقط دليل الركب النبوي الى المدينة يعارض به الطريق العام ، بعد أن أجاز به وادي (قديد) بالتصغير ، وسميت قديداً لتقدد السيول بها(١٣) .

وقديد اسم واد به قرى صغيرة ، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم الى اليوم ، ويقع قبل رابغ في طريق مكة الى المدينة من قبل أن يصبح هذا الطريق خارجاً عنه . وبقديد مياه جوفية غزيرة ، كما حدثني به رئيس ادارة العين العزيزية بجدة السيد حسين الصافي قبل بضع سنوات ، وهذه المياه صالحة للزيادة في سقي مدينة ُجدة اذا سيقت اليها بأنابيب لأنها ثرة وعذبة .

وقد حافظ وادي قديد على هذا الاسم التاريخي العربي القديم حتى الآن . ومثله في ذلك (القُرَيَّة) (بضم القاف وفتح الراء بعدها ياء مشددة مفتوحة فتاء مربوطة) تصغير قرية ، وهي القرية التي أسسها عن غابة كثيفة ذات حيات كثيرة ُكل من مرداس والد الصحابي الشاعر : العباس بن مرداس السُلَمي ، وحرب بن أمية القرشي في عهد الجاهلية الأخير الأقرب الى صدر الاسلام ، ولا تزال القُرَيَّة موجودة باسمها ومسماها على ما حدثني به رجال ثقات معاصرون من بني ُسلَيم ،مواطنهم قريبة منها(١٤) .

وكان تعريف ياقوت في معجم البلدان لقديد غير كاف للتعريف بها وبموقعها . وذلك اذ يقول : (وقديد اسم موضع قرب مكة)(١٥) فكم من موضع يشترك مع قديد في قربه من مكة ؟!

---

(١٢) راجع تاريخ العين العزيزية ولمحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية للمؤلف ص٣٨٩ـ٤٢٤ .

(١٣) كتاب المناسك للحربي ص٤٥٩ .

(١٤) بنو سليم للمؤلف ص٣٦١ و ٣٦٢ ط. دار العلم للملايين .

(١٥) معجم البلدان ص٤٢ ج٤ ط. طهران بايران .

وتعريف كتاب « المناسك » لقديد ، أقرب لايفاء الغرض المنشود من تعريف معجم البلدان لها ، وذلك حين يقول : (ومن قديد الى عسفان ــ وهذا التعريف ُمراَعى فيه الاتجاه' في السفر من المدينة الى مكة على الترتيب والنظام اللذين سلكهما الحربيّ في التعريف بطريق مكة ــ المدينة ، في كتابه المذكور ، حسب ما توصلنا اليه من دراستنا للكتاب ــ ثلاثة وعشرون ميلا .. ومن قديد الى خليص عين ابن بزيع (ثمانية أميال) وقد أضاف الحربيّ الى ما ُذكر قوله : (وبقديد آبار كثيرة ، وبها بركة ، وعلى ميل من القرية أربعة آبار مطوية بخشب)(١٦) واذن فقد كانت قديد قرية في عصر أبي اسحاق الحربي (القرن الثالث الهجري) .

رابعاً : وبعد اجتياز عبد الله بن أرقط بالركب النبوي الكريم ، واديَ قديد ، سلك به (الخَـرَّار) وهو ماء أو واد ، يصب على الجحفة(١٧) وقال السكوني : موضع « غدير خم » يقال له الخرار .. وهكذا يروي البكري أيضاً .. ويضيف قوله : (وكذلك قال عيسى بن دينار انه عين بخيبر ، ويؤيد ذلك ما رواه ابن وهب عن يوسف بن طهمان عن عديّ أبي أمامة بن سهل عن أبيه أن سهلا قام يغتسل يوم خيبر حين هزم الله العدو ، الى آخر الحديث(١٨) . وقال السمهودي : « الخرار الظاهر أنه بالجحفة »(١٩) وفي الرسالة التى بعث بها الي ، عاتق بن غيث البلادي ، وهو من خبراء مواقع بلادنا قال : « الخرار يعرف اليوم باسم وادي الظَّهَـر ، فيه غدير خم ، ويعرف اليوم باسم الغُرَبة يقع شرقي رابغ على ٢٧ كيلا تقريباً » .

ومن رأينا أنه اذا كان (الخرار) هو (غدير خم) فانه يتعين أن لا يكون غدير خم بخيبر ، لأن الخرار منصوص على أنه في طريق الهجرة

(١٦) كتاب المناسك لابراهيم الحربيّ ص٤٦٠ .
(١٧) كتاب معجم ما استعجم للبكريّ ص٤٩٢ مادة الخرار .
(١٨) معجم ما استعجم للبكريّ (مادة الخرار) .
(١٩) وفاء الوفاء ص٢٩٨ ج٢ ط. أولى .

من مكة الى المدينة . أي بجنوب المدينة . وأما (خيبر) فهي تقع بشمال المدينة . فأين هذا من هذا ؟! والذي أميل اليـه أن غدير خم والخرار اسمان لموضع وواد معـروفين بشرقي رابغ غير بعيـد عنها . وهـذا الأمر يحدث أمثاله كثيراً في بلاد العرب اذ تجد اسمين أو عـدة أسماء لموضعين متقاربين من بلادهم..والقول الفصل في الموضوع على ما يتراءى لي هو قول صاحب معجم البـلدان نقلا عن عرام السُلمي : (ودون الجحفة على ميل غـدير خم ، وواديه يصب في البحـر(٢٠) أي البحـر الأحمر .

خامساً : ثم سلك بهم (ثنية المَرَة) ـ بتخفيف الراء وفتحها ـ كأنه مخفف المرأة . ويذكر ياقوت ثنية المرة هذه ، ويقول عنها : (وفي حديث الهجرة : ان دليلهما ـ يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه سلك بهما أمج ، ثم الخرار ، ثم ثنية المرة ، ثم لقفاً(٢١) . ولقد مر ياقوت على ثنية المرة مَر الـكرام ، ولم يتعـرض لتعريفهـا مطلقاً . أدخلها في سمط سرده لأسماء المواقع الأخرى فحسب . وقـد صنع مثل ذلك في التعريف بثنية المرة أو في عدم التعريف بثنية المرة ـ على التعبير الأدق ـ المُعَـلِق على طبعة كتاب (حياة سيد العرب) تأليف عبد الله باسـلامة حيث اقتصر على هذا القول : (وهي ثنيـة في نفس الطريق)(٢٢) .

هذا وقد تتبعت عدة مصادر ، أبحث فيها عن تعريف ثنيـة المرة هذه فلم أعثر على تعريف مجز لها بتلك المصادر .

سادساً : ثم سلك بهما بعد ثنية المرة (مَدلجَةَ لقف ـ بفتح أو كسر فسـكون ـ واسم لقف وموضعه ، كلاهما موضع اختـلاف بين المصادر . ففي معجم البكري ورد اسم (لقف) واسم (لفت) على وزن

---

(٢٠) معجم البلدان ص٤٧١ ج٢ ط. طهران .

(٢١) معجم البلدان لياقوت الحموي ص٩٣٧ ج١ ط. طهران .

(٢٢) التعليقات على كتاب حياة سيد العرب تاليف حسين عبد الله باسلامة . راجع هامش الصفحة ٢٠٠ الطبعة الثانية . وقد جاء في الصفحة الأولى من الكتاب انه (حققه وراجعه احد علماء الحجاز) .

صيغة لقف .. وعرف لنا لقفا بأنه (واد مذكور في رسم ذروة) وأورد بيتي شعر عنه ثم قال : (وفي حديث هجرة النبي (ص) أن دليله عبدالله ابن أرقط مال به من أسفل مكة ثم مضى على الساحل أسفل من عسفان ثم سلك أسفل من أمج ، ثم عارض الطريق بعد أن جاوز قديداً ، فسلك الخرار ، ثم سلك ثنية المرة ، ثم سلك لقفا ـ بفتح اللام ـ قال ابن هشام ويقال (لِفتاً) فدلّ على أنهما موضعان متقاربان(٢٣) . وقال عرام السُلَمِيّ فيما يرويه لنا ، ياقوت في « معجم البلدان » عن عرام : (لقف : ماء آبار كثيرة ، عذب ، ليس عليها مزارع ، ولا نخل فيها ، لغلظ موضعها وخشونته ، وهو بأعلى قوران : واد من ناحية السوارقية ، على فرسخ(٢٤) .

ويقول السمهودي ناقداً من قال ان « لقفا » بناحية السوارقية : « لكن ناحية السوارقية ليست في طريق الهجرة »(٢٥) .

وفي لقف ولفت وقع الخلاف في حديث الهجرة ، وكلاهما صحيح ، هذا موضع وذاك آخر(٢٦) .

وجاء في معجم البلدان (مادة لفت) أن (لفتا ـ بكسر اللام وسكون الفاء ـ ثنية بين مكة والمدينة)(٢٧) .

وهذا تعريف ناقص ولا يوصل الى الهدف المطلوب . فكم هي الثنايا التي تقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ؟ وكل واحدة منهن ينطبق عليها هذا التعريف الفضفاض الذي لا يحدد أية واحدة منهن في هيكلها وفي اهابها .

---

(٢٣) معجم ما استعجم لعبد الله البكريّ الأندلسيّ ج٣ ص١١٦١ و١١٦٢ ط. مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة بمصر .

(٢٤) معجم البلدان لياقوت ص٣٦٣ ج٤ ط. طهران . والفرسخ : مقياس من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال أو ثمانية عشر ألف قدم أو نحو خمسة آلاف وأربعمائة ذراع فرنسية (المعجم الوسيط ـ مادة فرسخ) .

(٢٥) راجع ص ٣٦٧ ج٢ الطبعة الأولى بمصر من كتاب « وفاء الوفا » للسمهودي .

(٢٦) معجم البلدان لياقوت ص٣٦٣ ج٤ ط. مطبعة طهران .

(٢٧) نفس المصدر والجزء ص٣٦١ .

وبعد ذلك قال ياقوت أيضاً : (ان لقفا ولفتا موضعان في الطريق بين مكة والمدينة) وهذا التعريف مثل سابقه تماماً لا يفيدنا بأي شيء معين أو محدد تحديداً منطقياً مميزاً له عن غيره في كلا الموضعين .

وأخيراً بعد هذه التعريفات غير المُعَرّفَة ـ بكسر الراء وتشديدها ـ يحدد لنا ياقوت (لفتا) عن الجمحي بأنها ثنية جبل قديد . وهذا ربما يكون أقرب تحديد للفت ، وهو يجعل (لقفا) غير (لفت) .

سابعاً : ثم استبطن بهم الدليل (مدلجة مجاج) بجيمين أو (مجاح) ـ بجيم فألف فحاء مهملة ـ أو (محاج) بحاء فجيم .

ويقول لسان العرب لابن منظور : المدلج والمدلجة : ما بين الحوض والبئر ، قال عنترة :

كأن رماحهم أشطان بئر ... لها في كل مدلجة خدود

ولم يذكر من معاني مدلجة اسم موضع . وقد أهمل معجم البلدان لياقوت مادة (مدلجة) من كتابه هذا ، وأوردها في مادة (محاج) قال : وفي حديث الهجرة عن ابن اسحق أن دليلهما أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استوطن ـ استبطن ـ بهما مدلجة محاج ـ كذا ضبطه بفتح الميم وحاء مهملة فألف فجيم ـ قال ابن هشام : فيقال : مجاج بجيمين ، وكسر الميم والصحيح عندنا ـ هذا كلام ياقوت ـ فيه غير ما روياه ، جاء في شعر ذكره الزبير بن بكار ، وهو مجاح بفتح الميم ثم جيم وآخره حاء مهملة . والشعر المعنّي هو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن الله بطن لقف مسيلا ... ومجاحاً وما أحب مجاحا

لقيت ناقتي به وبلقف ... بلداً مجدباً وأرضاً شحاحا

وأنا أحسب أن هذه في رواية ابن اسحق ، وانما انقلب على كاتب الأصل ، فأراد تقديم الجيم فقدم الحاء . والله أعلم(٢٨) .

---

(٢٨) معجم البلدان ج٤ ص٣١٥ و٣١٦ ط. طهران .

وسمى الطبري هذا الموقع (المدلجة) وقال : انها تقع بين طريق عُمق وطريق الروحاء(٢٩) . والروحاء ربما تكون هي المعروفة اليوم ببئر الراحة الواقعة بين محطتي المسيجيد والفُرَيش في طريق المدينة . وقلنا انه ربما تكون الروحاء ، هي الراحة محرفة في العامية ، لأن الروحاء والراحة بمعنى واحد . قال ياقوت في معجم البلدان : في سبب تسميتها بالروحاء « لما رجع تُبَّع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح ، فسماها بالروحاء » ، وقال كثير لما سئل عن سبب هذه التسمية : سميت الروحاء روحاء ، لانفتاحها وروحها . والروحاء من عمل الفرع وهي على نحو من أربعين ميلا . وفي كتاب مسلم بن الحجاج : على ستة وثلاثين ميلا ، وفي كتاب ابن أبي شيبة : على ثلاثين ميلا .. أما عُمق بوزن زفر فهو علم مرتجل على جادة الطريق الى مكة بين معدن بني سُلَيم وذات عرق .. ويقول ياقوت : والعامة تقول : العمق بضمتين وهو خطأ(٣٠) .

●—●—●

هذا وقد أوضح عاتق بن غيث البلادي رأيه في رسالة له الي ـ بأن مجاحا واد يرفد وادي الفرع من ضفته اليمنى ، يقطعه الطريق بين أم البرك (السقيا) في القاحة ، وبين الفرع .

ثامناً : ثم سلك بهم مرجح من ذي الغضوين أو العضوين ـ بفتح أولهما وثانيهما والغضوان ـ بالغين ـ تثنية غضاً ، وهو شجر معروف يوقد سريعاً . وقد مر ياقوت في معجم البلدان على هذا الموضع من دون أن يعرفه ، مما يُفهم منه أنه لم يتحقق من موقعه ، فصمت عن التعريف به . وقال غيره عنه : هو موضع بين الحجاز والشام ، فأبعد التعريف وطوح به بعيداً . وفي الرسالة التى بعث بها الي ، عاتق بن

(٢٩) تاريخ الطبري ص٣٧٧ ج٢ طبعة دار المعارف بمصر . وقد حددتها الرسالة الخاصة التى بعث بها الي عاتق بن غيث البلادي بقوله : « مدلجة مجاح ، ومرجح : شعبان متقاربان ياخذهما طريق الدواب بين مجاح وتعهن . والطريق من مدلجة مجاح يفضى الى مدلجة تعهن ، ثم يفضي الى القاحة ، ثم يستمر مشملا » .

(٣٠) معجم البلدان لياقوت الحموي ص٨٢٨ ج١ و ص٧٤٨ ج٣ ط. طهران .

غيث البلادي يقول ان : العصوين بالمهملة . ويقولون لهما « العصي » جمع عصا : هما شعبتان تجتمعان ثم تصبان في مجاح المتقدم ، ثم في وادي الفرع » .

تاسعاً : ثم مر بالركب على بطن ذي كشر . وقد سكت كتاب المناسك عن ذي كشر هذا ، وكتب « معجم ما استعجم » تعريفاً لكشر ـ بفتح أوله وثانيه فجعله جبلا باليمن في أرض جرش . ولم يتعرض لذي كشر ، الذي ورد في معجم البلدان ، وتحدث معجم البلدان عن ذي كشر هذا حديثاً موجزاً للغاية في سطرين اثنين وثُمن سطر فقال ما نصه : كشر بالفتح ثم السكون ، وهو بدء (بُدو) الأسنان عند التبسم : جبل قريب من جرش ، وفي حديث الهجرة : ثم سار بهما بعد ذي العضوين الى بطن كشر وهما بين مكة والمدينة(٣١) .

ويكفينا من معجم البلدان أنه لم يهمل (ذا كشر) الذى مر به الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق هجرته الى المدينة ، كما صنع الحربي والبكري في كتابيهما ، ولكن ياقوتاً ، في التعريف بكشر كان متواضعاً جداً ، فعبارته : (وهما بين مكة والمدينة) في التعريف بذي العضوين وكشر ، ليست مما يفيد قيم فائدة ، القاريء أو الباحث أو المستفيد ، فكم موضع يدخل في هذا التعريف الواسع سعة صحراء الربع الخالى . ولم يتعرض عبد الرحمن السهيلي في كتابه الذي شرح به سيرة ابن هشام وسماه « الروض الأنف » ـ للتعريف بذي كشر المتحدث عنه .

وهكذا كان محصولنا من مراجعة المصادر المشار اليها آنفاً ، عدم الحصول على معلومات مجزية عن موقع ذي كشر في طريق الهجرة النبوية .

عاشراً : ثم أخذ الدليل بالركب النبوي المهاجر على (الجداجد) جمع جدجد بفتح الجيمين وسكون الدال المهملة الأولى ... والمعنى

(٣١) معجم البلدان ج٤ ص٢٧٦ و ٢٧٧ ط. طهران .

اللغوي للجدجد هو : الأرض المستوية الصلبة ، فلعل الجداجد تكون كذلك ، فسميت بهذا الاسم الذي يدخل ضمنا في التعريف بالخاصة كما يقول المناطقة .. وقد عرف ياقوت «الجداجد» هذه تعريفاً غَطَّاه مبدئياً برداء الظن عندما قال عنه : « وأظنها على هذا آباراً قديمة في طريق ليس يعلم » ثم سجاه ثانية بظلام كثيف من اعترافه بعدم العلم بطريقها عند وصفه الآبار القديمة المظنونة بقوله : (في طريق ليس يعلم) .

أما ابراهيم الحربي فقد سكت عن الجداجد في كتابه . فارتاح وأراح من التوغل في الظنيات كما صنع ياقوت في (معجم البلدان) في محاولة يائسة للتعريف بموقع الجداجد .

وقد سلك البكري في « معجم ما استعجم » سبيل الحربي .. في الصمت عن جداجد ـ في باب الجيم ـ وماثلهما في الصمت عن جداجد الحسن بن عبد الله الاصفهاني في كتابه (بلاد العرب) .

الحادي عشر : ثم مر الدليل بهما على (الأجرد) . وللأجرد هذا ، ذكر في كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني .. ولكنه ذكر مجرد من الناصب والجازم .. وقد ذكره في أرض جهينة ضمن مسلسل مجرد من التعريفات لأسماء أماكنهم وأوديتهم في جزيرة العرب ، كما ذكر في هذا المسلسل المجرد من تعريف أي موقع ، العرج .. والأجرد والعرج من المواقع المذكورة في طريق الهجرة . وقد سرد الهمداني في كتابه المذكور ، في مكان آخر سرداً مجرداً من التعريفات ـ عسفان وقديدا . وقال عن قديد : (وهو لخزاعة) وذكر الجحفة و (خُمّ) وأضاف قوله عقب ذكره لهما : (الى ما يتصل بذلك من بلد جهينة ومحال بني حرب، وقد ذكرناها)(٣٢) . وعسفان وقديد وخم من مواطن الهجرة النبوية الى المدينة .

---

(٣٢) صفة جزيرة العرب للهمداني ص٢٥٩ تحقيق محمد بن عليّ الأكوع الحَوالي ، واشرف على طبعه حمد الجاسر .

وُيعَـرِّفُ لنا ياقوت (الأشعر والأجرد) فيقول : الاشعر والاجرد جبلا جهينة دون المدينة والشام(٣٣) . وهذا التعريف واسع البطان ، لا يخص مكاناً بين البلدين دون مكان . وان كان فيه تأييد ضمني لما أفادنا به الهمداني بصفة عامة عن مواقع من بلاد جهينة .

الثاني عشر : ثم سلك بهما (ذا سـلم) من بطن عـداء مدلجـة تعهن ، على ما ذكره ابن هشام في السـيرة النبـوية . ويبدو من تأمل العبـارة المذكورة آنفاً أن ذا سـلم هـذا يقع داخل وادي عداء مدلجـة تعهن . وتعهن عين ماء على ثلاثة أميـال من السقيا بين مكة والمدينة . وتقع بين القاحة والسقيا . وقد مر بنا تعريف القاحة وبقي تعريف السقيا ، التي يقول عنها « معجم ما استعجم » : هي في طريق مكة ، بينها وبين المدينة ، وأسند الى ُكثَـيِر أنها سميت السقيا لما سقيت من الماء العذب ، وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك ، وكثير منها صدقات للحسن بن زيد ، وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن(٣٤) . ويبدو أن السمهودي اعتمد هذا القول(٣٥) .

ثم قال في « مادة العقيق » يعدد الطرق المسلوكة في زمنه من المدينة الى مكة : (وطريق آخر من الـرُّويثة ، وهو أكثر سلوكاً . من الرويثة الى الأثاية اثنا عشر ميلا ، ومن الاثاية الى العرج ميلان ، ومن العرج الى السـقيا سـبعة عشر ميلا ، ومن السـقيا الى الأبواء تسـعة عشر ميلا(٣٦) .

ونفهم من هـذا أنه في زمن البكري ــ القرن الخـامس الهجري ــ كان العرج في الطريق العامة بين المدينـة ومكة . وهذا مما يسهل معرفة موقع العرج على الباحثين اليوم ان شاء الله . كما يفهم نصاً مما سلف أن تعهن الواردة في كتاب « السيرة النبوية » بمناسبة ذكرها لذي سلم ،

---

(٣٣) معجم البلدان (مادة الأجرد) .
(٣٤) معجم ما استعجم للبكري ص٧٤٢ و ٧٤٣ ج ٣ .
(٣٥) وفاء الوفا للسمهودي ص٢٧١ ج٢ الطبعة الأولى بمصر .
(٣٦) نفس المصدر والجزء ص٩٥٤ .

هي عين تقع على ثلاثة أميال من السقيا في الطريق من المدينة صوب مكة ، لأن البكري والحربي كلاهما قد اعتبر أن بداية مراحل الطريق العظمى بين البلدين دائماً ، من المدينة الى مكة ، أي من الشمّال الى الجنوب ، لا من مكة الى المدينة حسب ما سارت عليه الهجرة النبوية أي من الجنوب الى الشمال .

وقد عاد البكري مرة ثانية الى ذكر الطريق بين المدينة ومكة ُمورداً المسافات بين المنازل ، فقال : (رجع بنا القول الى ذكر الطريق من الجحفة الى ُكلَـيّة اثنا عشر ميلا ، وهي ماء لبني ضمرة ، وبين كلية الى المشلل تسعة أميال ، وعند المشلل كانت «مناة» في الجاهلية ، وبثنية المشلل دفن مسلم بن عقبة ، ثم نبش وصلب هناك ، وكان ُيرمى كما ُيرمى قبر أبي رغال ، ومن المشلل الى قديد ثلاثة أميال ، وبينهما كانت خيمتا أم معبد . ومن قديد الى خليص عين ابن بزيع سبعة أميال ، وكانت عينا ثرة عليها نخل وشجر كثير ومشارع خربها اسماعيل بن يوسف ، فغاضت العين ، ثم رجعت بعد سنة ثمانين ومائة. ومن خليص الى أمج ميلان ، ومن أمج الى الروضة أربعة أميال ، ومن الروضة الى الكَـدِيد ميلان ، ومن الكديد الى عسفان ستة أميال . وغزال : ثنية عسفان ، تلقاها قبله بأرجح من ميل . وعند تلك الثنية واد يجيء من ناحية ساية ، يصب الى أمج(٣٧) .

هذا وقد فسر لنا القاموس كلمة (عداء) الواردة في وصف (ذي سلم) في قوله : (من بطن عداء تعهن) فسرها بقوله : (والعدا كالى : الناحية . ويُفتح ُ ، جمعه أعداء ، وشاطيء الوادي كالعدوة ، مثلثة ، وكل خشبة بين خشبتين ، وحجر رقيق يستر به الشيء : كالعداء واحدته كجرو) (مادة عدا) . ولنا أن نأخذ من هذا الشرح لكلمتي (عدى وعداء) بكسر العينين أن من معانيهما شاطيء الوادي ، فيكون المعنى على هذا ان (ذا سلم المذكور

(٣٧) معجم ما استعجم ص٩٥٦ ج٣ .

هو في بطن شاطيء الوادي الذى فيه أو تقرب منه عين تعهن) .. والله أعلم .

الثالث عشر : ثم سلك بهما على العبابيد ، أو العبابيب ، ويقال العثيانة ، يريد العبابيب(٣٨) . ويقـول عنـه السمهودي انه « موضع قرب تعهن »(٣٩) .

يقول ياقوت في معجم البلدان ما ملخصه : أن (العبابيد) هـذه جمع الجمع ، جمع « عُبَّاد » التي هي جمع عابد(٤٠) ، وفسر البكري العبابيد بأنه موضع مذكور محدد في رسم العقيق ، ثم قال : (وقبـل السقيا بنحو ميل من وادي العبابيد وهو القاحة) « مادة العقيق » .

الرابع عشر : ثم أجاز بهما (الفـاجة) بفاء فألف فجـيم . أو (القاحة) بقاف فألف فحاء مهملة مخففة فتاء مربوطة . وردت لفظتا الفاجة والقاحة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام . وقد قدم اسـم الفاجة على اسم القاحة ، وضعف أو أيد اسم القاحة بقوله : (يقال القاحة فيما قال ابن هشام)(٤١) . وقول ابن هشام أدق ـ فيما نرى ـ من قول ابن اسحق . وقد أيده كل من البكري وياقوت في كتابيهمـا : (معجم ما استعجم) و (معجم البلدان) ـ فقال البكري عن القاحة : (مدينة على ثلاث مراحل من المدينـة قبـل السقيا ، قبل مكة) « مادة القاحة » وقد أهمل البكري في مادة الفاء والألف ، كلمة (الفاجة) فلم يدونها فيها . وشاركه من بعده ياقوت في تأييد صيغة (القاحة) اذ قال ما نصه : (القاحة بالحاء المهملة : قاحة الدار وباحتها واحد ، وهو وسطها . وقاحة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة(٤٢) قبل السقيا بنحو ميل . قال نصر : موضع بين الجحفة وقديد . وقال عرام : القاحة

---

(٣٨) سيرة ابن هشام ص١٣٦ ج ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

(٣٩) وفاء الوفا (مادة عبابيد) ج٢ .

(٤٠) معجم البلدان (مادة العبابيد) .

(٤١) السيرة النبوية لابن هشام ص١٣٦ ج٢ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(٤٢) ان جعل المسافة بين القاحة والمدينة ثلاث مراحل امر متفق عليه بين معجم البكري ومعجم ياقوت.

في ثافل الأصغر ، وهو جبل ذكر في موضعه . وفي مادة « ثافل » حدد ياقوت معنى القاحة وحقيقتها فقال : (وفي ثافل الأصغر دَوَّار في جوفه يقال له القاحة ، ولها بئران عذبتان غزيرتان ، وهما (ثافل الأصغر وثافل الأكبر) : جبلان كبيران شامخان)(٤٣) .

وربما كان كل من الفاجة ، والقاحة شيئاً واحداً في أصل كتابة الكلمتين . والأصل الحقيقي هو (القاحة) بالقاف بعدها ألف فحاء ، ونشأت كلمة (الفاجة) بالفاء والجيم ــ من كتابة (القاحة) في الخط العربي الأول ، من قبل احداث النقط ــ اذ يبدو جلياً أننا اذا كتبنا الكلمة المشار اليها هكذا : (الماحه) ــ بدون تنقيط ــ جاز للقارىء أن يقرأها على الوجهين : (الفاجة) و (القاحة) معاً .. فهي اذن القاحة بقاف فألف فحاء مهملة و (الفاجة) تحريف لها رواه ابن اسحاق ونقده ابن هشام نقداً حقيقياً جيداً . على أن عاتق بن غيث البلادي أحد الخبراء في معرفة بلادنا يرى غير ذلك .. يرى أن « الفاجة: بالفاء فالجيم واد يصب في القاحة من الشرق ، فيه بركة وآثار عين ما زالت ماثلة للعيان » . وليس الخبر كالعيان .

الخامس عشر : ثم خرج الدليل بالرسول وصاحبه من القاحة وهبط بهما العرج . وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم يقال له : أوس بن حجر ، على جمل له ، يقال له « ابن الرداء » ــ الى المدينة ، وبعث معه غلاماً له يقال له « مسعود ابن هُنَيْدَةَ »(٤٤) .

والعرج ــ بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم ــ ويقول الحربي : (انما سمي العرج لتعرجه)(٤٥) .

والعرج قرية جامعة في واد من نواحي الطائف ينسب اليها العرجي

---

(٤٣) ص٩١٥ ج١ مادة ثافل في (معجم البلدان لياقوت الحموي) .
(٤٤) سيرة ابن هشام ص١٣٦ ج٢ .
(٤٥) كتاب المناسك للحربي ص٤٤٨ .

الشاعر المفلق : عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهي في أول تهامة ، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا ، وهي في (بلاد هذيل) .. ثم قال ياقوت مكملا التعريف بما يسمى العرج ـ ومنه ظهر أنه اسم مشترك يطلق على موضعين أحدهما عرج الطائف المعروف والآخر هو الذى أشار اليه ضمن كلمته التالية : (وواد يقال له العرج) . قال ـ أي الأصمعي ـ وهو غير العرج الذي بين مكة والمدينة(٤٦) وأيا مّا كان الأمر فان العرج الذى ذكر في طريق الهجرة هو غير عرج الطائف ، لأن الطريق من مكة الى المدينة يذهب من مكة في الجنوب ، الى المدينة في شمال مكة . وعرج الطائف لا علاقة له بالهجرة مطلقاً ، لأنه يقع في جهة الطائف أي في الشرق الجنوبي لمكة . والعرج المقصود والمذكور انه في طريق الهجرة هو الذي ورد ذكره في قول الأصمعي الآنف ذكره بأنه بين مكة والمدينة .

السادس عشر : ثم سلك بهما الدليل (ثنية العاير أو الغائر) ـ بالعين المهملة في رواية ، وبالغين المعجمة في رواية أخرى ـ وكلتا الروايتين وردت في السيرة النبوية لابن هشام . وقد رجح ابن هشام الرواية الثانية فجاء في كتابه : (يقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام) وهذا القول مثل قوله السابق عن القاحة .

ويبدو لي أن ترجيح ابن هشام هو الصحيح ، فان ثنية الغائر تسمى في عرف رجال القوافل المترددين بين مكة والمدينة قبل عهد السيارات ، باسم (درب الغائر) ـ بالغين المعجمة ـ أخذاً من ثنية الغائر التي يسمونها : (سطح الغائر) لأن الثنية ـ وهي الطريق في الجبل ـ على سطحه .. وكان هذا الطريق مسلوكاً لقوافل الابل بين مكة والمدينة ـ على صعوبة مرتقى سطح الغائر، وتعرض الركاب فيه لمخاطر الانقلاب في سطحه في حالتي الصعود والهبوط معاً . ولعل التعرض لمخاطر الانقلاب من فوق ظهور جمال القوافل في حالة الهبوط أشد وأخطر

---

(٤٦) معجم البلدان ص٦٣٧ ج٣ ط. طهران .

من التعرض للخطر في حالة الصعود..وقد مرت هذه التجربة بكاتب هذه السطور حينما سافرنا من المدينة الى مكة في أواخر أيام قوافل الابل، وكنت ممتطياً جملا من جمال القافلة عليه شقدف ذو قبتين في احداهما أنا ، وفي الأخرى المربوطة أيضاً بجانبها فوق ظهر الجمـل زميل لي . فلما بدأت الجمال تهبط من سطح الغائر أي ثنيته ، في الليل المقمر وطئت مناسمها بيوت النمل الكبير هناك ، فقد كانت هذه البيوت من الكثرة، بمثابة مدينة للنمل . فلما دعست مناسم الجمال تلك البيوت هب النمل للدفاع عن مدينته الحاوية لغلاله وجماعاته ونهض يلسع لسعات مؤلمة حادة ، أخفاف الجمال ، فما كان من الجمل الذي أنا فوقه على الشقدف الا أن تحرك منزعجاً بحركات جنونية كان من نتائجها أن وقع الشقدف من فوقه الى الناحية الأمامية المتحدرة ، فوقعت أنا وزميلى أيضاً بطبيعة الحال فوق الصخور الحادة بتلك الهضبة العاليـة ، وكان سـقوطي على ناصيتي من ناحيتها الشمالية فشقت الصـخرة الحـادة جـلدة جبيني وتجاوزتها الى عظم الناصية فشجتها ، وكادت الشجة تصـل عمقاً الى المخ لولا لطف الله .. وقد عولجت بمكة في مستشفاها بأجياد حينئذ وأنا صغير مدة مديدة ، وبعـد نحو أربعـة أشـهر عوفيت من ذلك الجـرح الغائر ، ولله الحمد والمنة . هذا وربما يكون اطلاق اسم (درب الغائر) على جميع هذا الطريق ناتجاً من اسم (ثنية الغائر) ، وقد يكون ذلك من « باب » المجاز المرسل : من باب اطلاق اسم الجزء على الكل .

هذا وفي الطبعة المحققة لتـاريخ الطـبري : « وسلك ماء يقال له الغابر بالباء الموحدة عن يمين ركوبة حتى يطلع على بن رئم(٤٧) وربما كان (الغابر) بالباء التحتية الموحدة تحريفاً للغاير بالياء وقد وصفت الغاير بأنه ماء .

السابع عشر : ثم هبط بهما بطن رئم أو ريم ــ بالهمزة الساكنة أو بالياء الساكنة بعد راء مكسورة فميم ، ويقول السمهودي عن ريم :

(٤٧) تاريخ الطبري ص٣٧٧ ج٢ ط. دار المعارف بمصر .

« واد لمزينة يصب فيه ورقان وسبق أنه من أودية العقيق يلقاه ثم يدفع في خليقة(٤٨) .

وفي موضع آخر من كتاب وفاء الوفا ذكر السمهودي « ريما » ضمن الأودية التى تدفع في وادى العقيق بالمدينة ص٢١١ ج٢ الطبعة الأولى .

وقد عرفنا البكري برئم هذه تعريفاً قاصراً غير مركز ، وفعل ياقوت خيراً منه ، حين قال : (رئم ــ بكسر أوله وهمز ثانيه وسكونه ــ قرب المدينة ، واحد الآرام ، وقيل بالياء غير المهموزة ، وهي الظباء الخالصة البياض . وهو واد لمزينة قرب المدينة يصب فيه ورقان ، له ذكر في المغازي وفي أسفارهم . وقيل : بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة . وفي كيسان : على أربعة برد(٤٩) وقال حسان :

لسنا برئم ولا حَمت ولا صُورَىَ	لكن بمرج من الجولان مغروس
يغدى علينا براووق ومسمعة	ان الحجاز رضيع الجوع والبوس(٥٠)

والوصف الذي ذكره ياقوت لرئم أو ريم ، اذا أضفنا اليه بيتي حسان ، وتأملنا في مفهوميهما ، وقمنا بدراسة ميدانية للمواقع التي بهن العرج ورئم جنوباً ، وللمواقع التي بين رئم وقباء شمالا ، يمكننا بذلك أن نفهم وأن نقف على موقع ريم باذن الله . فان تعريف ياقوت له يكاد يكون محدداً له . فقد جاء فيه أنه معروف في أسفارهم وهو تعريف كتابي مركز ، وقد يوحى للخيال الطلعة أن تسمية الموقع

---

(٤٨) وفاء الوفا للسمهودي ص٣١٧ ج٢ الطبعة الأولى بمصر . وفي مقالة لحمد الجاسر عنوانها (رحلة الى طيبة) وهي واحدة من خمس مقالات مسلسلة عن رحلته الى المدينة يقول عن ريم : « وهو واد من روافد وادي عقيق المدينة لا يزال معروفا . « مجلة العرب ص٦٩٦ مجلد سنة ١٣٨٧ هـ » .

(٤٩) البريد في المسافة أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع أو أربعة آلاف بالذراع الشرعي ، فيكون اذن بالتقدير المتري العشري خمسة آلاف وأربعين مترا . وعلى تقدير الميل أربعة آلاف ذراع يكون خمسة آلاف وسبعمائة وستين مترا . والقول الأول هو المعروف بمسافة الميل في هذه الأيام ، هذا البيان العلمي المفصل أورده أحمد رضا في معجم متن اللغة ص٢٦٧ ج١ ط. دار مكتبة الحياة ببيروت ، وتعريف هذا البريد المسافي في المعجم الوسيط غير ذي موضوع (مادة برد) .

(٥٠) معجم البلدان لياقوت (مادة رئم) .

بريم ، تحديد ، له دلالة تاريخية على أن الموقع كان معشبا ومشجرا وذا مياه وظباء ترتع في أرجائه . فسمي المكان لذلك باسم (ريم) وقد يكون أقفر بعد ذلك ولكن الاسم علق بالمكان تاريخيا ومما يؤكد ذلك أن وادى ريم هذا يصب فيه وادى ورقان ، وهو من أودية العقيق بالمدينة على ما مر بنا آنفاً .. ويقول عاتق بن غيث البلادي : « ريم واد يصب في صدر عقيق الحسا من الغرب ، قرب بئار الماشى ، ترى منه حمراء الاسد شمالا » .

الثامن عشر : استمر الركب النبوي فيمسيرته صوبالمدينة مباشرة بعد رئم ، قاطعاً قسما من الحرة وربما كانت المسيرة قد اخترقت الجبال والجبيلات ، والأودية والأنجاد والوهاد الموجودة في الطريق الى قباء ، وعلى جنباته من قريب أو من بعيد ، وقد تكون هناك أشجار السلم والطلح وشجيراتهما التي خلفتها الأمطار الجاهدة المتنائية ، أو المتقاربة في اطارات عمر الزمن ، من وادي ريم الى قباء . كما قد تكون هناك أيضاً بعض الأعشاب التي تتحمل الحرارة الشديدة والبرد القارس لقوة جذوعها وسوقها وعمق جذورها في منابتها الجبلية أو السهلية . وربما كانت فيريم كُنُس : جمع كِنَاس ــ مساكن ــ الظباء ، وجحور الأرانب ، ومآوي الثعالب وبعض الوحوش غير المستأنسة تقطن رئماً وما حولها .. وربما يكون الركب النبوي قد مر من بعيد أو من قريب من الجبل المتوهج والجبل ذي القببفي سطحه اللذين كنتوقفت عليهما منذ أمد ، وهما على مسافة أربع ساعات بسير الدواب من المدينة الى جنوبها من طريق قباء نفسها نحو مكة . ويقعان في الجنوب الشرقي من جبل عَير بعد مسيل حديقة «الرفيعة» ، ببعد ليس بالقريب ، وعلى كل فانه ليلوح لنا أن الركب النبوي قد استمر في مسيرته بين نواحي تلك المنطقة . والتحقيق العلمي المقترن بتعريفات المراجع المعتمدة وأقوال البادية في أنحاء هذه الطريق(٥١) ربما يميط لنا اللثام عن كثير من مواقعه التي

(٥١) عندما قام حمد الجاسر برحلته الاستكشافية لهذا الطريق سنة ١٣٨٦ هـ سال الأعراب من سكان تلك النواحي عن الأسماء والمسميات .

قد تكون أسماؤها لديهم باقية على ما كانت وعلى ما تعرفه أجيالهم القديمة وتنقله عنهم أجيالهم الحديثة سواء بسواء .

●—●—●

وفي الضحاء بالهاجرة أشرقت شمس الركب النبوي المهاجر ، على مداخل قرية قباء ، وهم على رواحلهم الثلاث ، تتلع بهم أعناق تلك الرواحل العتاق ، متطاولة على كل الأعناق ، اعتزازاً بمن يمتطيان ظهورها في هذه الهجرة الكريمة العظيمة .. وكان حر الهجير قد اشتد وبدا الجو كل الجو ساخناً شديد السخونة . وفي مداخل قرية قباء استظل الرسول عليه الصلاة والسلام بنخلة قائمة هناك . ربما كانت وحيدة أو في ركن حديقة من الحدائق الممتدة الى الجنوب من قرية قباء ذات الحدائق الغلب من قديم ومن حديث ، وكان الأنصار ينتظرون بتلهف وشوق عارم ، مقدم رسول الله الى بلدهم الأمين ، وفي اطار غليان شوقهم للقياه ، وفي مبادراتهم لاستجلاء طلعته البهية المشرقة بأنوار النبوة المتلألئة على جبينه الكريم شاهده بعضهم وهو في ظل النخلة ، فأقبلوا بقلوبهم وأرواحهم وأجسادهم اليه يرحبون من أعماقهم بقدومه الميمون . وكان رجل يهودي قبيل ذلك رآى الركب النبوي من بعيد وسط سراب الهجير الشديد الحرور ، يتلامع فوق ركائبه الثلاث ، فصرخ بأعلى صوته قائلا : يا بني قيلة ــ هذا جدكم ــ أيِ مجدكم ــ قد جاء .. فكان ذلك أول بشارة أبهجت القلوب وأروت ظمأ الشوق الشديد ، يتلقاها أهل المدينة بمقدم الرسول العظيم اليهم . بعد أن أنجاه الله من كيد قوم كانوا ُيبيتون له شراً كبيراً ، وكانت جهودهم كلها منصرفة الى تعويق هذه الهجرة التي أراد الله لها النجاح ، ولا راد لارادته جل ذكره . وكان مع الرسول أبو بكر في مثل سنه على قول ، ولم تكن أكثرية الأنصار المؤمنين قد رأوا الرسول قبل ذلك اليوم . وقد ركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حين أقبلوا عليه وهو جالس في ظل نخلة قباء . فقام أبو بكر حين زالت الشمس عن مكان الرسول عليه السلام فأظله بردائه . وبذلك عرفه المستقبلون .

●—●—●

ولعل من المناسب أن ندع الكلام الآن لرجال الأنصار الذين استقبلوا الرسول في جنوب قباء .. ندعهم يتحدثون بانطباعاتهم عن ذلك الموقف الرائع البهيج ، قالوا : « لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكفنا ـ أي انتظرنا ـ قدومه ، كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فاذا لم نجد ظلا ، دخلنا بيوتنا في المدينة ، وذلك في أيام حارة ، حتى اذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى اذا لم يبق ظل دخلنا البيوت.. وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، وكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رآى ما كنا نصنع، وأنَّا ننتظر قدوم الرسول ـ علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة ، هذا جَدُّكُم ـ أي مجدكم ـ قد جاء . قالوا : فخرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رآى رسول الله قبل ذلك ، وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه منذ ذلك(٥٢) .

●—●—●

منزل الرسول صلى الله عليه وسلم ، بقباء

وقد رافقه صلى الله عليه وسلم الأنصار مستقبلين ومرحبين حتى وصل الى دار كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف من الأنصار في وسط قرية قباء الغناء فنزل بداره ضيفا عزيزاً ، غالياً ُمكرماً . وقيل: بل نزل على سعد بن خيثمة الأنصاري في داره ، والمُرَجَّحُ أن نزول الرسول عليه الصلاة والسلام كان بمنزل كلثوم بن الهدم ، وأن جلوسه

---

(٥٢) سيرة ابن هشام بشرح الروض الأنف للسهيلي ص٢٢٩ و٢٣٠ ج٤ طبعة دار الكتب الحديثة بمصر .

في دار سعد بن خيثمة ، لاستقبال الناس ، لأنه كان رجلا لا أهل له ، وكان منزله منزل العُـزَّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويورد الطبري عن كلثوم بن الهدم قوله : (وكان أول من توفي بعد مقدمه المدينة من المسلمين ـ فيما ذكر ـ صاحب منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدمه الا يسيراً حتى مات(٥٣) .

●—●—●

يقول كاتب هذه السطور : ان البيتين كانا متجاورين متلاصقين مجاورين معاً لمسجد قباء ، وهما على بضعة أمتار منه ، ويقعان على جانبه الجنوبيّ الغربيّ على حافة الطريق المؤدية الى الزقاق الضيق المتعرج الذاهب الى الجنوب من أمام باب مسجد قباء الحالي . وتحيط بهذه الطريق منازل قديمة طراز البناء ، مكونة جدرها من حجر الدبش الحري الأسود المنخور ، ومن الطين ، وسقوفها مكونة من جذوع النخيل المحلية ، ومن جريده ، وسعفه . وفوقها تراب مكبوس سميك. والداران من دَور واحد . وقد أشرنا الى مكان البيتين المتحدث عنهما، ووصفناهما بما فيه الكفاية في كتابنا (آثار المدينة المنورة) .. وقد هُدِم البيتان أخيراً في مشروعات توسعة شوارع المدينة ، ثم حلت محلهما مدرسة للبنين لا تزال قائمة الى اليوم . ودار سعد بن خيثمة أقرب الى مسجد قباء من دار كلثوم(٥٤) .

ونزل أبو بكر بالسُنح ـ بشد السين المهملة وضمها وسكون النون ـ على خبيب بن اساف أخي بني الحارث بن الخزرج ، أو على خارجة الخزرجي في قول . وقد ظل أبو بكر بالسنح ، وانتقل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى وأبو بكر مقيم مع أسرته بالسنح كما ذكره كتاب السيرة والمؤرخون . وقد أورد ابن خلدون في

(٥٣) تاريخ الطبريّ ص٣٩٧ ج٢ طبعة دار المعارف بمصر .

(٥٤) راجع كتاب آثار المدينة المنورة للمؤلف ص١٦ و٢٥ : الطبعة الثالثة بدار العلم للملايين ببيروت سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة بنت أبي بكر وبنى بهـا في منزل أبي بكر بالسنح(٥٥) . وكان عمرها يومئذ تسع سنوات رضي الله عنها وعن أبيها الجليل .

●—●—●

تَحَـرُّكُ الموكبِ النبويِّ من قباء الى داخل المدينة وطريقـــه اليهـــا

التاسع عشر : بعد أن أقام رسول الله عليـه الصلاة والسلام في قرية قباء أربعة أيام هي : يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس خرج من قرية قباء (بيوم الجمعة) قاصداً داخل المدينة . وفي أثناء مقامه بقباء أسس مسجده بقباء الذي ’أ سِسَ على التقوى من أول يوم ، ولا يزال هـذا المسجد المـأثور لأول بناء في الاسلام ، شامخاً ببنيانه الحجري المبيض بالجير على شرف من أرض قباء تحيط به الحدائق من جوانبه الثلاثة .

وقد أدركت الرسول صلاة الجمعة في بني سـالم بن عوف وهو في طريق دخوله المدينة ، فصلاها في المسجد القائم في وهدة من الأرض ، الى يمين الداخل الى المدينة من جهة مسجد قباء الواقع جنوب المدينة .

وكان مسجد الجمعة قبـل أمد يقـع في وسـط صفصف خال ، في شرقيـه ’شجيرات من الطرفاء ، وبقرب منه قطعة أرض جرداء ، تنتهي الى مرتفع هو طريق قبـاء ـ المدينـة قبل أن ’يسَفلَت ثم ’سفِلت وأحاطت به المباني احاطة السوار بالمعصم حتى حجبته عن الأنظار تقريباً من كل ناحية(٥٦) .

●—●—●

---

(٥٥) تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٧٤١ طبعة دار الكتاب اللبناني ببيروت .
(٥٦) راجع كتاب آثار المدينة المنورة للمؤلف .

دخـــول المدينـــة

العشرون : كانت الفرحة التي غمرت قلوب أهل المدينة من الأنصار رجالا ونساء وأطفالا بمقدم رســول الله صلوات الله وســلامه عليــه ، منقطعة النظير ، فقد بادروا الى استقباله والترحيب به وهو في طريقه الى قرية قباء على ما قدمناه .. ولما وصل قباء تجمعوا من كل حــدب وصوب للسلام عليه وتحيته والترحيب به من أعمــاق قلوبهم المؤمنــة المخلصــة ، ومشــوا في ركابه ، وهو مقبل من قباء الى داخــل المدينة وقــلوبهم ووجوههم تطفح بشراً وسروراً ، رجالا ونســاء ، وشيوخاً وأطفالا . كان هناك أطفال الأنصار وهم يحفون بالموكب النبوي القادم الى داخل مدينتهم المبتهجة ، وهم ينطقون بجملة لطيفــة معبرة . انهم يهتفون بقولهم : (جاء محمد .. جاء محمد) . فرحاً بمقدمه الميمون، وأما النساء فكُنّ يهتفن بنشيدهن الترحيبي" الرائع المعبر أيضاً عن عمق سرورهن وغبطتهن بقدوم الرسول الأمين المصطفى الى مدينتهن الفاضلة . كن ينشدن بصوت واحد متحد المشاعر والنغم :

طلـــع البـــدر علينـــا   مـــن ثنيـــات الوداع
وجب الشـــكر علينـــا   مـــا دعـــا لله داع

وفي نشيدهن هذا تتركز حلاوة الايمان الغامر لقلوبهن وعواطفهن ومشاعرهن المسلمة ، أسوة بقلوب وعواطف ومشاعر جميع الأنصار .

وفي نشيدهن هذا روعة التعبير عن حفــاوتهن وشــعورهن بعظمة الرسول وقبول رسالته وبهاء طلعته واشراقته على آفاق بلدهن .. وقد سمينه في نشيدهن (بالبدر) وهو بدر منير لا يأفل نوره بحق ، ووصفن دخوله من ثنية الوداع بأنه طلوع بدر .. وعبرن عن وجوب شكر الله المتفضل الواحد الأحد ، عليهن ، وعلى سائر قومهن ، بطلوع هذا البدر المنير ، على جو بلدهن الطيب المتفتــح للهــدى والايمان .. وثنين ذلك

بالتعبير العميق الصادق عن الاستجابة المخلصة من أهل هذا البلد الحبيب لأوامر الرسول الكريم واجتناب نواهيه واتباع تعاليمه الوضاءة مادام الملوان . وقد أقررن وأعلن عن خلوص نيات وصفاء ضمائر ــ أعلن عن تصديقهن وتصديق معشرهن ببعثة الرسول ، وبادرن الى ذلك ليبرزن للرسول المصطفى في أول بادرة منهن بصدق ايمان قومهن برسالته الشاملة الخالدة .

وليس من ريب في أن أهل المدينة من 'شبَّان وكهول وشيوخ ونساء كانوا جميعاً قريري العيون ، مبتهجي النفوس ، منشرحي الصدور يتبادلون تعبيرات التهنئات العميقة والمحبة الصافية ، والايمان الأكيد برسالة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، تلك المحبَّة الحقة التي كانت تنطلق في الأجواء أشعتها من حلوق أطفال المدينة الحَافينَ برسول الله عليه السلام ، ابان دخوله المدينة قادماً من قباء ، ومن أفواه النساء في طراز نشيدهن الشعري الجميل الجذاب الرنين والمطالع والمقاطع والقافية .

●—●—●

وقبيل مسيرته الى داخل البلد الطيب كانت قبائل الأنصار قد اجتمعت قبل أن يتحرك من قباء الى المدينة في منازل عمرو بن عوف فمشت حول ناقته ، ولا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة ، 'شحاً على كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له(٥٧) ثم كانوا يعترضون طريقه ، عارضين عليه في ثقة واخلاص أن ينزل عندهم : كانت كل قبيلة يقف رجالها أمامها (أمام ناقته) تعرض عليه أن ينزل عندها لتحوز شرف هذا النزول ، وكان عليه الصلاة والسلام جم الأدب معهم عظيم الأخلاق ، نبيل التلطف في اجاباته لهم ، اذ يقول لكل قبيلة منهم جواباً على طلبه ، أن ينزل لديها : يقول عن ناقته : (دعوها فانها

(٥٧) السيرة النبوية لاسماعيل بن كثير ص٢٧٣ ج٢ .

مأمورة) وقد استأنسوا بهذا الجواب المحمدي الكريم ، ورسول الله صادق مُصدَق في كل ما يقول ، وقد أخبرهم بما لا يقبل الريب بأن ناقته مأمورة ، ستقف به في المكان الذي أُمرت وأُلهمت بالوقوف به ، فَخَلَّوا سبيلها عن قناعة ورضا ، فانطلقت بالرسول في طريقها قُدماً وهي تمر به على حشود قبائل الأنصار قبيلة بعد قبيلة في منازل كل منهم الواقعة بين قباء والمدينة في ضاحيتيها الجنوبية والشمالية حتى اذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت به على مكان باب مسجده الشريف في قلب المدينة الى ناحيتها الشرقية ، وكان هذا المكان الذي بركت فيه مربداً(٥٨) لغلامين يتيمين من بني النجار ، ثم من بني مالك بن النجار ، وهما في حجر معاذ بن عفراء : سهل وسهيل ابني عمرو .. فلما بركت الناقة ورسول الله عليها لم ينزل عنها . وَثَبَت ، فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت الى خلفها فرجعت الى مبركها لأول مرة ، فبركت فيه ثم تحلحلت(٥٩) ورزمت(٦٠) ووضعت جرانها ـ مُقدم عُنقها ـ كأنها تقول بلسان حالها : هذا هو المنزل المفضل المعين لتوقفي ، لبناء مسجدك ومسكنك فيه يا رسول الله .. وما لها لا تفعل وهي مأمورة بالبروك في هذا المكان بالذات ، كما حدثنا به الرسول المصطفى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حين قال عنها لمن يرومون من قبائل الأنصار أن ينزل عندهم : « دعوها فانها مأمورة » . وحينئذ نزل عنها رسول الله ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رحله ، عليه السلام فوضعه في بيته ، ونزل فيه الرسول ، وسأل عن المربد الذي بركت فيه ناقته : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما عنه ،

---

(٥٨) المربد : الموضع الذي يوضع فيه التمر بعد الجِدَاد لِيَجِفّ فيه ، وهو للتمر كالبيدر للحنطة .. (معجم متن اللغة) لأحمد رضا ص٥٣٠ ج٢ ط. دار مكتبة الحياة ببيروت ٧٧ هـ .

(٥٩) تحلحلت : تحركت وذهبت (من نفس المصدر السابق) مادة (حل) .

(٦٠) رزمت : حنت وصوتت صوت حنين (مادة رزم) من نفس المصدر السابق .

فاتخذه مسجداً . وقد روى كتاب السيرة النبوية أن الرسول أراد شراء المربد المذكور فأبت بنو النجار من بيعه وبذلوه لله ، وعاوضوا اليتيمين بما هو أفضل ، كما ذكروا أن الرسول عليه السلام أبى أن يأخذه الا بثمن ، مثل صنيعه مع أبي بكر حينما أزمع أن يهدي اليه الراحلة التي هاجر عليها ، فأبى عليه ذلك الا بالثمن الذى اشـــتراها به أبو بكر ، على ما قدمناه في حديث سابق في هذا الكتاب .

وعندما بركت الناقة بقرب دار أبي أيوب خرجت جَوَار من بني النجار يضربن بالدفوف وينشدن :

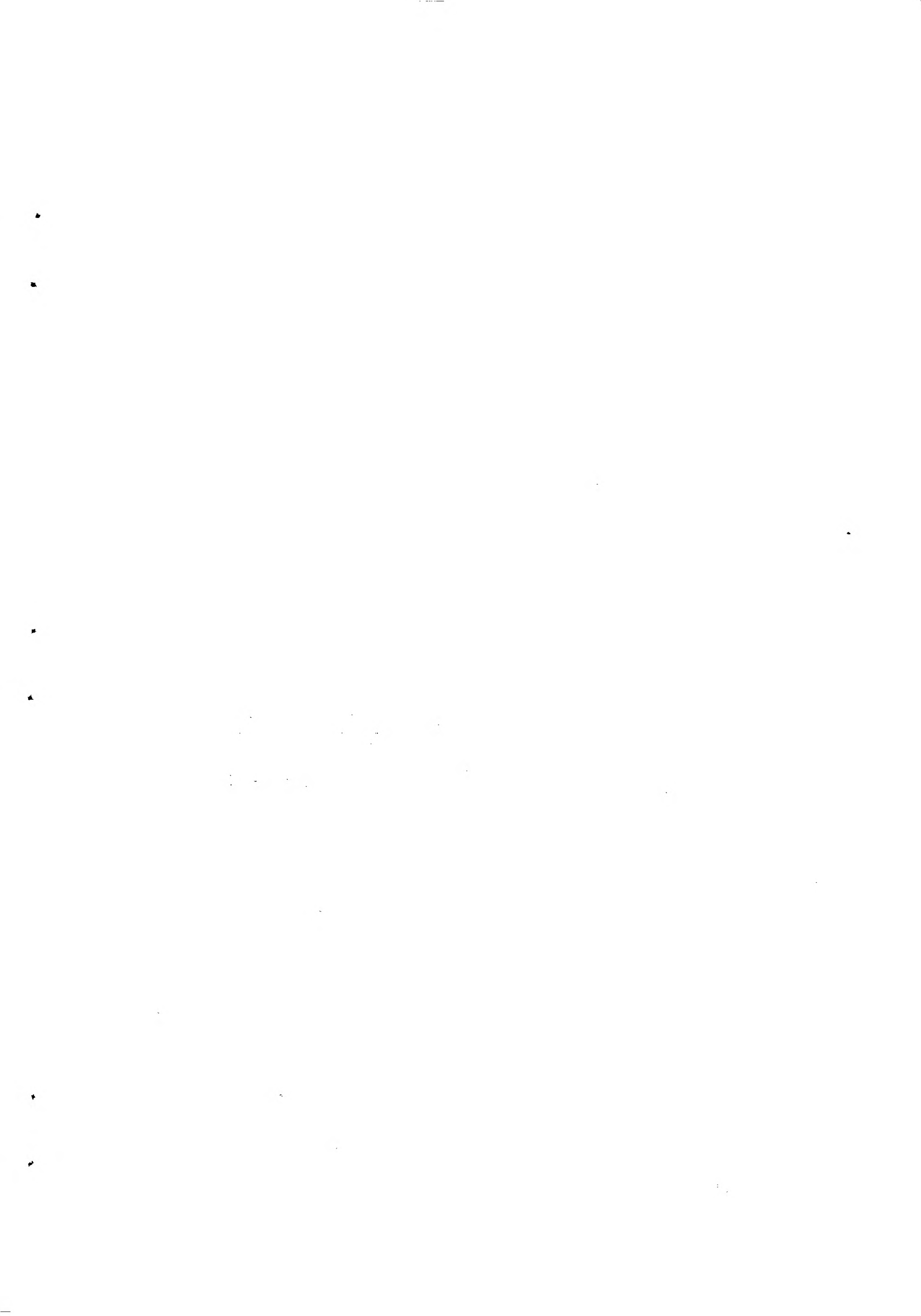
نحن جـــوار من بني النجـــار ياحبـــذا محمـــد من جار(٦١)

---

(٦١) السيرة النبوية لاسماعيل بن كثير ص٢٧٤ ج٢ .

الفصل الثامن

تشابه خطوط اتجاهه صلى الله عليه وسلم في خروجه من مكة ودخوله المدينة



ظهرت لى من الدراسات المتتابعة التي قمت بها للخطوط التي سلكتها الهجرة النبوية ـ نظرية'' تقول بوجود تشابه في بعض هذه الخطوط .. واخال' أنها نظرية بكر في استكشاف بعض جوانب مهمة من طريق الهجرة النبوية التي لا تزال يكتنفها على العموم شيء من الغموض في المسالك والمراحل ، للأسباب التي أبديناها فيما سلف .

ونقدم اليك نظريتنا هذه فنقول :

أولا : يوجد هذا التشابه بين الخط الذي سلكه الرسول عليه السلام وصاحبه عندما خرجا من مكة الى جبل ثور ، ومن جبل ثور الى الطريق الساحلي المتجه الى المدينة من جهة ، وبين الخط الذى سلكاه عند دخولهما المدينة من قباء من جهة أخرى .

وتفصيل ذلك أننا اذا رجعنا الى نصوص كتب الحديث والتاريخ والسيرة والبلدانيات التي طرقت موضوع الهجرة فاننا نجد ماثلا أمامنا هذا التشابه بين شكلي خطي الخروج من مكة والدخول الى المدينة .. تقول تلك النصوص ما فحواه : (ان خط سير الرسول من مكة الى جبل ثور كان متجهاً الى الجنوب من مكة ، وسَير'ه' من جبل ثور الى طريق المدينة كان متجهاً أولا الى الغرب فالشّمال ، فهذا الخط بالذات اذن يأخذ شكل نصف دائرة تقريباً ، رأسها الأول بمكة في الجنوب والثاني شمالي وهو في طريق المدينة .

ومثل هذا الشكل تقريباً من ناحية عامة يأخذه خط سيره في دخوله المدينة من قباء .. فقد خرج اليها من قباء الواقعة بجنوبها .. واتجه أولا الى الشمال قليلا ، ثم انعطف اتجاهه الى الغرب قليلا ، ثم الى الشمال حتى وصل الى ما بعد ثنية الوداع ، ومن ثم انعطفت المسيرة الى الجنوب ، حيث دخل المدينة من شمالها ، من ثنية الوداع التي صارت ثنية الاستقبال لموكبه المنيف ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وهذا شبه نصف دائرة أخرى ، تماثل أو تقارب في وضعها العام نصف الدائرة التي شكلتها مسيرته أولا من مكة الى جبل ثور ، فطريق

ساحل البحر الأحمر . ويتضح ذلك التشابه جلياً في الخريطة التقريبية التي وضعناها لطريق هذه الهجرة في آخر هذا الكتاب .

ان الفرق ضئيل بين محيطي الدائرتين على العموم . ومع ذلك لم نهمل في اعتبارنا الأمر الواقع من طبيعة السير المختلف المتبلور . فان فتحة دائرة سير الخط الأولى تتجه الى الغرب فالشمال على طول ، حالما أن فتحة الدائرة الثانية تتجه أولا الى الغرب ، فالشمال ، فالجنوب .

●—●—●

انني لم أر فيما اطلعت عليه من المراجع من تعرض لهذه النقطة العجيبة في الكشف عن بعض أسرار خطوط طريق الهجرة النبوية بالاستناد الى المصادر المعتبرة لم أر ذلك لا في المراجع القديمة ولا الحديثة .

وعلى هذا الأساس العلمي وضعت المخطط التقريبي لطريق الهجرة النبوية (كمحاولة) أولى لرسم واقع هذا الطريق ، ولعلها أول محاولة من هذا القبيل .

●—●—●

هذا ومن المعلوم تاريخياً أن الرسول عليه السلام دخل المدينة من شمالها ، من ثنية الوداع . نص على ذلك المحدثون وكتاب السيرة وعلماء البلدانيات ، وكان الخط الطَّبَعِي لدخوله المدينة أن يكون من جنوبها رأساً لأنه وافاها من قباء التي تقع بجنوبها .. ولهذه المسيرة الخاصة حكمة اجتماعية ذات مغزى عال ، وأهمية بالغة ، فانه عليه السلام آثر أن يتتبع منازل قبائل الأنصار المقيمة في الجهات الغربية والشمالية من ضواحي المدينة ، ليمر عليها قبل دخوله طيبة فيكون تعارف وتآلف في مستهل قدومه المبارك . ولمسيرته كذلك في مبدأ الهجرة من مكة الى جنوبها فغربها فشمالها حكمة أخرى بحسب الظرف والمكان . فمن المعلوم أيضاً أن هذا الخط ليس هو الخط الطبعي لمن يريدون السفر من مكة الى المدينة ، والسير فيه يبعد الأبصار المعقبة لهجرته .

في المدينة يسمونها طريق الجصة

أدركنا كبار الناس في المدينة المنورة يسمون طريق الهجرة هــذا باسم (طريق الجصة) ، وهذا اسم متواتر بينهم متعارف بين عامتهم وخاصتهم حتى عهــد قريب .. ولا بد أن له أســاساً مَّا .. وان كنا لا نعلم حتى الآن سر هذه التسمية . وهم في أحاديثهم العامة والخاصة والعابرة يشيرون الى أن طريق الهجرة النبوية يسير الى جنوب قباء وأن مدخله للمدينة من هذه الناحية الجنوبية للمدينة .

هذه كلمة عابرة أوردناها للتاريخ ، فان اجماع أهل المدينة على هذا الأمر شيء يحسب له حسابه ، وربما كان من المهم أن تقوم بعثة جامعة الملك عبد العزيز بمهمة استكشاف معالم هذه الطريق بأخــذ وجهة النظر هذه في الاعتبار أيضاً ثم تجري على ضوئها دراسات عميقة شاملة ، ولربما انه اذا تم ذلك على الوجه المطلوب نتفهم أموراً كثيرة عن معالمه ومراحله ومواقعه ومن بينها سر تسميتها باسم طريق الجصة لدى أهل المدينة .

الفصل التاسع

مهرجان إسلامي عظيم

بمقدم الرسول العظيم الى المدينة

كما قدمنا فان دخول الرسول صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة كان من شمالها . وربما كان الباعث على ذلك أن كثرة من قبائل الأنصار تقيم في الضواحي التي مر بها الرسول بعد خروجه من قرية قباء ، وقد مضى في طريقه والقبائل الأنصارية تتقدم اليه ملتمسة نزوله عندها حتى اذا سَامَتَ ثنية الوداع من ناحيتها الشمالية دخل المدينة منها .

وثنية الوداع هذه هي الطريق بين جبل سلع وفرعه : « القُرَيِن »، كان أهل المدينة يودعون عندها المسافرين ، الى الشام، ولذلك سميت ثنية الوداع . وقد تشرف الأنصار باستقبال المصطفى عند دخوله من هذه الثنية ـ التي كان من الأولى أن تسمى بعد ذلك بثنية الاستقبال ـ استقبالا حافلا نابعاً من عقيدة الايمان برسالته وأسهم الرجال والأطفال والنساء في هذا الاحتفال الاسلامي العظيم ، فكان الرجال تعلو جباههم الفرحة الغامرة بهذا اللقاء الذى كان أسعد الفرص في حياة مدينتهم . وكان الأطفال المدنيون يهزجون في كلمات موجزة معبرة عن الفرحة الغامرة لكياناتهم يرددون جماعياً وانفرادياً : (جاء محمد .. جاء محمد) . وأما النساء فقد آثرن أن يبلورن فرحتهن العميقة في نشيد نظمن عقده الدري ، وكن ينشدنه في موكب الاحتفال العظيم بالرسول العظيم وقد مر بنا آنفاً .

وحق للجميع أن يفرحوا وأن يبتهجوا ، وأن يبرزوا عواطفهم المغمورة بالحب والتبجيل للقادم الكريم عليهم من مكة . فهذا يوم سعيد مجيد أعز الله به الاسلام والمسلمين فهم سعداء بهذه السعادة الكبرى الغامرة .

وهكذا حقق الله جل ذكره وعده الكريم المنجز لنبيه وصفيه من مخلوقاته سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد نصره وآزره وأخرجه سالماً ظافراً من بين أعدائه المتربصين به الدوائر ، وأبلغه مأمنه ومهاجره محفوفاً برعايته وعنايته .

●—●—●

وقد انتشر الاسلام بعد الهجرة في بلاد العرب انتشار الضياء الذى تنحسر بمجرد انتشاره غياهب الظلمات فتنطوي وتضمحل ويعم النور الآفاق بالبشر والسرور وبالحياة العزيزة الكريمة المستقيمة الظافرة السعيدة .

●—●—●

وقد تعاون المهاجرون والأنصار في المدينة على خير دينهم ودنياهم بقيادة المصطفى الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ، وأصبحوا في بلدهم المؤمن الوحيد اذ ذاك كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى .. وكان ذلك (التضامن الاسلامي) الأول حجر الزاوية ، ومنطلق الفتوح الاسلامية الخالدة العالمية الكبرى التي بشرهم بها الرسول عليه السلام في غزوة الخندق .. تلك الفتوحات التي انبثقت منها الحضارة الاسلامية التي سادت فبادت بسيادتها الحضارات الزائفة المادية الرعناء ابان الفتوح التي انتشرت فوق ربوعها اشعاعات الحضارة الاسلامية الزاهرة فجعلتها تنكمش وتتجمد .. وبدخول الرسول المدينة واستقراره فيها هو ومن هاجر اليها من أصحابه دخل الاسلام والمسلمون في طور جديد هو دور الاطمئنان والتركيز ورفعة الشأن ، في الوقت الذي دخل فيه الشرك والمشركون دوراً جديداً من بؤر التأخر والاضطراب والاضمحلال .

ولقد نصر الله نبيه وأيده بجنوده كما قال تعالى في محكم كتابه : (الاّ تَنصُرُوهُ فَقد نَصَرهُ اللهُ اذ أخرَجَهُ الّذينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثنَين اذ هُما في الغَار اذ يَقُولُ لِصَاحِبِه لا تَحزَن انَّ اللهَ مَعَنا فَأنزلَ اللهُ سَكِينته عَلَيه وأيَّدَهُ بِجُنُود لَم تَروها وجعلَ كَلمَةَ الّذينَ كَفَرُوا السُّفلى وكَلِمَةُ الله هِيَ العُليَا واللهُ عَزِيز حَكِيم) .

الفصل العاشر

الهجرة كما يرويها أبو بكر الصّدّيق

خير من يروي حديث الهجرة أبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الهجرة ، وحديثه عن الهجرة وطريقها هو حديث خبير ممارس ، حديث صديق صادق . وحديثه التالي يتسم بعدة فضائل مشرقة : فضيلة الصدق ، وفضيلة الدقة في الوصف ، وفضيلة التركيز وحسن التعبير وايجازه غير المخل . واستيعابه للمقصود . وها نحن أولاء نورد فيما يلي نص حديثه في هذا الشأن الذي رواه عنه عازب والد البراء رضي الله عنهما حيث قال البراء :

اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً ، فقال أبو بكر لعازب : مُر البراء فليحمله الى منزلي . فقال : لا ، حتى تحدثنا كيف صَنَعتَ حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا وأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصري هل أرى ظلا نأوي اليه ، فاذا أنا بصخرة فأهويت اليها ، فنظرت الى بقية ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة ، وقلت : اضطجع يا رسول الله ..فاضطجع.

ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب ، فاذا أنا براعي غنم فقلت : لمن أنت ياغلام ؟ فقال : لرجل من قريش ، فسماه فعرفته . فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ! قلت : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم ! فأمرته ، فاعتقل شاة منها ، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ومعي اداوة على فمها خرقة ،فحلب لى كُثبة ــ أي قليلا ــ من اللبن ، فصببت على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا ، والقوم يطلبوننا . فلم يدركنا أحد منهم الا سراقة بن مالك بن جعشم ، على فرس له ، فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا .. قال : « لا تَحزَن انَّ اللهَ مَعنا » .. حتى اذا دنا ، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين ، أو قال : رمحين أو ثلاثة . قلت : يا رسول الله هذا

الطلب قد لحقنا .. وبكيت . قال : لم تبكي ؟ قلت : أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكني أبكي عليك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه الى بطنها في أرض صلبة ، ووثب عنها ، وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأُعَمِّيَنَّ على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لي فيها » . ودعا له رسول الله فَٱنْطَلَقَ ، ورجع الى أصحابه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى قدمنا المدينة ، وتلقاه الناس ، فخرجوا الى الطرق وعلى الأناجير — أي السطوح — واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء محمد . قال : وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب ، لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر(١) .

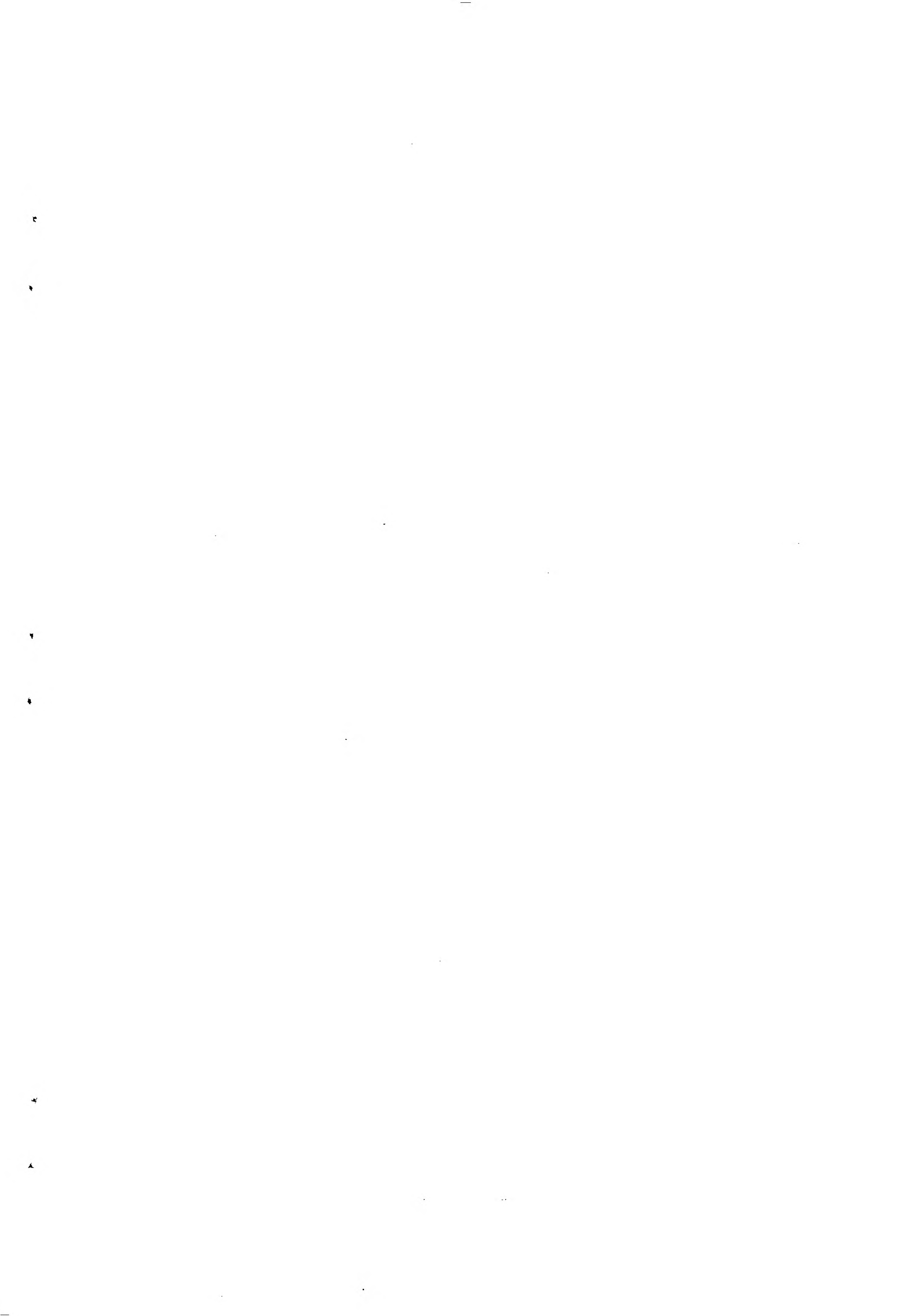
ويستخلص الباحث من هذا الحديث الصادر من أبي بكر الصديق عن الهجرة أموراً عديدة : منها أن الرسول عليه السلام عقب خروجه من جبل ثور أسرع في رحلة الهجرة واستحث راحلته لقطع أكبر مسافة ممكنة في أقل زمن ممكن . ولتحقيق هذه السرعة جمع بين السير والسُّرَى في ذينك اليوم والليلة مع السير نهاراً بعدهما ، حيث واصل السفر حتى قام قائم الظهيرة ، فتوقف عند الصخرة الطويلة التي كانت في طريق الهجرة ، أول مرحلة بعد غار ثور .. ولا بد أن هذه الصخرة الطويلة لا تزال في مكانها شامخة ولربما أن البحث العلمي الدقيق عنها يجليها ويستكشفها ، وعندئذ يصبح هذا الاستكشاف مهماً . اذ يضع

---

(١) السيرة النبوية لأبي الفداء اسماعيل بن كثير ص٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ ج٢ ط : مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ص٣٦٥ و٣٦٦ ج٤ ط : بيروت وفي رواية محمد بن سعد توسع في الخبر بأكثر مما في كتاب اسماعيل بن كثير مع بعض اختلاف بين عبارات اسماعيل بن كثير ، والطبقات الكبرى .

أيدينا وأبصارنا على موضع أثري مهم من آثار طريق الهجرة النبوية في أولى مراحلها .

ومن فوائد حديث أبي بكر المهاجر مع رسول الله افادته لنا بأنه كان رجل المهام والتدبير الحازم الحكيم ، فقد كان على قدم الاستعداد للقيام بكل لوازم النجاح والاحتياط لهذه الهجرة .. فقد أخذ معه ما يملك من المال من داره بالمسفلة وأخذ معه غلامه عامر بن فهيرة وأخذ معه اداوة للماء والحليب اذا وجدا ، وجعل على فمها خرقة حتى لا يدخلها غبار أو خشاش ، ولعلها هي نفس القدح الوارد في الحديث المذكور ، ومن فوائد حديثه رضي الله عنه أيضاً أنه كان شفوقاً على رسول الله ، جزوعاً من أن يلحقه أي أذى ، ومن آيات هذه المحبة المخلصة أنه كان في هجرته يسير تارة خلف رسول الله ، وتارة أمامه ، وتارة بجانبه . وسأله الرسول عن سبب هذه الحركات فأجابه بأن سببها هو خشيته على الرسول أن يلحقه أيُّ أذى من أي جانب . ومن فوائد حديثه أيضاً ثبوت شمول الاحتفاء البالغ بقدوم الرسول بين جميع الأنصار من رجال وأطفال ونساء .



الفصل الحادي عشر

النبيّ صلّى الله عليه وسلم
يبني مسجده ومسكنه في المدينة المنوّرة

هذا وبعد قدوم الرسول عليه الصلاة والسلام الى داخل المدينة أقام مسجده ، وأقام الى جانبه الشرقي مساكنه المتواضعة عمرانياً .

وقد جعل عضادتي(١) المسجد ــ الحجارة ــ وسَوَارِيَهُ جُذوعَ النخل ، وسقفه جريد النخل ، بعد أن نبش قبور المشركين وسواها وسوى الخرب ، وقطع النخل ، وصلى فيه المسلمون حسبة .

وقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في بناء المسجد ، لِيُرغِّبَ المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، وقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل

وصار المسلمون يهزجون جماعياً أثناء بنائهم للمسجد النبوي الشريف بقولهم :

لا عيش الا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

وهو كلام منثور وليس شعراً ، وكان الرسول عليه السلام يردد معهم قائلا : لا عيش الا عيش الآخره ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار(٢) .

وقد كان بناؤه للمسجد النبوي ولمساكنه بناء يتسم بالتواضع على نحو ما فصلته كتب الحديث والسيرة والتاريخ .

---

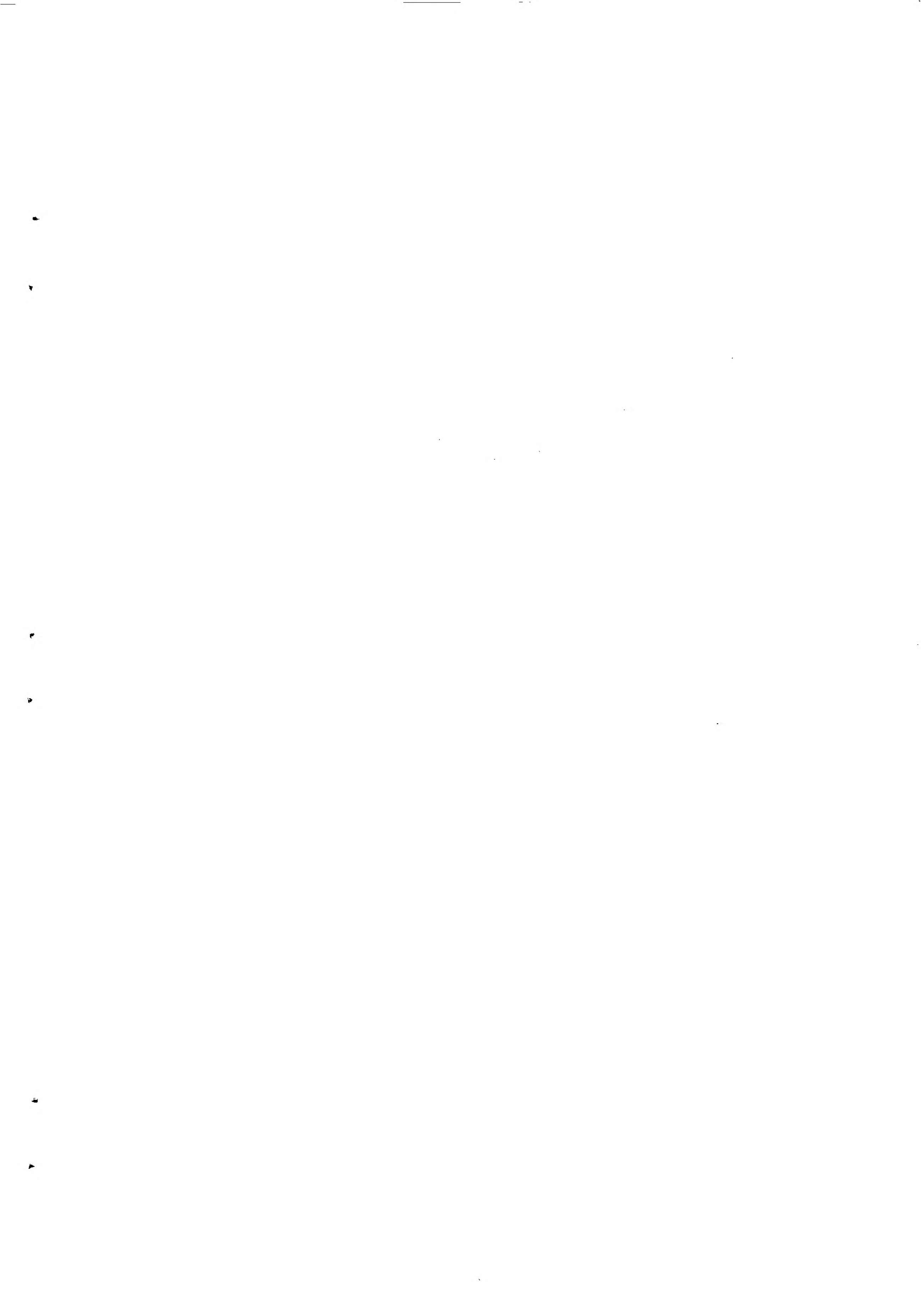
(١) العضادتان : جوانب عتبة الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ص١٤١ و١٤٢ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .



الفصل الثاني عشر

بيان مسلسل يحدّد مراحل طريق الهجرة النبويّة



١ ـ قام صلى الله عليه وسلم من مكة (من بيت أبي بكر بالمسفلة) القائم في خط بني جُمَح .

الى :

٢ ـ جبل ثَور ، ومن جبل ثور

الى :

٣ ـ أسفل من وادي عُسفَانَ (معارضاً الطريق) العام ، ومنه

الى :

٤ ـ أسفل من وادي أمَج ـ الذي هو واد بجانب وادي غُرَان المعروف في بلاد بني سُلَيم ، ومنه

الى :

٥ ـ أسفل من وادي قُدَيد (معارضاً الطريق العام أيضاً) ، ومنه

الى :

٦ ـ الخَرَّار (غدير خُمّ) وهو واد يصب في الجحفة ، ومنه

الى :

٧ ـ ثنية المَرَةَ .. ومنها

الى :

٨ ـ لِقف أو (لِفت) .. ولفت واد قريب من هَرشَى بالحجاز (أو) ثنية الغائر في الـدَّرب المعروف بدرب الغائر ، وسطح الغاير ، ومنه

الى :

٩ ـ وادي مَدلجَةَ مجاح ومنه

الى :

١٠ ـ مَرجح مَجاج ومنه

الى :

١١ ـ الجَدَاجِد .. ومنه

الى :

١٢ ـ الأجرد : (جبل لِجُهَينَةَ دون المدينة) .. ومنه

الى :

١٣ ـ ذي سَلَمَ (ويبدو أنه واد بين القاحة والسقيا) ومنه
الى :
١٤ ـ العَبَابِيد أو العبابيب أو العثيانة ومنها
الى :
١٥ ـ القَاحَـة (على ثلاث مراحل من المدينة قرب جبل ثافل الأصغر)
ومنها
الى :
١٦ ـ العَـرج : قرية جامعة في واد في طريق مكة والمدينة ، بينها وبين
المدينة ٢١ فرسخاً .. ومنه
الى :
١٧ ـ ثنية الغائر : (معروفة وبها ُسِمي َ الطريق ُ بين مكة والمدينة
(درب الغائر) ومنه
الى :
١٨ ـ وادي ريم (على ثلاثين ميلا من المدينـة وهو واد مذكور أيضاً
في أشعارهم) .. ووادي ريم أو رئم أحـد الأودية التى ترفـد
وادي العقيق بالمدينة .. ومنه :
الى :
١٩ ـ ُقبَاء (ضاحية المدينـة الجنوبيـة . بينها وبين المدينة نحو ٣
أميال) ومنها
الى :
٢٠ ـ داخـل المدينـة من طريق ُمنعَـطف نحـو الغرب ، فالشمال
حيث « ثَـنِيَّة ُ الوداع » التي دخـل الرسـول صـلى الله
عليه وسلم المدينة من شَمالِها والمدينة تقع في الجنوب منها .

الفصل الثالث عشر

المختار من شعر الهجرة



لأنَّ الشعر العربيَّ الأصـيل ، كان وما زال « ديوان العرب » و « سجل تاريخهم » و « مستودع مآثرهم وآثارهم وتراثهم » تنطلق من أجوائه دائماً اشعاعات حضارتهم : حضارة الاسـلام الخالدة التي كانت الهجرة النبوية أحد أركانها ودعائمها ومعالمها وصواها البارزة . فقـد رأينا أن نضم الى فصول كتابنا هذا عن طريق تلك الهجرة الكريمة ، هذا الفصل الخاص بقيام الشعر العربي بجولات صادقة ومخلصة في هذا الميدان . ومن بعده فصل آخر حول نهوض النثر الأدبي العربي بنفس المهمة .

ونعتقد أنه لو أراد باحث متفرغ ضليع أن يملأ من هـذا المعين الفياض مجـلدات لـكان له ما أراد .. وبذلك يزيد من ثروة أدبنـا ما يزيده بهاء واشراقاً ورفعة واندياحاً .

●—●—●

أول شاعر تحدث في شعره عن الهجرة المحمدية

يبدو لنا أن أول شاعر أجال فكره وبيانه في موضوع الهجرة هذه كان حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .. فقد نظـم قصيدة من ثمانية أبيات من الشعر السـهل الممتع في موضـوع الهجرة فأجاد وأفاد .. ومما يرفع مكانة هذه القصيدة أنها قد تكون مفتاح كل ما قيل في هذا الشأن من شعر ، بعدها ، فقـد قالها عقب نجاح هجرة الرسول صلى الله عليه وسـلم وعقب قدومه الى المدينة مباشرة وبعـد حلوله بين أنصـاره في مدينتهم المؤمنة الموحـدة اذ ذاك .. فقد ذكر 'كتّاب' السيرة النبوية أن حسان قال هـذه القصيدة الموجزة المركزة عقب سماعه لنبأ القصيدة ذات سبعة الأبيـات من نفس وزن قصيدة حسان ، ومن قافيتها : تلك القصيدة التي صرخ بهـا هاتف 'يسمَع' صَوتُه ولا يرى شخصه فوق أجواء مكة فأدى مهمة المذياع الذي يسمع صوته ولا يرى جهازه من بعيد .. وقـد بشر الهاتف المُستكِنّ وراء صوته الجهير ، بنجاة الرسول ووصوله الى مأمنه في هجرته ، فقد وصل ركبه النبوي المدينة فعلا ، سالماً هانئاً ..

وقد حدد الهاتف غير المرئي معالم الطريق التي اجتازها الرسول في هجرته ، وسَمَّى بعض الأشخاص الذين نزل عليهم أثناء الهجرة في طريقه الى طيبة الطيبة ، وتحدث للناس عما حصل من خير وبركة لأولئك الأناس الذين حظوا بنزول الرسول عليهم .. وقد سُرَّ المسلمون الذين لم يزالوا مقيمين بمكة بهذه البشرى المبهجة الميمونة .. وعندئذ قال حسان مؤيداً لبشارة الهاتف مصدقاً لها ، وداعماً ، قصيدته هذه . وقد وازن بين الخسارة الفادحة التي لحقت بقريش من جراء خروج النبي عليه السلام من بلدهم ، والربح العظيم الذي ظفر به أهل المدينة من جراء استقبالهم بحفاوة بالغة مقدم الرسول الى مدينتهم ، قال :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم	وقد سُر من يسرى اليهم ويغتدي
ترحَّل عن قوم فضلت عقولهم	وحل على قوم بنور مُجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم	وأرشدهم ، من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضُلال قوم تسفهوا	عَمى ، وهداة يهتدون بمهتد ؟
لقد نزلت منه على أهل يثرب	ركابُ هدى حلَّت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب	فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

●—●—●

ليهن أبا بكر سعادة جَدِه	بصحبته ، من يسعد اللهُ يسعد

●—●—●

الهجرة النبوية في ملاحم شعرية حديثة

● الملحمة الأولى ـ ملحمة جميل ذبيان ●

في الشعر العربي الحديث وحده نظمت ملاحم شعرية اسلامية تشيد فيما تشيد ، بالهجرة المحمدية ، ومن بين هذه الملاحم الشعرية، الحديثة تلك الملحمة الكبرى التي نظمها المقدم جميل ذبيان ، وهي

ملحمة ملأت ديواناً شعرياً ضخما ، منـوع القافيـة ، رائع الانتـاج والاخراج ، وقد أثبت حجم هذه الملحمة قدرة الشعر العمودي الموزون المُقَفّى على التعبير عن كل ما يجيش بخاطر الانسان من أدب وتاريخ وعلم واجتماع وثقافة وغيرها .

قال الشاعر ضمن ملحمته الشعرية الكبرى :

جاء من قـال للنبي ، قـريش في مهب من القـوى تتـألب

ركبت رأسـها الشرورُ ، وهمّت بالأذى ، فاحذر القـوى وترقب

وتنـادى المـكلفون لاثم ان همو نفذوا ، الرسالةُ تذهب

كل ما يبتغـون أنت ويبـقى للمجـدين في طـلابك مطلب

●—●—●

أذن اللهُ أن يهـاجر للغـير نبي وأن يجهـز مـركب

فاختفي والعيـون تحـدق بالبيـت وترجـو له النّزولَ وترغب

تقتفيه العيـون أين تخفـيه ؟ وفي أي عاصـم يتغيب ؟

ومضت خلفـه تُجِـد المطايا وعـلى دربـه الخَطَى تتعقب

وهو بالغـار غار ثور مقـيم يسـأل الله ، والورى يتـرقب

●—●—●

حاق بالغـار طالبوه ولـكن ما أتى العنكبوت بالقـوم أغرب

أين يمضي محمد ؟ ذاك نسـج وغصون فيها الدخـول تصعب

ليطـيروا وليطلبـوا كل بطن علهم يدركون من قِيـلَ أذنب

وليعـدوا سـيوفهم لزؤام فـوق نيرانه الهـدى يتقلب

●—●—●

غار حُلم الأثم البغيض فأنجى الله عبـداً أوحى اليـه وأخصب

واسـتحث الخطى النبي فألقى رحـله في مهـامه تتشـعب

وطوى البيـد وانتحى كل درب ضـاع عنه كفـر وغيب مأرب

والحيارى للغدر بالمـال طاروا يتجنـون والنضـار تسرب

ويعدون في الخفاء سهاماً   هي أشقى من الزؤام وأصعب

وتنادوا للفتك كل 'يمَني   نفسه أن رمى النبيَ بمنصب

وتنادى سراقة للدواهي   وامتطى الشر والسلاح تنكب

ومضى فوق أبجر يسبق الريـ   ـح ، ويطوى الشعاب صعباً فأصعب

والجواد المُلِحُّ يكبو ويكبو   تحت لكز من قسوة العدو أتعب

وعلى الحق عاد يصحو طليب الشر واهتز للتقى وترهب

وارتقت في سراقة نفسُ خِدن   ناصع اللب في الجمال تَطَيَّب

فانتشى صالحاً وأقسم أن لا   يتجنى وأنه الخير يرغب

●—●—●

ومضى للنبي يطلب عهداً   بكتاب منه 'يصاغُ ويُكتب

فحنا الطاهر الأمين على الطـ   ـلب ، وفي قالب جميل محبب :

'كتب العهدُ ، فاحتواه كريم   عاد من اثمه يَذْ'ب ويدأب

● يثرب في انتظار الرسول ●

جاء يدنو من الطريق البعيد   رجُلُ الحق والبيان السديد

وعليه من سيد الخلق ردن   نسجته العلا بدار الخلود

هاك ضاء الوجود في بعث حق   يا لدنيا زهت ببعث سعيد

يثرب والنفوس ظمآى لوحي   هو فوق المدى وفوق الوجود

سمعت عن محمد ما دعاها   تترامى على 'مِطل جديد

فانثنت وانتشت تضاحك درب الو   حي والقادر القوي العتيد

أمَّها الطهرُ فلتعبد طريقا   شادها الطهر في رضا المعبود

ولتهيىء عتادها فعلى القلب   يلوب الغوى وعصف الرعود

ان يكن في قريش عسف وكفر   فبها ردة وزهوة عيد

وعليها لحن من السحر يندى   بنداء يعيد لب الشريد

●—●—●

’شرفت يثـــــرب(١) بركب نبي	يحمـــل الوحي من بعيـــد البعيد
ويعاطي الوجـــود فيضاً ونبـــلا	من معـــين ’مغتر مـــكين فـــريد
عن اله لا يســـترد العطـــايا	لا ولا يحتمي بجيش عـــــديد
فلتـــكن يثرب(٢) مَهب ’حســـام	ناصع الحق في الطـــريق الرشيد
ولتقارع بدينهـــا صخب العصف	فحقـــل النـــدى بهيُ الورود(٣)
ان تزل يثرب فمـــا الخـــلد الا	دائم الوجـــه مســـتطاب الورود
و’دنـا الأرض لن ’تنيـــل بني الأ	رض سوى رعشة وحـــلم طريد
وقِسيُ الـــكفار أوهى من القش	ودون القـــدير زَجُ البنـــود
ورحاب الدنيـــا فنـــاء وموت	وبقاء الخـــلود دار الشـــهيد
فالى المـــوت ما ترد رحى المـــو	ت وللنصـــر في الكفاح المجيـــد
لا اله الاه’ رَدَّدَت الدنيـــــا	ورفت على الرســـول الأكيـــد

●—●—●

ومضى الشاعر في ملحمته هذه ، الى أن قال :

ود بعض لو يستضيف رســـول الله	وانجـــاب عن جليـــل الوعود
غـــير أن الرســـول لم يعط رداً	وامتطى ناقـــة وبين الوفـــود
ســـابها حـــرة وألقى ’خطَاماً	فوقهـــا فانتشت بســـير الوئيد
وعـــلى مربد معـــد لســـهل	وسهيل . وفي جـــلال الركـــود :
وقفت ناقـــــة النبي فالقى	رَجْلُ’ الله ذو الهدى المنشـــود :
رحلَه’ شـــاكراً هـــداية رب	واعـــد مشرف على موعـــود
وابتنى مســـجداً وأعلى بنـــاءاً	يَالَدّار ومســـجد ووعـــود(٤)

●—●—●

(١) و (٢) كنت ’أوثر أن يقول الشاعر الكبير هنا وفيما بعده (شرفت طيبة) لينسجم المعنى والمبنى بدلا من كلمة (يثرب) التي يلمس فيها بعض الاستخفاف والجفاف والجفاء بالنسبة للبلد الكريم المتحدث عنه الذى يجمع كل الطيب .

(٣) في الأصل (الردود) ولعلها غلط مطبعيُ رأينا أن نورد ما رأيناه اصلاحاً له ، والورود هنا جمع ورد : الزهر الجميل اللون الفواح الأريج ، المعروف . (المؤلف)

(٤) ديوان الملحمة الشعرية التاريخية في سرد مآثر وبطولات محمد صلوات الله عليه ـ للمقدم جميل ذبيان من ص١٠٨ ـ ١٦١ ط. مطابع بيبلوس الحديثة بلبنان .

الملحمـــة الثانيـــة

● ملحمـــة أحمـــد محـــرم ●

تعتبر هذه الملحمة من أكبر الملاحم الشعرية الاسلامية الحديثة فهي عبارة عن ديوان كامل من الشعر الرائع ، خصصه ناظمُ عقده الشاعرُ الاسلاميُّ أحمد محرم بالرســـالة المحمدية .. وقد أدخــل في نطاقهــا الهجرة المحمدية ، فوصفها وصفاً ممتعاً شــأن زميله الشـــاعر السالف ذكره : المقدم جميل ذبيان ، فكلاهما في البيـــان ، فرس رهان .. ذلك من مصر ، وهذا من لبنان .

يقول أحمد محرم عن قريش وعن الهجرة النبوية :

أجمعوا أمرهم وقالوا : هو القتـــ	ـــل يميط الأذى ويشفي الصـــدورا
كـــــذبوا . ما دم الهـــــزبر أما	ني ، مهـــاذير يكثـــرون الهريرا
لا وَرَبي ، فانمـــا طلب الكُفـّـ	ـــارُ بُســـلا وحاولوا مخطـــورا
ان نفس الرســـول أمنـــع جاراً	من طواغيتهم ، وأقـــوى مجـــيرا
ما لهـــم ؟ هـــل رمى النبي سراباً	أم عمى في عيـــــونهم مذرورا ؟
ذهبوا مُـــدّة فلمـــــا أفاقـــوا	أنكروها دهيـــاءَ عَـــزّت نظـــيرا
ينفضـــون التراب : من مس منـــا	كُل وجـــــه فـــــرده معقـــورا
أين كنـــا ؟ ما بالنـــا لا نراه ؟	ما لأوصـــالنا تحس الفتـــورا ؟

ومضى الشاعر الكبير مستنطقاً الشعور الجارف بمرارة الخيبة التي طغت على قـــلوب قريش اذ ذاك بعد ما ســـلم النبي عليه الســـلام من أحابيل مكرهم المحبوك :

يا له مُصـــــعَباً لَوانّا أصـــبنا	ه على غِـــــرة ، لَخَـــرَّ عقـــيرا
راح في غبطـــة ورحنا نُعـــاني	أملا ضـــــائعاً وجَـــدّاً عثـــورا

●—●—●

أقبل القوم يسألون أتحت التر ... ب ، أم جاور الطريد النسورا ؟
نفضوا الهضبَ والجبال ، وشقّوا الأرض طرداً رمالها والصخورا

ثم يتحدث عن قصة أسماء رضي الله عنها فيقول :

ويح أسماء اذ يجيء أبو جهـ ... ـل على خدرها المصون مغيرا
صاح : أسماء ! أين غاب أبو بكـ ... ـر ؟ أجيبي ، فقد سألنا خبيرا
قالت : العلم عنده ما عهدنا ... أجم الأسد تستثير الخدورا
فرماها بلطمة تعرض الأجيا ... ل عن ذكرها صوادف صورا(٥)

ومضى الشاعر الاسلامي أحمد محرم في وصف طريق الهجرة وأحداثها ، واصفاً غار ثور في مقطوعة تحت عنوان خاص آخر هو (في الغار الأكبر غار ثور) .

يقول مستمراً في عرض ملحمته الرائعة الضخمة مبنى ومعنى وأهدافاً :

غار ثور ، أعطاك ربك ما لم ... يُعط من روعة الجلال قصورا
أنت أطلعت للممالك دنيا ... ساطعاً نورها ، ودينا خطيرا
صُنته من ذخائر الله كنزاً ... كان من قبلُ عنده مذخورا
مغفر الحق لاجئاً يتوقى ... قام فيه الروح الأمين خفيرا
وقفت حوله الشعوب حيارى ... من وراء العصور ، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب ويحك ان الـ ... ـحق أعلى يداً وأقوى ظهيرا
لا تخافي ، فتلك دولته العظـ ... ـمى تناديك : أن أعدي السريرا
جاءك المنقذ المحرر لا يتـ ... ـرك قيداً ولا يغادر نيرا
ورث المالكين والرسلَ الها ... دين بالحق أولا وأخيرا
الحكيم الذي يهد ويبني ... فيجيد البناء والتدميرا

---

(٥) أي تُعرض عنها الأجيال استنكارا منها لقبحها وشناعتها .. والصوَر : بفتح الصاد المهملة والواو : الميل والانصراف . والصُوَرُ هنا بضم الصاد وهي جمع أَصورَ .

والزعـــيم الذي يســـــن ويقضي لبني الدهـــــر غيبـــــاً وحضوراً
تتـــــرامى الأجيــــــال بين يديه تتلــــــقى النظــــام والدستورا
ليس في النـــاس سادة وعبيـــد كبـــــر العقــــل أن يظـــل أسيرا
خـلق الـكل في الحقـوق ســـواء ما قضى الله أمــــره مبتـــــورا
كذب الأقـــــوياء(٦) ما ظلم اللـ ـــه وما كان مسرفا أو قتـــــورا
دبر الملك للجميــــــع فســـوى الأ مر فيــــه ، وأحـــكم التدبيرا

ومضى شـــاعر الاســـلام في طريقــــه ، فهـــا هو ذا يقــول لنــا في موقف (أبي بكر مع الحيّة) :

صاحب القـــائم المتوج بالعـــر فان ، بوركت صاحبـــاً ووزيرا
أنت واليتــــه ، وعاديت فيــــه من تـــوخى الأذى ، وأبدى النفورا
أولم تتخــــــذ أباك عـــــدواً و'تذقــه' الهـــوان كيما يحورا
اذ يقــول النبي : لا تضـرب الشـّ ـيخ وان سبني ، ودعــــه قريرا
انمــا نلت بالمســــاءة منــــه والدا مدبـــراً وشـــيخاً ضريرا

●—●—●

ليت شــــعرى أصبت حـيّةَ واد تنفث السم ، أم أصبت حريرا؟(٧)
نفثت ســـمها فما هز رضـــوى من وقار ، ولا أستخف ثبـيرا(٨)
خفت أن توقظ النبي فمـــا ير ضيك أن تضعف القـوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيـــك ، لقد أعــ ـطاك سـبحانه ، فأعطى شـــكورا
أي رأس حملت يا حامــــل الايـ ـمان سمحاً ، والبر صفوا طهورا ؟

---

(٦) كنت 'أوثر أن يقول الشاعر الكبير هنا : (كذب الأدعياء) بدلا من قوله : (الأقوياء) لأنها أحق وأشرق وأعمق . (المؤلف) .

(٧) جاء في هامش الديوان هنا ما نصه : (وضع النبيّ صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر الصدّيق فنام على ركبتيه ، وقد بقي في الغار شق لم 'يسدّ' ، فوضع الصدّيق قدمه فيه فلدغته الحيـة ، فاحتمل أذاها وكره أن يتحرك فيوقظ النبي . وقيل : أن عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه) .

(٨) رضوي : جبل عال ضخم بناحية ينبع . وثبير جبل ضخم عال في ضاحية مكة الشرقية .

واستمر أحمد محرم في ملحمته قدماً .. فها هو ذا يحدثنا عن قصة (سراقة بن مالك بن جعشم) الذي عزم على اعادة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أحياءاً الى قريش ، ابتغاء حصوله على جائزتهم الكبرى، وبعد أن ساخت قوائم فرسه مراراً في الأرض تراجع عن انجاز خطته الأثيمة مرغماً ودخلت في قلبه مهابة الرسول ومحبته ، وأيقن أنه ممنوع منه ، وأنه سيظهر أمره في مقبل الأيام .. فعاد ولم يتحدث لأحد من قريش مطلقاً بأي شيء ايجابي عن رؤيته للموكب النبوي في طريق الهجرة الى المدينة .. لقد صمت صمتاً طويلا ، ثم أسلم وحسن اسلامه ..

قال صاحب ديوان (مجد الاسلام) يخاطب سراقة هذا متابعاً لمسيرته الشعرية الهادفة :

اتّق الله يا سراقةُ وانظر	هل ترى الأمر هيناً ميسورا ؟
أم تظن الجواد تمسكه الأر	ض وتلوي عنانه ، مسحورا ؟
أم هو الله ذو الجلال رماه	يمسك الشر راكضاً مستطيرا ؟
غرك القوم ، فانطلقت ترجيـ	ـه خسيساً من الجزاء حقيرا
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا	ك الرسولُ الأمينُ فضلا كبيرا
فزت بالعهد ، فاغتنمه وأبشر	بسواري كسرى فديت البشيرا
قل لأهل النياق : أوتيت أجري	جللا ، فابتغوا سواي أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناءاً	مثل من رام ناقة أو بعيرا

وظل شاعرنا يتابع مسيرة الهجرة النبوية في طريقها المرسوم ، مُتحدثاً عن الأحداث التي وقعت فيها ، حدثاً بعد حدث .. وها هو ذا الآن يوصل خط وصفه بحادث لقاء النبي صلى الله عليه وسلم لِبُرَيدةَ بن الخصيب الأسلمي في طريق الهجرة عند منازل قبيلة أسلم فيحظى بريدةُ بالسلام على الرسول ، وبالاسلام على يديه الكريمتين هو وقومه ..

قال شاعرنا يصف هذا الموقف الرشيد السعيد :

وأتى بعـــده(٩) بريدة يرجـــو   أن ينـــال الغنى ، وكان فقـيرا
يركب الليل والنهـار ويطوى السـ   بيد غـــبرا ســــهولها والوعورا
في رجال من صحبه(١٠) زعموا الاغ   ـراء نصحا ، واستحسنوا التغريرا
آثروا الله والرســـول ففـــازوا   وارتضـــوها تجـارة لن تبـورا
أســـلموا ، وارتآى بريـــدة رأياً   ألمعيـــاً ، وكان حـــراً غيـورا
قال : ما ينبغي لمثل رســـول الله   أن يألـــو البـــلاد ظهـورا
كيف تمشي بلا لواء ، وقـــد أو   تيت من ربك المقـــام الأثيرا ؟
ليس لي من عمامتي ، ومن الرمـ   ـح عـــذير اذا التمست عذيـرا
أخفقي يا عمامتي ! واعل يا رمـ   ـحي ، فقد خفت أن تعود كسـيرا
ومشى باللـــواء بين يـــديه   يتلقى الســـنا البهي فخـــورا

●—●—●

ولـكل حادث حـديث ، فهـا هو ذا الشـاعر يذكـر بملحمتـه قصة أم معبد ، مضيفة الرسول عليـه الصـلاة والسلام ، على ما كنا فصلناه في هذا الكتاب من قبل . يقول أحمد محرم :
الرائعة في قصة أم معبد ، مضيفة الرسول عليه الصلاة والسلام ، على

ما حـــديث لأم معبد تستســـ   ـقيه ظمآى النفوس عذبا نميرا ؟
سائل الشـــاة كيف درت وكانت   كزة الضـــرع لا ترجي الدرورا

هذا ومن حديث خيمة أم معبد الخزاعية مضيفة الرسول عليـه السلام في موطنها بِقُدَيد في طريق هجـرته صلى الله عليـه وسلم الى المدينة ، قفزت ملحمة أحمد محرم الى وصوله (لقباء) . وكأني به لم يطلع على حادثين ضمن ثلاثة أحداث ذات أهمية قيمة في طريقه عليه

---

(٩) الضمير في (بعده) يعود الى سراقة بن مالك بن جعشم في المقطوعة السابقة .
(١٠) كنت أوثر ان يقول الشاعر الكبير هنا : (من قومه) بدلا من (صحبه) لأن الذين أسلموا مع بريدة هذا كانوا من قومه كما نصت عليه المراجع المعتمدة . وكما أوضحناه فيما مر من فصول هذا الكتاب .

الصلاة والسلام الى المدينة بعد عبوره ’قديداً .. وقد أوردنا في هـذا الكتاب تلك الأحداث ..

ولا بأس من ايجازها هنا للمناسبة القائمة :

١ ـ الحادث الأول : التقاء الرسول بأوس بن حجر الأسلمي وتقديمه جملا له اسمه (ابن الرداء) ليمتطيه حتى يدخل عليه المدينة وقد بعث معه غلاماً له اسمه مسعود بن ’هنيدة ، وكان ذلك بعد ما خرج الرسـول وصاحبه من القاحة ، هابطين بوادي العرج .

٢ ـ الحادث الثاني : ما أورده الامام أحمـد بن حنبـل من دلالة سعد والد عبد الرحمن للرسـول على الطريق المختصر من ركوبة عند وادي العـرج ، ومقابلتـه معـه لِلّصَين المُسَمَّيين (المُهانين) واسلامهما على يد الرسول وقد سَمَّاهما باسم (المُكرَمين) بدلا من الاسم المنحط المعروفين به الذي هو (المهانان) .

٣ ـ الحادث الثالث : التقاء النبي وهو في طريق الهجرة مع الزبير ابن العوام ابن عمته صفية رضي الله عنهما وكسوة الزبير للرسـول ولأبي بكر ثياباً بيضاً هي التي دخلا بها المدينة .

والحادثان المشار اليهما آنفـاً يتمثلان في التقـاء الرسـول بأوس الأسلمي ، وفي دلالة سعد له في العرج ..

ويخيـل الي ـ أنه لو اطـلع الشـاعر الاسـلامي أحمـد محـرم رحمه الله على هذين الحادثين ما مر بهما بدون أن يشيد بهما أيضاً ، في ملحمته المستوعبة الجامعة . وآية ذلك أنه أشار في ملحمته الى الحادث الثالث وحده .

●—●—●

هذا وفي دخول النبي لقباء يقول الشاعر قولا بليغاً ممتعاً ، يَهُز القلوب المؤمنة ، اعجاباً وتقديراً :

يا حيـــــاة النفوس ! جئت قباء جيئـــــة الـــــروح تبعث المقبورا

ارفع المسجد المبـــــارك واصـــنع للبـــــرايا صـــــــنيعك المشكورا

معقل يعصــــم النفـــــوس ويأبى أن يميل الهــــــوى بها أو يحورا

أوصـــــها بالصـــــــلاة فهي علاج أو ســـــــياج يذود عنها الشرورا

غـــــرس الله دوحـــة الدين قــدماً وقضــــــــاها أرومة وجــــــذورا

لو أردت النضـــــار لم تحمل الأحـ ـجار توهي القوى وتحني الظهورا

أرأيت ابن ياسر كيــــف يبني ؟ أرأيت المشـــــــــــيع الشميرا ؟

أرأيت البنـــــــاء يستبق القـــــو م صعودا ويزدهيهم سـؤورا (١١)

أرأيت الفحـــــل الأبي جنيبــــا في يد الله والهـــــــزير الهصورا ؟

ينصب النحــــــر للحجارة والطين بغـير الحلى ، ويغـــــرى النحورا

ما بني مثـــله على الدهر غـــر ، راح يبني خــــورنقا أو ســــديرا

يجد الحــــــق في البناء حصـــونا ويرى الطـــــير في البنـــــاء وكورا

وبعد كل هذا يقدم لنا الشاعر مفصلا لنزول النبي صلى الله عليه وسلم في (حي بني عمرو بن عوف) ونزوله في قباء على كبيرهم كلثوم ابن الهدم (لا : الهرم) كما جاء في المطبوعة غلطاً مطبعياً .

●—●—●

ومن بعد ذلك يحدثنا الشاعر عن مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة . فيقول :

أقبل ، فتلك ديار يثرب تقبـــــل يكفيـــــك من أشــــواقها ما تحمل

طال التتلوم(١٢) والقلوب خوافق يهفــــو اليك بها الحنــــين الأطول

القـــــوم مـــذ فارقت مكة أعــين تأبى الكرى ، وجــــــوانح تتململ

يتطلعون الى الفجــــــاج ، وقولهم أفمــــا يطالعنـــــا النبي المرسل ؟

---

(١١) السؤور : الوثوب والارتفاع .
(١٢) التلوم : التمكث والانتظار .

أقبلت في بيض الثيـــــاب مباركاً يزجي البشـــــائر وجهك المتهلل'

يا طيب ما صنع الزبير وطلحــــة ولصنعك الأوفى أجـــــل وأفضل'

خف الرجال اليـــــك يهتف جمعهم وقـــلوبهم فـــرحاً أخف وأعجل'

هي في ركابك ما بهــا من حاجـة الا اليــــك ، وما لهــــا متحول'

هجــــرت منازلها بيثرب وانتحت أخـــرى بمكة دورها ما تؤهـــل'

وفـدان : هـذا من ورائك يرتمي عجلا ، وهذا من أمامك ينسل'(١٣)

أنظر بني النجـــــار حولك 'عكّفاً يردون نورك حين فاض المنهل(١٤)

لم ينزلوك على الخـــــؤولة وحدها كل المـــواطن للنبـــوة منـــزل

نزلوا على الاســـــلام عنـــدك أنه نسب يعـــم المسلمين ويشـــمل

●—●—●

ما للــــديار تهزها نشـــواتها ؟ أهي الأناشـــيد الحســـان ترتل ؟

رفت نضارتها ، وطاب أريجهــــا وترددت أنفاســـــــــها تتسلل

فكأنمــــا في كل معنى روضــــة وكأنمــــا في كل دار بلبـــــل

هن العذارى المؤمنـــــات أقمنــه عيـدا تحييــه الملائك من عَـل'

في مــــوكب لله أشـــرق نـــوره فيـــــــه ، وقام جـــلاله يتمثل

ومضى الى أن قال :

يمشي به الروح الأمــين 'مسلمـــا وجبينـــــه بفـــم النبي 'مقَبَّل'

ايه بني النجـــــار ان محمـــــدا لأشَـــدُّ حبــــاً للتي هي أجمل

خلّــوا ســـبيل الله ، ما لرسـوله عما أعد من المنـــــازل معـــدل

ذهبت مطيتـــــــه فقيل لها : قفي هـذا 'منَاخُـكِ ، لست ممن يجهل

الناس في طلب الحياة ، وها هنـا سر لهــــا خاف ، وكنز مقفـــل

أعطي أبا أيوب رحــلك وأحمـدي من أمـر ربك ما يجيء ويفعـــل

---

(١٣) ينسل : يسرع .

(١٤) في هامش الملحمة بذيل هذا المكان قال : (كان معه في قدومه من قباء الى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم . وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بمقدمه) .

ثم مضى الى أن قال يخاطب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم :

لما حملت الحق أجمع والهدى	أمسى بحبل الله حبلك يوصل
تتنافس الأنصار فيك ، وما دروا	لمن المفاز ، وأيهم هو أول ؟
هي كيمياء الحق لولا أنها	تهدي العقول لخلقها لا تعقل
دنيا من العجب العجاب ودونة	يهوى النضار بها ، ويعلو الجندل
أرأيت أهل الكهف لولا سرها	هل كان يكرم كلهم ويُبجّل ؟

ثم يلتفت الى أبي أيوب الأنصاري ليقول له :

شكراً أبا أيوب فزت بنعمة	فيها لنفسك ما تريد وتسأل
ما مثل رفدك في المواطن كلها	رفد يضاعف ، أو عطاء يجزل
لله دارك من محلة مؤمن	نزل الحمى فيها ، وحل المعقل
نزل النبي بها ، فحل بناءها	مجد يقيم ، وسؤدد ما يرحل
مجد النبوة في ضيافة ماجد	سمح القِرَى يسدى الجزيل ويبذل
وسعت جفان المطعمين جفانُه	كرماً ، فما يأبى ، ولا هي تبخل
أضفى على السعدين ، برد سماحه	فاهتز جودُهما ، وأقبل يرفل
جذلان محتفلا ، يقرب منهما	لله ما يرضى وما يتقبل
جعل القِرَى سبباً الى رضوانه	والبِر والايمان فيما يجعل(١٥)

● الملحمة الثالثة ●

ملحمة القنديل

وهناك أيضاً الملحمة الشعرية التي نظم عقدها الشاعر أحمد قنديل وهي تأوى بين دفتي كتاب « بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين » .

وكان ناظمها قد ألقاها في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي عُقد في حدائق الزاهر بمكة المكرمة في ٥ ربيع الأول ١٣٩٤ هـ والذى أقامته واحتضنته جامعة الملك عبد العزيز . وفي هذه الملحمة جزء مهم عن الهجرة النبوية جاء فيه :

(١٥) راجع من ص١٢ حتى ص١٩ من ديوان مجد الاسلام للشاعر أحمد محرم ط. مطبعة المدني بمصر .

ان في الهجـــرة الحـــكيمة قانو — ن حيـــاة قد ســـنها مصطفاها
فوعته الشـــعوب درساً وراعـــ — ـته نفوس الأحـــرار عند ابتلاها

●—●—●

المدرسة الأولى

وثوى الركب آوياً وســـط الدا — ر تداری أصــــــحابه بذراها
يقرؤون الذكر الحـــكيم ارتواءاً — لنفوس ظمآى اليـــه رواها(١٦)
في المحاريب خشعاً من رسـول العلم — فقهـــا ثقـــافة .. أعليـــاها
يتروون من مناهـــل ذي النـــور — صَفياً بالصـــالحات جـــلاها
حبـــذا الدار معهداً حبـــذا الدا — ر مـــلاذاً عـــزت به مأواها
تلك كانت أولى المعـــاهد أرست — عزمات الاســـلام منها بنـــاها

وتحت عنوان (الهجرة والصحبة) قال الشاعر :

ومع الظهر .. في الهجـــيرة قد قا — ل بها النـــاس عادة ترضـــاها
جاء للصاحب الذي تاق للوعـــد — الى صـــحبة النبيّ ارتجـــاها
فتنحى عن السرير .. وقـــد قر — لديه .. في خـــلوة قـــد رآها
قائلا : يا صَفي ، قـــد أذن الله — تَهَيَّـــأ لصحبـــة تهـــواها
اننـــا .. اننـــا مهاجران الى الله — ســـواء في هجـــرة تهـــواها
فبكى الصاحب الصفي من الفـــر — حـة فاضت بنفســـه فاجتـــلاها
فتوقف يا صاحب الدرب قد هش — اليهـــــا في ســـيرها في سراها

من هنا يبدأ :

ها هنا .. من هنـــا ســـيبدأ يوم — صاغ تاريخـــه الحياة ابتـــداها
فاتل آياتهـــا الحســـان .. توالت — في ســـجل الخـــلود أنى تلاها

---

(١٦) كنت أوثر أن يقول الشاعر كلمة (روّاها) لأن روّى بالتشديد هي المتعدية ، ويمكنه أن يفعل ذلك لو قال مثلا : (لنفوس ظمآنة روّاها) .

انهــــا الهجـــرة الـــكبيرة بالله فَـبالله عـــــــــــــزمها ورضاها
انها الهجرة اســـتقام بهـــا الحق مقيمـــــا بالحـــق صرح علاها
لم يزل أمسها وضـيئاً كما اليـــو م عـــــــزيزاً تحفــــه ذكراها

●—●—●

فتوقف يا صـــــاحب الدرب بالدر ب .. فقـد حان للقطـــوف جناها
وتذكر مســــــــتعرضا بعض ما لا ح .. مليحـاً .. يمنـاه في يمناها
واذكر الغار .. والرفيق له الرحـ ـلة طابت .. في سيرها .. مسراها
وقريش تلوب كالثـــور قـــد ها ج كمـــا الذئب غاوياً بفـــلاها
تتقرى مـــكانه .. ترصد الجعـــل لمـــن دلهـــا اليــه هداها

●—●—●

ومضى في وصفه حتى بلغ الى قـدوم الركب النبوي الـكريم الى المدينة مهاجر الرسول الكريم فقال :

أيهـــا النابض الفـــؤاد وقد حف كمـــا حف بالدروب اقتفـــاها
سر وعــــد الأيام غــراء راحت فاســـتراحت لدى ظليـل منـــاها
فانظر الصاحبين في الدرب قد شـا رف منهـا مَشَـارِفَا .. حيـــاها
هـــذه هـــذه الوجوه أضـــاءت حينما حـلق الزمان .. رحـــاها
حينمـــا أبصرت مطـــالع ركب قـــد أشعت بنوره حــــرتاها
فالثَّـنِيَّات' هازجــــات 'تحَـيي طلعة البـدر بازغاً قـــد أتاها
وبيــوت الأنصـار أشرعت الأبو اب ظلت منها صـــــنوف قراها
وبنـــو قيـــلة تهب احتفـــاء بالمـــؤاخاة .. ألفـــة .. ورفاها
يؤثرون الناس استطالوا على الأنفـ ـس .. أحلوا بها الخصاصة جاها

●—●—●

الزهرة والفرحة

أيها القلب .. خافقاً .. بلغ الصبر مـــداه .. لقـــد بلغت مداها
هـــذه طيبـــة ترف كما الزهـــ ـــرة' رفت في حسـنها .. في بهاها

ضَمَّت الفرحة الكبيرة .. ترعى
بين أحضانها .. بها .. أغلاها

لم تنم ليلها .. نهاراً تجلى
ساطع النور .. مشرقاً بسماها

كل شبر منها يضاحك شبراً
بين ساحاتها .. وملء فناها

يتغنى النخيل بالنغم الحلو
ويشدو نَعنَاعُها بشداها

وتناغي العيون منها السواقي(١٧)
أتبعت دلوها طويل رشاها

فتفيأ منها الظلال .. وهفهف
وسط روضاتها .. وبين رباها(١٨)

● الملحمة الرابعة ●

الملحمة السنوسية

وهناك ملحمة الشاعر السيد محمد بن علي السنوسى ، وهي بعنوان « ليلة الهجرة » . وفيها اشارات يشع منها الضوء الأخضر اللطيف صوب الهجرة المحمدية . ومطلع هذه الملحمة قوله :

بين اشراقة الهدى من حراء
وانطلاق الشعاع نحو (قباء)

ليلة ما تنفس الصبح عن مثـ
ـل سناها على ثرى الصحراء

فردة فَذَّة تنوء بسر
أبيض في دجنة سوداء

وعن ملابسات الهجرة نراه يقول :

ومشت عصبة الجريمة والكيـ
ـد الى غاية لها نكراء

رسموا خطة القضاء على (النو
ر) وهبوا كالزعزع الهوجاء

و (الرسول) العظيم كالطود ايما
نا ، وكالنجم في السنا والسناء

يتحدى قوى الضلال بقلب
عامر باليقين والأضواء

---

(١٧) في المطبوعة : الشواقي .. وهو غلط مطبعي كما هو واضح .

(١٨) راجع من الصفحة ١٥٢ الى الصفحة ١٧٢ من المجلد الأول من كتاب : (بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين) الذي أخرجته جامعة الملك عبد العزيز بجدة . ط. مطابع المدينة للطباعة والنشر بجدة .

رصدوا (داره) كما يرصد الجـا — ني ، وثاروا عليـه كالغـوغاء

وطغى مكرهم فشـاه وشـاهت — أوجـه مـزقت رداء الحيـاء

ونجا (سيد النبيين والرسل) — محـاطاً بهـالة بيضـاء

مر من بينهـم مرور شـعاع الـ — ـبرق بين السـحابة الدكنـاء

ورماهم بحفنـة من تـراب — كللت كـل هامـة جـوفاء

وانثنى ينفض التـراب رجال — نفض (الله) كيدهم في الهـواء

ومضى يصف لنا ليلة الهجرة وما بعدها من الأيام المشرقة الوضاء ـ بكسر الواو ـ وما أثمرت هذه الهجرة المعطاء للعـالم من خير وبر واصلاح كبير قال :

ليـلة ما تنفس الصبح عن مثـ — ـل سـناها عـلى ثرى الصحراء

انهـا الليـلة التي ولد العـا — لم في مهـد فجـرها الوضّاء

لاح في ثغـرها الفـلاح على الـ — ـكون ، وفاح الصلاح في الغبراء

وسمت في صباحها عزة الاسـلام والمسـلمين في عليـاء

واستدار (التاريخ) يجلي على الدنيا — سـطور الرسـالة الغـراء

واذا تلـكم (الجـزيرة) يمتـ — ـد سـناها عبر الذرى والسماء

واذا (خالد) و (عمرو) و (زيد) — فلك دائـر عـلى الأجـواء

يرسـلون الضـياء في كل أفق — ويداوون كل سـقم وداء(١٩)

وينـيرون بالعـدالة والاسـ — ـلام درب الحيـاة والأحيـاء

ويهيبـون بالشـعوب الى الحـ — ـق نَقِيـا من دعـوة الأدعيـاء

حملوا مشـعل العقيـدة والايـ — ـمان والعـدل والحيـا والوفاء

فانضـوت في لوائهـا أمم الشر — ق وسارت صفوفها في استواء(٢٠)

---

(١٩) كنت أوثر أن يقول الشاعر هنا : (ويداوون كل سقم عياء) لأن السقم هو الداء .

(٢٠) ديوان القلائد للشاعر صاحب الملحمة من ص ١٩٢ الى ص ١٩٦ .

● الملحمة الخامسة ●

ملحمة ضياء الدين رجب

وللشاعر ضياء الدين رجب ملحمة اسلامية عنوانها : (ها هنا الملتقى) وردت فيها عن الهجرة النبوية مقطوعة عنوانها : (من وحي الهجرة) . وقد ألقاها رحمه الله في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المعقود بمكة المكرمة . قال :

أذكرى يا بطاح كيف أقام الله'	مجداً مخلداً في بطاحك
صبافحته السماء فانتثرت فيـ	ـه نجوماً تألقت في وشاحك
ثم ألقت على الأديم من الفجـ	ـر شعاعاً مقطراً في صباحك
وادياً أسفع الثرى غير ذي زر	ع محيل ضممته بجناحك
فتندى كأنما اعتصر الفجر سلا	فاً من البدور الضوّاحك
وتنيدت حصباؤه من عقيق	خاضباً لونه زكيّ جراحك
خضخض السحب فاستهلت تعاطيه نضاراً مصدقاً في قداحك	
نهلته الحياة أحلى من الشهد	وروت به كريم صفاحك
وهي نشوى بسر مغناك بالما	ء نقياً سلساله من قراحك
وهفا بالحمام لاعج شوق	عبقري هديله من صداحك
شادياً بالأمان في الحرم الآ	من من بعد شدوه بنواحك
انها فرحة بموكب طه	يتخطى الدجى على أفراحك

●—●—●

سارياً هادياً يساهره النجـ	ـم ويمشي في ظلة غير وان
يتحراه مستمداً هداه	يتملاه في السنا الأقحواني
ضارباً في الرمال ساخت بها أقـ	ـدام شتان مغامر أفعوان
بعثته قريش عيناً على الها	دي فزلت بسعيه القدمان
والرسول العظيم يمضي لمرما	ه' رضي الفؤاد ثبت الجنان

ما قلى مــــكة ولا فـــــر منهـــا — هارباً هائمـــأ عـــــلى الوديان
كيف يخشى الأهــوال من ســدد الله — خطـــــاه فهـــابه الثقـــلان ؟
هل 'يراع' الايمان ؟ والمبدأ الحُر — ِســـلاح يصـــول بالايمـــان ؟
ضـــل قـــوم توهموا ضعف طـه — ســبق الســيف عذلهم بشــوان

●—●—●

انها هجـــرة' اللجـــوء الى الله — لدعم الــسكيان فـــوق الــسكيان
ولقــــاء على المبادىء والدعـــو — ة هاج الحمـــــاس كالبـــركان
تـــرك المصطفى عليـــأ 'مسجّى — في فـــراش النبُوَّة الأضـــحيان
ومشى بالصـــديق لا بد للشـــد — ة من صـــاحب كحـــد السنان
يمـــزج الحب بالحنـــان ليبقى — غـــرة المجــــد في جبين الزمان
ثاني اثنـــين اذ همـــا في الـــ — ـــغار بالحالتين في العـلا والجنان
'خدعـَة في الحروب شرعهـا الديـ — ـنُ' وأغلى مقامهـــا الهنـــدواني
خطـة للجهـــاد ســباقة العـــز — م المـُجَلي مرصـــوصة البنيـــان
واحتفت يثرب بمكة(٢١) فانحـــا — زت جهاداً لبعضـــها العـــدوتان
وتلاقت أمـــواج نهضـته الكبـ — ـرى فلبت أمواجهـــا الضـــفتان
وتآخى الـــكماة في طيبة الغـــرا — ء في ظـــل روحهـــا الفينـــان
أثمـر القـوة الرهيبـة قـد صـا — لت وجالت في ســـائر الأكـــوان
ومشت راية الأســـنة في الدنيـــــا على ضـــوء راية القـــرآن
والتقت مـــكة وطيبــــة فاحتلـ — ـت ربى الـــكون كله 'قـوتـا ن
وصـــفا الجـــو حاليـــأ بالأماني — باسمات في غبطـــــة في « أمان »
والهـوى والجمـال والخـير والحـــــب كتـــاب عنـوانه « المكـتَـا ن »(٢٢)

---

(٢١) كنت 'أوثر أن يقول الشاعر رحمه الله : (واحتفت طيبة بمكة الخ) ليتم التقابل الجميـل بين البلدين الكريمين .. ونلاحظ انه قد استدرك هذه « المقابلة » في البيت السادس بعد هذا البيت ومطلعه : (والتقت مكة وطيبة) الخ .. (المؤلف) .

(٢٢) كتاب بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، المجلد الأول ، الصفحة ٢٥٨ و ٢٥٩ .

● الملحمة السادسة ●

ملحمة الشاعر الدكتور زاهر عواض الألمعي

الرسول ورسالة الاسلام الخالدة

توجد في المجلد الأول من كتاب (بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين) ملحمة ممتعة للشاعر الدكتور زاهر عواض الألمعي تحت العنوان المتقدم . وقد اشتملت على مقطوعة شعرية عن الهجرة النبوية. وها نحن أولاء ننشر هنا تلك المقطوعة بعد أن أدخل عليها صاحبها تعديلات :

نادى الى الاسلام فائتلق الهدى	فالصبح وضاح على داراتها
ومضى رسول الله يدعو قومه	فاستنكفت ظلماً رؤوس عتاتها
وتبلدت أفهامها فتعثرت	وتآمرت للشر في ندواتها
قالوا : اقتلوه . فما استطاعوا قتله	ونبت سيوف الغدر عن ضرباتها
فسرى رسول الله يطلب هجرة	من بين قوم أحكمت غدراتها
فمشى تجلله العناية وانزوى	في غار ثور بين كيد غزاتها
وتخبطت أعداؤه حتى دنت	للغار وارتكست على عتباتها
لكن صنع المعجزات أحالها	صرعى فلم تظفر عقول دهاتها
وتحملت خفي حنين وانثنت	تجرى وذيل العار في لباتها
وكفى الاله رسوله من عصبة	يستأنس الشيطان من فعلاتها
ما بالكم باثنين قد حفتهما	في الغار عين الله من جنباتها
(واذا العناية لاحظتك عيونها)	فأمن مدى الأيام كيد طغاتها

●—●—●

واستبشرت من يثرب أرجاؤها	وهفت قلوب في ربى حرَاتها
وتوجهت أنظار خير مبشر	برسالة الاسلام شطر جهاتها
فاذا هو البدر المنير وقد بدا	في طيبة الغراء في شرفاتها

فتسابق الأنصار يحـــدوها المنى وهفت اليه الصيد من قاداتهـــا
فتجمعت تلك القـــلوب على الهدى وتناست الأحقـــاد من ثاراتهـــا
وترسمت سنن الرســـول وآمنت والبشر يحـــدوها الى جناتهـــا
وبنى رســـول الله اخـــوة عزة يعلو لواء النصـــر في ساحاتهـــا
وبنى على الاسلام وحـــدة أمـــة سلمان والفـــاروق من لبناتهـــا

●—●—●

فاذا المدينـــــة معقل المجد الذي أضفى على الدنيا جميل حياتهـــا
واذا الـــكتائب في المسالك والذرى والنصر معقود على راياتهـــا(٢٣)

● الملحمة السابعة ●

ملحمة أنور العطار

وللشاعر أنور العطار ملحمة صغيرة مكونة من نحو سبعين بيتاً جاء فيها هذان البيتان عن بعض مناحي الهجرة النبوية حيث قال :

لُذتَ بالغـــار تتقي شرة النـــا س وتنسى العـــدوان من كل ناقم
وتُنـــاجي رب السماوات لهفـــا ن وتعنو لحـــافظ لك عاصم(٢٤)

● الملحمة الثامنة ●

للشاعر محمود رمزى نظيم

وللشاعر محمود رمزى نظيم ملحمة في (ذكرى الهجرة المحمدية) جاء فيها قوله عن الهجرة :

هاجـــر المختـــار من مكتـــه وأبو بكـــر له كان الرفيـــق
ما أذل الـــــكفر من عـــزته وهو بالنصر من الحـــق خليـــق

(٢٣) راجع الصفحة ٢٤٠ من كتاب بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المجلد الأول .
(٢٤) راجع ص٩٥ من ديوانه (ظلال الأيام) ط. دمشق ٦٧ هـ ــ ٤٩ م .

وحبـــاه الله من رحمتـــــه فوق ما يرجـو له ذاك الصـــديق
كلمـــا أقـــدم في مشـــيته فاحت الأرجاء بالمسلك الفتيـــق

●—●—●

وعـــلى يثرب طـــه عطفـــا وغـــدا الأنصار في عيد ســـعيد
وبه خالقـــه قـــد لطفـــا صـــادق الوعد هو المبـدي المعيـد

●—●—●

ان ذاك اليـــوم عيـــد الهجـــرة وبه تاريخنـــا قـــد فتحـــا
كان مفتـــاح انتصـــار الدعـــوة وبه نال الوجـــود المنحـــا
أيـّدَ التوحيـــد بين الأمـــة ورمى الشرك بعيـــداً ومحـــا
كان للأنصـــار عين الرحمـــة وبهـــم صـــدر النبي انشرحا

●—●—●

أظهروا الاخـــلاص منهم والوفا وأقاموا الدين بالعـــزم الشديد
وبهـــذا النصر نالـــوا الشرفا وأصابوا هدف الرأي السديد(٢٥)

● الملحمة التاسعة ●

لبكر موسى

وللشاعر بكر موسى « ملحمة شعرية » اسلامية قصيرة مطلعها :

هاجـــر الشـــعر الى يثـــرب من شتى البقاع
بأباريـــقِ صَـــبَاح عبـٍّ مـــن نهـــر الشعاع
نغمـــاً يَنهَـــلُ بالاشـــراق من أســـمى يراع
حيث تجـــري أنهُـــرُ الأضـــواءِ من غـــير انقطاع

ثم مضى يقول :

هاجـــر الشـــعر الى « يثـــربَ » شـــوقا ِللبُطُوله

---

(٢٥) الحديقة لمحب الدين الخطيب ص١١٩ و ١٢٠ ج٧ ط. المطبعة السلفية بمصر .

عازفاً .. يهفـــو الى روضـــة ايمـــان ظليله
يرتـــوي من نبعهـــا الصـــافي لحـــوناً سلسبيله
تســـبح الأرواح فيهـــا بين آفـــاق الفضيله
وتنـــاغي في رحاب الحـــق أطيـــاف الفضيله
« اذ هما في الغـــار » والارهاب قـــد دق طبوله
يعلـــن الحـــرب عـــلى الحـــق ليغتـــال رسوله
ونبي الله يمضي نحـــو غـــايات نبيله
ويناجي : أيهـــا « الصـــديق » ما للكفر حيله
سر و « لا تحـــزن » فـــان الله لا ينسى رسوله

●—●—●

وبعد هذا نراه يدخل في موضوع الهجرة وصفاً وتحليلا ، وقـد غير القافية فقال :

هجـــرة الحـــق ينابيـــع من الايمـــان ثره
جنـــة يقطف منهـــا كـــل من آمـــن زهره
وضـــياء في ظـــلام الـــكون قـــد أطلع فجره
يوقظ العالم .. يحيي بهـــدى القـــرآن فكره
انمـــا الهجـــرة بعث في الـــورى فجـــر ثوره
لا يرى الأوطـــان أغـــلالا وســـجنا ومعـــزه
وطـــن المســـلم ما تحيـــا به الدعـــوة حره
وخطـــا الايمـــان تمضي في دروب مستقره
واذا الأوطـــان لم تعـــرف لـــدين الله قدره
جـــدد الذكـــرى اباء .. معلنـــا لله هجره(26)

●—●—●

(26) مجلة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة عدد المحرم ١٣٩٨ هـ ديسمبر ١٩٧٧ م ص٢٦ و ص٢٧ .

تحية الهجرة

المختار من قصيدة الشاعر محمد عبد الغني حسن

يا دياراً طــــيب الله ثـــراها ... طلع الحـــق عليها فهـــداها
انه النــــور الذى أخرجهـــا ... من عشى الظلمة واجتـــاح دجاها
لم يرد مجـــداً ولم يســـع الى ... زخرف الدنيـــا ولم يبتغ جاها
لم يـــــرد في الحـــق الا غاية ... لا ولم يـــــدع مع الله الهـــا
الســـفاهات عليـــه اجتمعت ... فمضى لم يخش في الحـــق ســـفاها
والضـــلالات عليـــه ائتمـــرت ... انهـــا لم تثنه .. لـــكن ثناها
غلب الشرك عــــلى دولتـــــه ... والهوى قوض والبـــاطل شاها

●—●—●

أيهـــا الداعي الى الســـلم أعن ... أمما قد ضاع في الســـلم رجاها
نزغ الشـــيطان فيهـــم فمشى ... كـــل شــــيطان بأرض يتباهى
ملؤوا أشـــداقهم سلماً كمـــا ... تملأ الضفدع بالأصـــوات فاها
ملتـــوى الغـــايات لم نعرف لهـــم ... وجهـــــة تبغى ولم ندر اتجاها
كل يـــــوم جشـــــع لا ينتهي ... كل يوم طمـــــع لا يتنـــــاهى

●—●—●

أيهـــــا الخارج من مـــــكة لم ... يلق منهـــا العطف أو يأمن أذاها
أهلك الأدنـــــون عادوك وقــــد ... تجـد النفس من القـــربى عداها
هـــذه أرضـــك فارقت لـــكي ... تنشـــد الأمن عـــلى أرض سواها
هكذا الأحـــــرار لا تقعـــدهم ... جـــذوة الظلم ولا لفـــح لظاها
لا تضـــيق الأرض في أعينهـــم ... من أماني النفس أو دركمداها(٢٧)
كـــل أرض ظللتهم وطـــــن ... ما هي الأوطان ان ضاع حماها ؟

●—●—●

---

(٢٧) المؤلف : كنت أوثر أن يقول الشاعر : (وزمان ببني عدنان باهى) للمناسبة القائمة .

هجـــرة لله لم تبـــغ بهـــا ... كلأ رطبـــا وأرضـــأ ومياها

هذه مكة قـــــد غصت بهـــا ... أعين القـــربى وآذتـــك يداها

أجمعـــوا ـ والله أقـــواهم يدا ـ ... وعلوا ـ والحق أعـــلاهم جباها

فاذا البـــاطل أعيـــا أمره ... واذا الأصنام قد خارت قـــواها

لم تـــكن الا رؤى خادعـــة ... طلع الصبح عليهـــا فمحـــاها

●—●—●

اســـألوا الاســـلام عن دولتـــه ... من أشـــاع السلم فيها من بناها ؟

من على القـــوة أرسى أرضـــها ... وعلى العـــزة قـــد أعلى سماها ؟

قـــرشي من بنى هاشـــم ما ... دل بالسلطـــان أو بالحـكم تاها

مهـــد الأمر لدنيـــا أقبلت ... وزمان ببني قحطـــان(٢٨) باهى

فتحـــوا الأرض فما غـــلوا يدا ... ســـفها منهم ولا كموا شـــفاها

ضـــمنوا حـــرية الفـــكر وما ... ضيقوا يوماً على النـــاس مداها

كان للـــرأي لديهم ســـاحة ... كالميـــادين وأرجـــاء وغاها

اســـألوا بغداد عما شـــهدت ... من جـــدال ســـطرته صفحتاها

الثقـــافات لديهـــم مثلت ... بعدما ألقت من الســـير عصاها

●—●—●

يا دياراً ألفتهـــا وحـــدة ... تسع الدنيـــا جميعـــا في حماها

بين وادى النيـــل في رقتـــه ... وربى لبنـــان في شـــم ذراها

والهضـــاب الخضر من أندلس ... والعـــراقين وأعـــلام قراها

هـــذه الأوطـــان من فرقهـــا ؟ ... وبأحـــداث الليـــالى من رماها ؟

لم يعد فيهـــا ســـوى مئذنة ... ضاع في الغـــارات مرجوع صداها

فمتى يرجـــع يوماً مجـــدها ... ومتى يشرق بالشمس ضـــحاها ؟

ومتى يهتـــف فيهـــا هاتف ... بالمـــودات وأنغـــام لغـــاها ؟

عن مجلة الرسالة المصرية عدد ٢١ محرم ١٣٦٣ هـ
الموافـــق ١٧ يناير ١٩٤٤ م السنة الثانية عشرة

---

(٢٨) أود ان يقول أيضا : (وزمان ببني عدنان باهى) بدلا من قوله : (قحطان) للمناسبة القائمة .

● ذكريات ●

قدم الأستاذ الشاعر أحمد عبيد صاحب مكتبة أحمد عبيد بدمشق الشام لكتاب آثار المدينة المنورة للمؤلف بقصيدة تحت عنوان «ذكريات» استهلها بقول أحمد شوقي :

واذا فاتك التفـــــات الى المـــــا	ضى فقـد غاب عنـك وجه التـأسي

« شوقي »

●—●—●

يَا رَعَى اللهُ ليلةَ الهجرةِ الغرّ	اءَ كم أدركت بهـــــا من أمَاني
وبنَفسي مُهَاجراً في سـبيل الـ	ـحق لم يَحتَقِب ســوى الايمان
هَجـــــرَ الأرض لا أسرّ لِهَــاف	من حمـــاها ولا أقـــر لران(٢٩)
لستُ أنساه ليلة الغــار والصـدّ	يقُ يحنـــــو عليـــــه كل حنان
حائمـــــاً حــــوله فبـــين يديه	تارة وهـــــو خلفـــــه في آن
يتخشى عليــــــه شر كمـــــين	وأذى طـــــالب ووثبـــــة جان

باذلا نفســـــه فـــدى لرســـول الله مـــــن مــــارد ومـــــن ثعبان

●—●—●

أرأيت الجمـــــوع تأرز للحـــــرّ	ة من شــــــيخة ومن شُـــــبان
تتنزى قـــــلوبهم بين أحنـــــا	ء ضـــــلوع شــــديدة الخفقان
ســـاقها الشــــوق للحبيب فهبت	تتلـــــــقى مشــــارق العرفان
طـلع المصطفى عليهـــم بوجـــه	دونه البـدر مشرق اضـحيان(٣٠)
نسلت نحـــوه البصـــائر والأبـ	ـصـــار خفـــاقة بكـــل جنان
ذاك خـــير الورى وأشرف من يمـ	ـشي عـلى الأرض من بني الانسان

●—●—●

---

(٢٩) هاف وران : صفتان لمحذوف أي لا أسر لقلب هاف ، ولا أقر لطرف ران أي ناظر .

(٣٠) أضحيان بكسر الهمزة : مشرق .

كـــرمت أمـــة تولتــــه بالنصـ ـــر وفازت منـــه بأرفـــع شان

تشرفُ الأرض بالرجال وتســـو بســــــــمو الحـــلول والقطان

●—●—●

فســـقى الله بقعـــة قد حوت منـ ـــه أمن الـــورى عـــلى الأكوان

ذكـــريات ما تنقضي وشـــعور ما عفتــــــه عـــوامل النسيان

أيقظتهـــا صـــحائف من كتـــاب لأديب ذي خـــــــبرة وبيـــان

ولـــكم فيـــه من صـــحائف تورى كابيـــات الاحســـاس والوجدان

كل ســـطر يطالعـــك التـــا ريخ بالسر منـــــه والاعـــلان

●—●—●

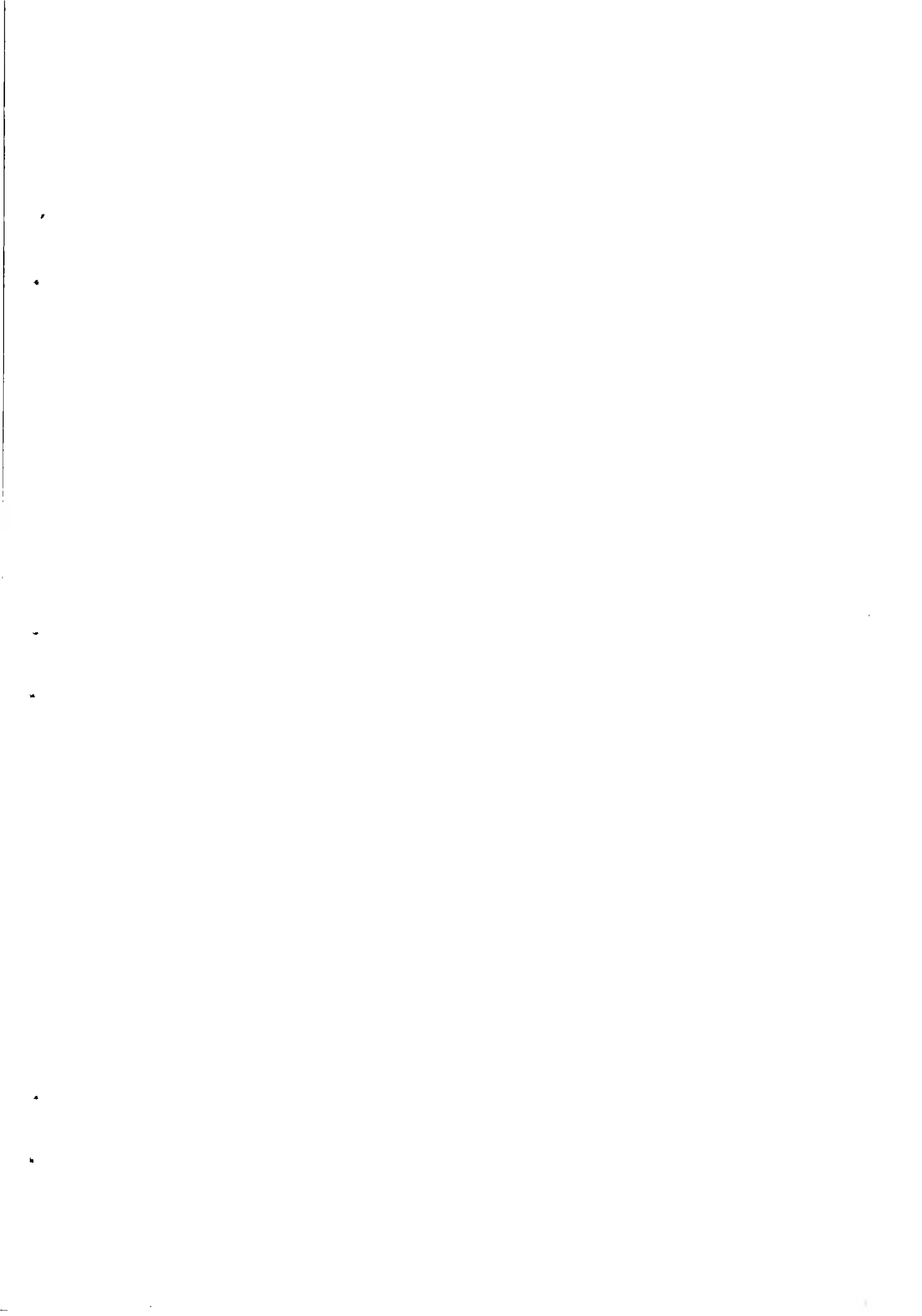
حف (عبد القدوس) بالخـير من أو لاه منـــه هـــدى وصـــدق لسان

دمشق في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ هـ

أحمد عبيد

الفصل الرابع عشر

المختار من نثر الهجرة



كما كان للشعر مكانة مرموقة في الحديث عن الهجرة النبوية ، في أحداثها وملابسها العديدة فكذلك كان للنثر حظه الطيب من الانتظام في سلك موكب الهجرة النبوية .. ونحن موردون هنا مختارات مما ألفينـا منه في هذا الموضوع الـكريم وذلك تكملة منا لجـوانب البحث في هـذا الميدان .. ومما لاحظناه أن تحرك عجلة النثر الفني في موضوع الهجرة النبوية هو مما تركه الأدباء القدامى ، لأدباء العصر الحاضر ، على حد المثل القائل : (كم ترك الأول للآخر) .

● من معالم يوم الهجرة ●

كتب الكلمة التالية ، هاشم محمد سعيد دفتردار في كتابه الحديث (نوابغ الكلم) قال :

دائماً تطلع الشمس ، ودائماً يحس الناس أنهم في حاجة الى طلوعها : من أجل أنها قوام للحياة كل الحياة .

وهل تكون حياة صالحة في الأرض اذا لم تكن شمس طالعة ، تمدها بطاقة الحرارة والنور والنماء ؟

ودائماً يأتي يوم الهجرة ، ودائماً يحس الناس بأنهم في حاجة اليه ، لأنهم يظفرون فيه بالمثل العليا ، وهم في تضـارب نزعاتهم ، وتبـاين أعمالهم ، وتجدد معارفهم ، ألا تجدهم في كل أجيالهم يهاجرون ويضحون ويغامرون ويهاجرون :

١ ـ من الضيق الى السعة ..

٢ ـ ومن الضعف الى القوة ..

٣ ـ ومن الجهل الى العلم ..

٤ ـ ومن الفوضى الى النظام ..

٥ ـ ومن الأثرة الى الايثار ..

٦ ـ ومن الأحقاد الى المودات ..

٧ ـ ومن اعوجاج الاجرام الى استقامة الأخلاق ..

٨ ـ ومن ضلال الوثنية والشرك الى هدى عبادة الخالق وحده ، وتنزيهها عن كل شائبة زيغ وانحراف ..

لله أنت أيتها الانسانية ، انك في مطلع كل عام تطلين على مثلك العليا ، من أكبر نوافذ التاريخ وأوسعها وأكرمها : « نافذة يوم الهجرة » ..

ألا انه يوم عظيم ، وكيف لا يكون عظيماً .. وفيه طهرت الأرض من عبادة العوالم من طاقة أو مادة .. وفيه تجلى فقه سورة الاخلاص في توحيد أعمال العبادة ، وفي يقين العلم ، وفي عقائد الناس ..

أجل ! آمن الناس بأن الخالق غير المخلوق ، وبأن الصانع سوى المصنوع ، وبأن الخلق والأمر لله وحده ، بدءاً ونهاية ، وتوجيهاً وعملا، وقد وقفوا جميعاً في محراب الصلاة صفاً واحداً لا اعوجاج فيه ولا تنابذ ولا استطالة ، وتوجهوا اليه جل وعز ، وقد أحسنوا التوجه ، وضرعوا اليه في سرائرهم ، وهم يتلون دعاء التوجه المأثور .

« وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » ..

●—●—●

وأنت ، أيها المصلح ، الذي تنشد الحياة المثالية الصالحة للانسانية، كافة ، اعلم أن في يوم الهجرة معالم الحياة المثالية الصالحة التي تشهد بأنه يوم البطولة ، يوم الاصلاح ، يوم الاخلاص ، يوم التضحية .

« اليوم الذي له ما بعده ..

« اليوم الذى التقى فيه رسول الله بصفوة المؤمنين الأول من المهاجرين والأنصار في ظلال طيبة المباركة التي طابت بهجرته اليها وبحلوله فيها ، وكرمت وعظمت ، وخلدت به ، صلى الله عليه وسلم .

« اليوم الذي توطدت فيه كلمة الحق ، وبلغ فيه الرشد الانساني والوعي الخُلُقي ، وايثار الحب في الله جل وعز مثله العالى ..

« اليوم الذي تجلت فيه بطـولات الايمان في أمجادها الرائعـة ، ومعجزاتها الفذة القشيبة التي ظهرت أسطع من شمس الظهيرة ، وأشرق من البدر المنير في تمامه ، وأين أولئك الحمقاء الذين يتسـاءلون عن معجزات خاتم رسل الله التي أيده الله بها ؟

يا هؤلاء ! ان معجزات رسول الله أوسع من أن يحيط بها سِفر..!! انها كثيرة وكثيرة . أدرسوا ان كنتم أمناء على العلم ـ بعض معجزات يوم الهجرة دراسة استقصاء وبصيرة . فانكم بلا ريب ستعلمون علم اليقين أنها كثيرة وكثيرة ..!!

أليس من المعجزات !! أن يتألب 'شبان' المشركين الفُتّاك راصدين منزله المتواضع قصد القضاء عليه فيمر من بين أعينهم دون أن يبصروه أو يشعروا به ؟! فان قلتم : ذلك من اتفاق أعمال المجتمع الانساني .. واذا لم يكن اتفاق أعمال المجتمع الذي يؤدي نتيجة معينة لغاية معينة كريمة نافعة للناس معجزة ..!! فأي شيء هي المعجزة ؟!!

●—●—●

وفي يوم الهجرة تكاتفت جماهير قريش حول الغـار بفعل دلائل الآثار .. وحجب الله رسوله الكريم عنهم بأوهن الحجب الشَّفَّافة .. حجبه بنسج العنكبوت ، وبعض بيض الحمـام ، واذا لم يكن مثل هـذا الحجـاب الواهي المسـكين معجـزة ، فأي شيء هي المعجـزة !! حدثوني حدثوني يا ناس ..!!

ظنـوا الحمـام وظنـوا العنـكبوت على
خـير البـرية لم تنسـج ولم تَحُـمِ
وقـاية الله أغنَت مـن مضاعفـة
مـن الـدروع وعـن عَال مـن الأُطُـمِ

وفي شُغَلِ هذه الألسنة الصاخبة حول الغار من كفار قريش اضطرب الصديق ، وهو الباسل الندب ، وبكى قائلا : « لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا .. » فيجيبه صاحب الرسالة رابط الجأش كبير الثقة : « لا تحزن ان الله معنا .. » انها كلمة الايمان الوثيق ، كلمة البطولة الفذة ، كلمة الغد المنتصرة ، انها اذا خرجت من قلب المؤمن الصادق ، وهو على فوهة بركان استحال برداً وسلاماً ..

●—●—●

تباً لك يا مؤامرة المتآمرين البُغَاة ، وألف تب : « وهل يخشى من كان الخالق العظيم راعيه وعاصمه مخلوقاً ولو ملك الأهوال ..؟ هؤلاء هم قد أدبروا والخيبة تغشاهم ، ولعنة السماء تواكبهم ، والحقيقة تلذعهم وتصرخ من أعلى قمة في الجبل :

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم

وذكر الله هذه المعجزة في كتابه المجيد ، وأفهمهم أنه هو ناصره عليهم ، وعاصمه ، على الرغم منهم ، وجاء الفعل بالماضي تأكيداً للانتصار والعصمة مع انه مختبيء في الغار . وأي معجزة يريدون أن تكون أكبر من هذه : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ ُهما في الغار ، اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا » . (٩ ــ ٤٠)

●—●—●

وفي يوم الهجرة كان ادراك سراقة بن مالك بن ُجعشم المدلجي الفاتك المغتال ، في الطريق ، لرسول الله وصاحبيه ، سراقة الذى أغرته جائزة قريش « مائة من النوق الحمر » وزينت له الشر ، وجعلته يلحقه بكل ما يملك من ُعرام وجشع ، فتسلل من مكة مستخفياً خشية أن يظفر بها سواه ممن عسى أن تحدثه نفسه بمثل ما حدثته نفسه هو ، والذى جاء مغرياً حقاً : هو أنه عرف مكانهم من معلن لقريش عفواً وصرف الأمر عنهم مواربا . ولحق بهم سراً حتى وافاهم وأبصرهم

وأبصروه ، وحدثهم وحـدثوه ، واعتزم أن يقتحمهم ، ولـكن حين شاهد قوائم فرسه ، وقد أخذت تسوخ في الأرض أدرك أن الأمر غـير عادي فأقلع خوفاً ، ولكن عاد وعاد الى الأمر أشد من ذي قبل ، وأخيراً أقلع وأسلم ..

ولولا ذلك لغاص في أعماق الأرض ، وطلب اليـه رسول الله أن يكتم الأمر عن أعين المشركين وأرصادهم ، ففعل ..

●—●—●

ومن معجزات يوم الهجرة نزول رسـول الله وصاحبيـه على خيمة أم معبد ، وهو في طريقه الى المدينة . وأدهش أم معبد وأحزنها في الوقت نفسه ، حيث لم يبق لديها سوى شاة عجفاء عجزت عن متابعة القطيع مع أبي معبد للـرَّعي ، ورضي رسول الله أن تكون هي حصة ضيافته ، وهنا كانت المعجزة ، فما كاد يمس ضرعها رسـول الله صلى الله عليـه وسلم حتى فاض الحِلاَبُ فيضاً جعل أم معبد في حيرة من الأمر ..

ولما عاد أبو معبد مساء ، ووصفت له رسول الله وصفها المشهور ، وحدثته بما كان من أمره قال : « هذا صاحب قريش ، هذا محمد » .

●—●—●

وفي يوم الهجـرة تبينت عاصمة الاسـلام الأولى وتبين الأبطـال الأول الذين أعـدهم الله لحمل الأمانة العظمى : أمانة وحيـه المعجز : « الأمانة التي عرضها رسول الله على القبائل في مواسم الحج فأبَيْنَ أن يحملنها ونفرن منها وأشفقن من عواقبها ، فحملوها وكانوا في ألواح القدَر جنودها الهداة الرحماء ، وكانوا في فم التاريخ أناشيدها الخالدة المقدسة الى يوم الدين .

●—●—●

وفي اليوم الأخير من أيام الهجرة استقبل أبناء طيبة الأكارم ، خاتم رسل الله ، بقلوب وامقة أضاءها نور الايمان ، وهفت بها لهفة البشر

والترحاب ، وهتفت ألسنتهم المدوية تنشد نشيد الطاعة والانقياد ، وفرحة الايمان والشكر على نعمة اللقاء .

وفي ابان الهجرة : أسس الرسول الكريم وصحبه الأبرار ، أول مسجد في الاسلام ، أسسه على أضواء السماء ورفرف الخُلد ، وعلى هَدي وحي الله و'مثُله الكريمة وصدق الايمان ، والمرابطة في سبيل الله ..

وفي يوم الهجرة نادى الانسانية كافة 'منادي الاسلام ، بأول 'جمعة جامعة ، وأعلن أنها في ذلك اليوم طرحت الانسانية أساطيرها البالية وشخوصها المعبودة من دون الله جل وعز ، وأهاب بها ، وأهاب ، وما زال ...

واذا كان صاحب الهجرة انتقل من بلد الى بلد في ظاهر الأمر ، فانه في الواقع انتقل بالروح الانسانية من حال الى حال : انتقل بها من عبادة المخلوقين ، والضراعة لهم ، والسؤال منهم ، الى عبادة الخالق العليم العظيم وحده والضراعة له لا لسواه ، والسؤال منه لا من سواه .

واذا كنا نزن تداول الزمان بموازين يوم الهجرة ، ونقدر أيامه ولياليه وتاريخه ، فانما نفعل ذلك لأن معنى الهجرة الأساسي لا ينفك عاملا أعماله الخيرة النافعة في زمان الانسان ومكانه أبداً ...

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » ...

والانسانية في زماننا هذا مفتقرة الى هجرة النيات المباركة هذه لتصلح أحوالها ولتنجو من مهالك العنصرية الصهيونية التي تكاد تزجها في حرب الذرة والهيدروجين ..

اذن فالهجرة الى الله ورسوله لم تبطل ، وانها باقية الى يوم القيامة .. ألم يهاجر الناس في جيل من طغيان المادة وظلماتها وأحقادها وخبائثها وأطماعها الى طمأنينة الايمان وأضوائه ومودادته وطهره وعفافه .

ألم يهاجروا من الضلال الى الهدى ، ومن الاعوجاج الى الاستقامة، ومن التناكر الى التآلف ، ومن سوء النيات الى حسنها ، ومن العنصرية الى الانسانية ؟!

وقد تكون الهجرة بالعكس هجرة انحطاط وفساد وتناكر وتخلف، وهذا ما تعمل له العنصرية الصهيونية ... فيا أيها الانسان !.. هاجر الى الايمان قبل أن يسحقك الكفر ، والى الخير قبل أن يبيدك الشر ، والى السلم قبل أن تدمرك الحرب ، والى الانسانية قبل أن تجعلك العنصرية في خبر كان ...

ومَن يَعِص أطراف الزِجاجِ فانّه

يُطيعُ العَوَالِي ركبت كل لَهذَمِ

ومهما يكن فالهجرة تحقيق حرية العقيدة في الأرض ، والضرب على أيدي الظالمين العنصريين الذين يمقتون حرية العقيدة والرأي بين الناس ..

وهذا ظلم ، وهذا مقت ، وهذه عنصرية ، لأن العنصرية هي التي تمقت واقع كشف العلم اليقيني في الأشياء .. والسبب هو الخوف من كشف ما تضمره للبشرية من كيد وأذى وشر ..

ومهما يكن فما دامت آية الهجرة باقية في الأرض فمصير الانسانية الى خير .

هذا ومهما يكن فمعالم مسيرة الهجرة النبوية ذكرياتها في عالم المعرفة تحفل بالبطولة والتضحية والاعجاز .. والاهتمام بها والتنويه

بهـا في كل من الأجيـال واجب رجال العـلم المتخصصـين قبـل كل الناس(١) .

دين الهجرة وتاريخها

وهذه مقـالة بعنـوان « دين الهجرة وتاريخها » بقـلم الرحالى الفاروقي رئيس المجلس العلمي بمراكش وعميد اللغة العربية بهـا بعث بهذه المقالة الينا لنشرها بمجلة المنهل ونشرت في عدد ربيع الأول ١٣٩٨ هـ :

●—●—●

● لم يكن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بدعاً من الرسل في أمر الهجرة وابتغاء النصرة بل كان ذلك سـنة من سنن الأنبيـاء ، وضرورة من ضرورات الدعوة الى الله ، فما من نبي الا نبت به بلاده ، وتغيرت عليه أقاربه ، لما جاء به مما يخالف أهواءهم وعوائدهم ، فهاجر الى ربه يسأله الهداية والتأييد ، من عهـد ابراهيم الخليـل الى عهد المسيح عليهما الصلاة والسـلام ، ورفع الله بالهجرة قـدر أنبيـائه ، فآتاهم ما وعدهم به من القـوة والنصرة ، وخـذل الـكافرين الذين كذبوا بآيات الله ، وجحـدوا رسـله فجعلهم آية لمن خلفهم ، وعـبرة للظالمين بعدهم .

●—●—●

ولقد أرخ المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحادث الهجرة المعروف سنة ١٧ ولم يؤرخوا بميلاد الرسـول الكريم كما أرخت النصارى بميلاد المسيح بن مريم عليهما السلام .. لمكان اختلافهم في مبدأ الولادة ، ولأن الهجرة كانت أكبر حدث ، وأقوى

(١) راجع كتاب نوابغ الكلم لهاشم محمد سعيد دفتردار ص١٤٣ ـ ١٤٧ ط. بيروت .

ظاهرة في قيام الاسلام ونفوذ سياسته ، حينما حولت مجرى التاريخ ، وغيرت وجه المجتمع ، وأبدلت سيره ونظامه بواسطة الأحداث وتأثيرها في نفوس العرب والأعراب ، فتوجهت به الى طهارة القلب واستواء العقل وكمال الانسانية ، واستقامة الضمير ، وقصد السلوك ، وحسن المعاملة ، وأوضحت سياسة لا تَمُتّ الى التعاظم والتظالم بصلة ، ولا تقوم على اعتبار المصالح الاستراتيجية واقتطاع المنافع لصالح المركزية ، كما هو شأن الحضارة الموضوعة على القوة والظلم ، والمصنوعة على الطمع والاثم ، والداعية الى الدمار والخراب بتكالبها على سوق المادة الشيطانية ، وبتسابقها الى شر الأسلحة الجهنمية .

وأما سياسة الاسلام فترتكز على العدل والاحتراس ، ووضع العلاقات الخارجية موضع التكافؤ والاحترام ، وعلى سياسة الوحدة وأمانة الذمة ، وكفاءة الدولة ، وشرعت في المال والاقتصاد شرعاً يدور على نشاط العمل ، ورواج السوق واستغلال الأراضي ومحاربة الغش والربا في القروض ، والمبادلات التجارية ، ورقابة المال الذي هو قوامُ حياة الناس ، فلا يتولاه السفهاء والمبذرون ، ولا يتناوله المرابون والمبطلون ، وعلى تضامن الأغنياء والضعفاء ، لتعيش الأمة بعضها الى بعض في تكافل مطرد وتراحم مستمر ، فلا يوجد طغيان عارم ، ولا حرمان قاتل ، وأولو الأمر المباشرون للحكم هم المكلفون بتنسيق الحياة الداخلية ، على مقتضى السياسة الاسلامية ، حتى لا يتضايق الناس من حياة مجتمعهم ، فيضطروا الى الخروج عن سنة القوانين وشق العصا عن سلطة الأمن والتأمين ، وحتى يكون للحياة معناها الحقيقي ومغزاها التطبيقي ، فلا يستأثر الغني بثروته فيستغل ما حوله استغلالا فاحشاً ، ولا يستضر الفقير بفاقته فتذهب انسانيته عبثاً وباطلا ، ولا تُعاكسُ الطبيعة في قانونها ، ولا تقاطع الميول في أصحابها ، الا ما قطعه الشرع وحظره قانونه الحكيم .

ولأن الاسلام خلق في المسلمين روح الابتكار والتجديد ، ودعا الى الابتعاد عن التبعية والتقليد ، كما وضح ذلك في دعوة المشركين الى

الاعتماد على نظرهم ، والبعد من تقليد آبائهم ، وكما جلا في قضية تفكير المسلمين في وسيلة الاعلام بالصلاة للاجتماع اليها .

فوضعوا التاريخ على حسب النظر المستقل ، والنصر الظاهر ، الذى استرعى الأنظار ، وقلب الأوضاع ، وكان أقوى طريق لرفع منار الاسلام ، واشتهار دعوته ، واجتذاب القلوب الى ساحته ، حتى جاوز التخوم والمعالم ، وفاجأ سره قلوب الأعاجم .. ولم يؤرخوا أيضاً بظهور الاسلام وابتداء وحيه ، لأن الحركات الايجابية والنتائج العملية انما جاءت بعد تجربة الهجرة ، واستجابة الأوس والخزرج ومحالفتهم على حماية الاسلام ، والدفاع عن حقائقه الواضحة ، وأوضاعه العادلة ، وأما قبل ذلك فقد كان مضيقاً على أنفاسه ، مضطهداً في نسائه ورجاله ، ممنوعاً من اظهار آياته ، وتجسيم قوته .

ولم يكن الهدف بمكة غير بث العقيدة ، وغير توجيه النفوس الى حياة البعث والنشور ، واثبات ذلك بأساليب تستلب العقول وتستميل القلوب ، وببراهين تتسامى على الفلسفة الغامضة التي تذهب بالوقت وتعصف بالفكر .

وفعلا رسا ذلك في قلوب المؤمنين الذين قاوموا الكفر والالحاد بالصبر والمصابرة ، واستصغروا العذاب والنكال في جانب الدين والاسلام .. ثم ان وجود الموافقة والمقاربة بين زمن الهجرة وابتداء السنة سهل عليهم أن يجعلوا مبدأ الهجرة أول السنة القمرية ، فان ما قارب الشيء يعطى حكمه ، وأصبح المحرم علما على ما أحدثه الاسلام من تاريخ مجيد ، وما أورثه من نور ساطع كان نبراساً يستضيء به المسلمون في شدتهم ورخائهم ، وشفاء يشفى الصدور من الجهل والضلال ، ومذهباً لا يشبه المذاهب في وضعه ، ولا يختلف حكمه على أهله ، يرفع درجاتهم في الدنيا والأخرى ، ويهديهم في حياتهم الى المقصد الأسمى ، ويذهب بهم الى قمة المجد والعلا ، فيحلقون في أقطار السموات والأرض ، ما داموا مستيقنين بذكره ، ومتشبعين بهديه ، لا يلويهم عنه اتباع الشبهات ، ولا يغويهم باطل الشهوات .

ولعله يكون من آثار الايمان وتقوى القلوب العناية الكاملة باقامة ذكرى الهجرة والنصر في كل من المحرم ورمضان تخليداً لذلك اليوم الذى تقرر فيه مصير الاسلام وخرج أهله من ضائقة العسر الى دائرة اليسر ، وتنويهاً بكنوز الوحي وتعاليم الهدى التي حررت الأفكار ، ورفعت الأقدار ، وأصلحت القلوب وألهمت التقوى ، والتي فتحت آفاقاً جديدة في عالم الكون والحياة والانسان ، ووضعت تحت تصرف العالم ما يضمن سعادته الى الأبد ، ويحفظ سلامته من الكوارث .

وانه لمن المدهش والمؤسف أن نشارك الأجانب في حفلات أعيادهم ونعد العدة ونتخذ كل شيء من أجلهم ثم نغمض الطرف عن «المحرم» يمر مرور الأيام من دون أن يفيض شعور المؤمنين ، ومن غير أن تثور غيرة المسلم فيه كأن لم يكن فاتحة عهد جديد في حضارة البشر التي عرضها الاسلام وحفظها الكتاب ، وأقصرت عنها كل حضارة ، وكأن لم يأت بخلق جديد ، ترفرف عليه أجنحة السعادة ، وتوفر من أجله الكرامة ، بما أوتي من برهان العقل وميزان العدل ، وبما أفيض عليه من معاني العلم والحكم ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » (صدق الله العظيم)(٢) .

وكتب الكلمة التالية أبو الحسن عليُّ الحَسَنيُّ النَّدوي في كتابه : (السيرة النبوية) بالصفحات ١٢٥ ـ ١٣١ :

● هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ●

وجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أبي بكر فقال له : ان الله قد أذن لي في الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحبَةَ يارسول الله ! قال : الصحبة ، وبكى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ من الفرح، وقدم

(٢) نشرت هذه المقالة بمجلة المنهل بعدد شهر ربيع الأول عام ١٣٩٨ هـ

أبو بكر راحلتين ، كان قد أعدهما لهذا السفر ، واستأجر عبد الله بن أريقط ليدلهما على الطريق .

●—●—●

تناقض غريب :

وكانت قريش ــ رغم عدائها لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورميه عن قوس واحدة ــ عظيمة الثقة بأمانته ، وصدقه ، وفتوته ، فليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقته به ، فكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير من هذه الودائع فأمر علياً ــ رضي الله عنه ــ بأن يتخلف بمكة حتى يؤديها عنه . (٣) .

وصدق الله العظيم :

(قَدْ نَعلمُ انَّهُ لَيُحزِنُكَ الَّذي يَقُولُونَ فانَّهم لا يُكَذِبُونَكَ ، ولَكنَّ الظَّالِمينَ بآيَاتِ الله يَجحدُونَ)(٤) .

درس من الهجرة :

وقد أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يتنازل لهما عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس ، وعن كل ما جبلت الطبائع السليمة على حبه وايثاره والتمسك به والتزامه ، ولا يتنازل عنهما لشيء .

وقد كانت مكة ــ فضلا عن كونها مولداً ومنشأ للرسول وأصحابه ــ مهوى الأفئدة ومغناطيس القلوب ، ففيها الكعبة البيت الحرام الذي جرى حبه منهم مجرى الروح والدم ، ولكن شيئاً من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن ، ومفارقة الأهل والسكن ، حين ضاقت الأرض على هذه الدعوة والعقيدة وتنكر أهلها لهما .

---

(٣) سيرة ابن هشام ص ٤٨٤ ــ ٤٨٥ .

(٤) سورة الأنعام ٣٣ .

وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة ـ عاطفة الحنين الانساني ، وعاطفة الحب الايماني ـ في كلمته التي قالها مخاطباً لمكة : (ما أطيبك من بلد وأحبك الي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك(٥) .

●—●—●

وذلك عملا بقول الله تعالى : « يا عِبادي الَّذين آمنَوا انَّ أرضي واسعَة فَايَّاي فاعبدُون »(٦) .

الى غار ثور :

وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر من مكة مُستخفيين وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما بمكة ، وأمر عامر بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاراً ويريحها عليهما ليلا ، وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام .

من روائع الحب :

ولم يزل الحب منذ فطر الله الانسان ملهماً للدقائق العجيبة ، باعثاً على الاشفاق على من تعلق به القلب وأحبته النفس ، وهذا كان شأن أبي بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة ، وقد رُوي أنه لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه أبو بكر ، كان يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر ! مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ ، فقال : يا رسول الله ! أذكُرُ الطَّلَبَ فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك(٧) .

---

(٥) رواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً في باب « فضل مكة » .
(٦) سورة العنكبوت ٥٦ ، والسورة مكية .
(٧) البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ، ص١٨٠ ، نقلا عن البيهقيّ برواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فلما انتهيا الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله ! حتى أستبرىء لك الغار ، فدخل ، فاستبرأ ، ثم قال : انزل يا رسول الله ! فنزل(٨) .

ولله جنود السماوات والأرض :

ودخلا الغار وبينما هما كذلك اذ بعث الله العنكبوت ، فنسجت ما بين الغار والشجرة التي كانت على وجه الغار ، وسترت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، وأمر الله حمامتين وحشيتين ، فأقبلتا تدفّان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة(٩) « ولله جنود السماوات والأرض » .

أدق لحظة مرت بها الانسانية :

واقتفى المشركون أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أدق لحظة مرت بها الانسانية في رحلتها الطويلة ، وكانت لحظة حاسمة ، فاما امتداد شقاء لا نهاية له ، واما افتتاحُ سعادة لا آخر لها ، وقد حبست الانسانية أنفاسها ، ووقفت خاشعة حين وصل الباحثون الى فم الغار ، ولم يبق بينهم وبين العثور على منشودهم الا أن ينظر أحدهم الى تحت قدميه .

ولكن الله حال بينهم وبين ذلك ، فاختلط عليهم الأمر ، ورأوا على باب الغار نسج العنكبوت(١٠) والى ذلك أشار الله تعالى بقوله : « فأنزل اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وأيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَم تَرَوهَا) (١١) .

لاَ تَحزَنَ ان الله مَعنا :

وبينما هما في الغار ، اذ رأى أبو بكر آثار المشركين ، فقال : يا رسول الله ! لو أن أحدهم رفع قدميه ، رآنا ، قال : ما ظنك باثنين

---

(٨) البداية والنهاية ج٢ ص١٨٠ . نقلا عن البيهقي برواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٩) رواه الحافظ ابن عساكر بسنده عن جماعة من الصحابة (ابن كثير ج ٢ ص٢٤٠ - ٢٤١) .
(١٠) رواه الامام أحمد في مسنده عن ابن عباس (ابن كثير ج٢ ص ٢٣٩) والبزار في مسنده .
(١١) سورة التوبة الآية ٤٠ .

الله ثالثهما(١٢) وفي ذلك يقول الله تعالى :

« ثَـانِـي اثنَـيِـن اذ ُهما في الغـَارِ ، اذ يـَقـُولُ لِصـَاحِـبِـه : لا تـَحزَنَ ان اللهَ مـَعنا »(١٣) .

ركوب سراقة في أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وما وقع له :

وجعلت قريش في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فقدوه ، مائة ناقة ، لمن يرده عليهم ، ومكثا في الغار ثلاث ليال ثم انطلقا ، ومعهما عامر بن ُفهيرة ودليل من المشركين ، استأجره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بهم على طريق السواحل .

وحمل الطمعُ ُسراقـَةَ بن مالك بن جعشم على أن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده على قريش ، فيأخذ مائة ناقة منهم ، فركب على أثره يعدو ، وعثر به الفرس ، فسقط عنه فأبى الا أن يتبعه، فركب في أثره ، وعثر به الفرس مرة ثانية ، فسقط عنه ، وأبى الا أن يتبعه ، فركب في أثره ، فلما بدا له القوم رآهم ، وعثر به الفرس مرة ثالثة ، وذهبت يداه في الأرض ، وسقط عنه ، وتبعهما ُدخَان كالاعصار .

وعرف سراقة حين رأى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حماية الله تعالى ، وأنه ظاهر لا محالة ، فنادى القوم ، وقال : أنا سراقة ابن جعشم ، أنظروني أكلمكم ، فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له : وما تبتغي منا ؟ قال سراقة : تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك ، فكتب عامر بن فهيرة كتاباً في عظم أو رقعة (١٤) .

●—●—●

---

(١٢) الجامع الصحيح للبخاري ، باب قوله تعالى : « ثاني اثنين اذ هما في الغار » كتاب التفسير .

(١٣) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(١٤) سيرة ابن هشام ج١ ، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠ ، والجامع الصحيح للبخاري ج١ باب هجرة النبي (ص) الى المدينة باختلاف بعض الألفاظ .

نبوة لا يسيغها العقل المادي :

وفي هذه الحال التي اضطر فيها نبيّ الله الى الهجرة والخروج من مكة ، والقوم يطاردونه ويتبعون آثاره ، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم البعيد الذي يطأ فيه أتباعه تاج كسرى وعرش قيصر ، ويفتحون خزائن الأرض ، فتنبأ في هذا الظلام الحالك بهذا النور الباهر ، وقال لسراقة : « كيف بك اذا لبست سواري كسرى ؟ » .

ان الله قد وعد نبيه بالنصر والفتح المبين ، ولدينه بالظهور العام والفتح التام ، وقال : « وَهُوَ الَّذي أرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِينِ كُلِه ولو كره المشركُون » (١٥) .

وقد أنكر ذلك قِصَارُ النظر وضِعَافُ العقول ، واستبعدته قريش ولكن عين النبوة ترى البعيد قريباً « ان الله لا يُخلفُ الميعاد » .

وكان كذلك ، فلما أتي عمر رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا سراقة بن مالك فألبسه اياها (١٦) .

وعرض سراقة الزاد والمتاع ، فلم يقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزد أن قال : أخف عنا (١٧) .

رجل مبارك :

ومرا في مسيرهما بأم معبد الخزاعية ، وكانت عندها شاة خَلَّفَهَا الجهد عند الغنم(١٨) ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها ، وسَمّى الله ودعا ، فدرت ، فسقاها ، وسقى أصحابه ، حتى رووا ،

---

(١٥) سورة التوبة الآية ٣٣ .

(١٦) الاستيعاب ج٢ ص٥٩٧ .

(١٧) الجامع الصحيح للبخاري باب « هجرة النبي صلى الله عليه وسلم » .

(١٨) هكذا في المطبوعة ويبدو أن الصحة هي : « عن الغنم » بدلا من « عند الغنم » (عبد القدوس الأنصاري) .

ثم شرب ، وحلب فيه ثانياً حتى ملأ الاناء ، فلما رجع أبو معبد سأل عن القصة ، فقالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت ، ووصفته له وصفاً جميلا ، قال : والله انى لأراه صاحب قريش الذي تطلبه (١٩) .

ولم يزل يسلك بهما الدليل ، حتى قدم بهما « قُباء » وهي احدى ضواحي المدينة وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين (٢٠) فكان مبدأ التاريخ الاسلامي (٢١)

عظمــة الهجــرة

وهذه مقالة عن الهجرة النبوية كتبها : عبد الرحمن شكري الأديب المعروف بمصر تحت العنوان المتقدم :

يتخذ الناس من عبر الحوادث مثلا للكمال في الخلق وشعاراً يذكر بما ينبغي أن يسلكوه وما يجب التنزه عنه من عمل أو قول ، ويكون لهم كاللواء يجمعون أمرهم حوله ، وكالحكمة يسترشدون بهداها ورشدها ، وكالحداء للركب يعينهم في قافلة الحياة ، وكالرمز يرجعون الى مدلوله في كل أمر حازب ، وكالعماد يعتمدون على قوته وعونه ، وكالامام يأتمون به .

وقد لا يستطيع المرء في كل حال من أحوال الحياة أن يزايل شعاره ، فقد تخونه نفسه أو تخونه الحوادث فيسلك مسلكاً لا يشاكل شعاره ، ولكن المرء بخير اذا لم يمزق شعاره يأساً من أجل عجز عارض لا يلبث أن يزول ، والمرء بخير أيضاً مهما تعددت سقطاته عن شعاره

---

(١٩) زاد المعاد ج٢ ص٣٠٩ .
(٢٠) الجامع الصحيح للبخاري ، باب « هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة » .
(٢١) راجع كتاب السيرة النبوية لأبي الحسن الحَسَنِي النَدوي ص١٢٥ ـ ١٣١ ط. دار الشروق

ومثله ما دام له مثل يأتم به في فعله وقوله ، واذا كان اتباعُه له في القول أكثر من اتباعه له في الفعل ، فهذا أيضاً خير من أن لا يكون له مثل يقدسه ، وله في نفسه أثر قل أو كثر .

وفي الهجرة النبوية لنا مثل وشعار ورمز اذا اعتبرنا بأسبابها وحوادثها ، وهو رمز ذو معنيين : معنى فيما ينبغي أن نتجنبه من مشابهة المشركين في اضطهاد الحق والعقيدة النفسية والفكرة التى تنبعث منها ، ومعنى فيما ينبغي أن نتخلق به من الائتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، في ابائه مزايلة الحق وصونه ، وفي نصرته بالرغم من اضطهاد وضيق ، وفي الاعتماد على الله في الشدة .

ولكل من المعنيين في الحياة شواهد وأمثلة وأمور تستدعى ذكرى الهجرة النبوية وذكرى حوادثها الجليلة .

ولو استطعنا أن نذكرها في كل أمر من أمور الحياة كان ذكرها خيراً من ذكرها في تاريخ واحد ُمعيَّن ، على ما في ذكرها في هذا التاريخ الواحد المعين من خير وفضل وحمد .

أيّ الناس لا يضطهد الحق في أمور كثيرة من الأمور اليومية اذا كان في اضطهاده اياه كسباً ورزقاً ، أو ثناء وحمداً ، أو راحة ودعة ، أو ارضاء عزيز ، أو زلفى لدى كبير مسيطر محكم عليه ، وحتى عند تخيل نيل الكسب غير المحقق نيله ، وعند الأمل في الزلفى التي قد تخيب ، يضطهد الناس الحق في أمور الحياة ، وروحهم روح المشركين ولفظهم لفظ المؤمنين . ثم هم قد يعدمون حتى لفظ المؤمنين فلا يكون لهم من الايمان الا اسمه . هؤلاء لم يتعظوا بعظة الهجرة ، ولم يتنزهوا عن الروح التي اضطهد المشركون بها النبي صلى الله عليه وسلم . وأمثال هؤلاء لا ينتفعون باحياء ذكرى الهجرة النبوية مهما اشتغلت أبدانهم باحيائها من غير أن تشتغل قلوبهم بعظتها ، ومن غير أن تتنزه نفوسهم عن مشابهة المشركين في اضطهاد الحق .

يقول المسيحيون : ان كل من يضطهد الحق في أمر من أمور الحياة يضطهد عيسى عليه السلام ، ويعين أعداءه عليه ، ويعادي روح الحق الذي جاء به ، ونحن نقول مثل هذا القول عند ذكرى الهجرة النبوية وهي ذكرى اضطهاد المشركين للحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فكل من يضطهد الحق في أمر من أمور الحياة يضطهد روح الحق الذي جاء به النبي الكريم سواء أكان اضطهاد الحق في أمر من أمور الحياة طمعاً في مغنم أو في دعة أو صداقة أو زلفى .

●—●—●

وخير شعائر الدين ومواسمه وأعياده وذكرياته وتواريخه الجليلة مثل تاريخ الهجرة هو في أن تحول بين المرء وبين عادته في قلب الفروض الخلقية الى مسميات يحسب ترددها على لسانه عقيدة وايماناً ، وما هو بايمان اذا كان لا يحتذيها ، واذا كان يشارك المشركين ويشابههم في اضطهاد الحق طمعاً في مغنم ، أو دعة أو صداقة أو زلفى ، فيعادي الصدق في القول والعمل والعدل فيهما أيضاً ، ويعادي الوفاء ومكارم الأخلاق ، وهو اذا عاداها كان معادياً للحق الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو المعنى الأول الذى نعتبره في احياء ذكرى الهجرة النبوية ، والمعنى الثاني متصل به وهو قوة وعماد نصر ، وهو الاعتماد على الله كما في الآية الكريمة التي وردت في حديث الهجرة : (ان الله مَعَنا) .

●—●—●

كنت في بعض الأحايين أزور صديقاً لي من عادته اذا اتخذ شعاراً أن يكتبه في لوح كبير ويضعه أمامه ويذكر نفسه به ، وكنت أرى على جدران منزله هذه الآية الكريمة مكتوبة بخط جميل في لوح كبير ، وكان كلما دهمه أمر وكرثه خطب ، وأحس أنه لا يكاد يقوى على احتماله ينظر الى هذه الآية الكريمة فيقوى بها على المصائب ، وكانت له عوناً كبيراً في الحياة ، وهذا من فضل احياء ذكرى الهجرة النبوية ، ومن فضل الائتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وطوبى لمن يستطيع

مهما نالت منه المصائب أن يقول : (ان الله مَعَنا) ، وطوبى لمن رَوَّضَ نفسه على الحق والعدل والصدق في القول والعمل ، وتنزه عن روح الاشراك ومعناه كما يتنزه عن لفظه واسمه ، وجعل عظات الهجرة شعاراً له في كل أمر من أمور الحياة ، بل طوبى للانسانية لو أن كل انسان أخذ بروح من تلك العظات ولم يجعل الغيرة على الحق والعدل حبائل كسب لا حقيقة لها في نفسه ، ولم يجعل الفروض الخُلُقيَّة مسميات يتباهى بترديدها . لقد حدثتُ نفسي فقلت : ماذا كان يكون لو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رجع الى هذه الحياة الدنيا كي يرى روح الحق الذى جاء به ، ولكي يقيم الحجة على الناس ؟ هب أنه لم يذكر لهم اسمه وشاء أن يعرف كيف يلقون الحق في شخصه من غير أن يُعَرِّفَهُم بنفسه . انهم كانوا يرون رجلا دأبه الحق والصدق والقصد والعدل في القول والعمل ، وانهم كانوا يرون رجلا يطلب منهم كل هذه الصفات في أمور حياتهم وهو مطلب يثقل على نفوس الناس وهم دنيويون يريدون من الصفات ما شابهها في المظهر وخالفها في الحقيقة ، ويريدون المكسب والجاه من أي وجه وبأية وسيلة ، فماذا كانوا يصنعون لو أنهم لم يعرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى يريد منهم روح الحق ؟.

أكبر الظن أن مأساة اضطهاد الأولين له كانت تتجدد ، وأكبر الظن أننا كنا نرى هجرة ثانية مثل الهجرة الأولى ، ولكنها ليست على التخصيص من مكة الى يثرب (٢٢) .

الهجرة الى يثرب

وكتب محمد جميل بيهم عن الهجرة المحمدية كلمة تحت العنوان المذكور فقال :

(٢٢) مجلة الرسالة العدد ١٤٥ ـ القاهرة يوم الاثنين ٢١ المحرم ١٣٥٥هـ الموافق ٣ ابريل سنة ١٩٣٦م الصفحة ٦٢٩ .

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخفى رسالته في البداية مدة ثلاث سنين (٢٣) ، ولكنه في السنة الرابعة جاهر بها وبقي عشرة أعوام يوافي المواسم كل عام ، يتبع الحجاج في منازلهم ، ويأتي اليهم في أسواق الموسم ، وهي عكاظ ومجنة ، وذو المجاز . وكانت العرب اذا أرادت الحج تقيم في سوق عكاظ شهر شوال ، ثم تجيء الى سوق مجنة ، فتقيم فيه عشرين يوماً ، ثم تجيء الى سوق ذي المجاز فتقيم فيه أيام الحج . وكان النبي صلى الله عليه وسلم خلال ذلك يطوف عليهم ويتلو عليهم القرآن داعياً الى الايمان والفضائل ، كان يتلو عليهم تارة : « قُل تَعَالوا أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم . أن لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً ، وبِالوَالدين احسَاناً وَلاَ تَقتُلُوا أولادكم مِن املاق نَحنُ نرزُقكُم وايَّاهُم ولا تَقرَبُوا الفَوَاحش ما ظَهَرَ منها وما بَطنَ ، ولا تقتُلُوا النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ الله الا بالحَق . ذَلكُم وَصَّاكُم بِهِ لعَلَّكم تَعقلُونَ » سورة الأنعام الآية ١٥١

وتارة أخرى كان يتلو عليهم : « انَّ اللهَ يأمُرُكم بالعَدل والاحسَان وايتاء ذي القُربى ، ويَنهى عَن الفحشاء والمُنكَر والبَغي يَعظُكُم لعَلَّكم تَذَكَّرُونَ » . ونحو ذلك من من الآيات . وكان يدعوهم أحياناً الى التخلي عن معارضته حتى يبلغ رسالة ربه . ولكنه كان لا يجد منهم مؤيداً ولا متطوعاً لحمايته . ويعود ذلك الى صعوبة تخلي البشر عن أديانهم ، والى أن أبا لهب وأمثاله من المتعصبين للوثنية من قريش كانوا يتبعونه الى حيث يذهب مُسَفِّهينَ دعوته أمام القبائل ، ومتحرشين به ، حتى انهم كانوا لا يتورعون عن ايذائه .

ولكن الأمر اذا ضاق اتسع .. فبعد وفاة نصيره أبي طالب ، وموت زوجته التي كانت سلواه ، وهجرة أصحابه الى الحبشة ، ومقاطعة المشركين لأشياعه خرج على عادته يعرض دينه أيام موسم الحج . وبينما

(٢٣) كنت أُوثر أن يقول : « ثلاث سنوات » بدلا من قوله : « ثلاث سنين » .

هو عند العقبة(٢٤) لقي ستة من الخزرج من أهل مدينة يثرب ، فتعرض لهم وتلا عليهم القرآن . ولم يكن ذلك بدعة عند العرب لأنهم اعتادوا في هذه المواسم أن يعرض كل منهم ما عنده ، فيصغون اليه كما يفعل الآن الانكليز في كبريات الحدائق العامة وفي مدن الاستجمام ، وقد شاهدت بنفسي أمثلة على ذلك ولا سيما في شواطيء بلاكبول على المحيط الأطلسي . فهذا يدعو للديمقراطية ، وذاك يدعو للشيوعية ، وذاك 'يسَفِّه' الحروب وهلم جَرّاً .

ولما كان الخزرج وسائر المشركين في يثرب متأهلين لقبول التدين بغير وثنيتهم نظراً لاختلاطهم فيها وفيما حولها باليهود أصحاب شريعة سماوية ، تجاوب هؤلاء مع محمد ، وأفشوا بين أهلهم خبره حتى تندر به هؤلاء ، ولم تبق دار في مدينتهم الا وفيها ذكره .

وفي العام التالى جاء ١٢ رجلا من يثرب الى الحج فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم . فلما رجع هؤلاء الى أهلهم شرعوا يصفون لهم النبي ودينه و'يسمِعُونَهم قرآنه ، فأسلم فريق منهم . وكان لفصاحة القرآن تأثير على اقبالهم على الاسلام ، فضلا عما فيه من الأحكام والدعوة الى مكارم الأخلاق .

ولما دخل الموسم الذي يصادف سنة ١٣ من النبوة (٦٢٢م) وفد للحج في مكة أكبر عدد من مسلمي المدينة : أي ٧٣ رجلا وامرأتان . ودعوا الرسول الى الاجتماع به سراً في العقبة ، فجاءهم ومعه عمه العباس ، وكان لا يزال على دين قومه فعاهدوه على حمايته وتأييده ان هو نزل في رحابهم .. ثم انصرفوا راجعين . وعقب هذا الاجتماع أمر محمد المسلمين بالهجرة الى يثرب فخرجوا أرسالا سراً ، الا عمر بن الخطاب فأظهر هجرته ولكن لم يتعرض له أحد .

---

(٢٤) هي غير عقبة الأردن .. تبعد عن مكة ١٥ كيلو متراً تقريباً .

ولما كانوا يدركون يثرب كان المسلمون فيها الذين لُقِّبُوا بالأنصار ، ينزلونهم دورهم ويواسونهم ويرحبون بهم .

ولمَّا علم كفار قريش بهذه الهجرة ثار غضبهم ، ولا سيما لأنهم توقعوا يوماً يثأر فيه محمد منهم بأنصاره الجدد . فاجتمعوا في دار النَّدوة حيث قرروا ارسال خمسة من الأشداء ، كل واحد من قبيلة للفتك به . فيعز بهذا على بني هاشم أن يقوموا بمواجهة كافة القبائل. ولم يَخفَ على النبي تآمُرهم ، فأمر علياً أن يرقد على فراشه ، ويتشح برده الأخضر ، ليتوهموا أن النبي نائم ، وليتخلف عَلي لِيُؤدي ما كان لدى النبي من الودائع الى أصحابها . أما الرسول فقد خرج مع أبي بكر واختفيا في غار بجبل ثور على مقربة من مكة ، ثم خرجا منه بعد ثلاثة أيام وولَّيَا وجهيهما نحو يثرب . وما أشَدَّ ما كان غضبُ المتآمرين على محمد وسخطهم ، لما تحققوا أن الراقد على فراشه هو علي ! فما تركوا مكاناً بمكة الا فتشوه ، ولا طريقاً ليثرب الا افتقدوه ، ولكن الله اذا أراد أمراً يسر له أسبابه ، فنجا النبي من أذاهم ، ودخل يثرب وسط ترحاب أنصاره فيها منقطع النظير . وبلغ التنافس بينهم على استضافة المهاجرين حد الاقتراع . وهناك في يثرب التى أطلق عليها فيما بعد اسم المدينة ، انتقل الاسلام ، من دور الدعوة بالحسنى ، الى دور الدعوة المصحوبة بالمقاومة والردع . انتقل من الرفق الى المجابهة (٢٥) .

الهجرة

وفي كلمة ، بالعنوان المتقدم وردت في كتاب «دائرة معارف الشباب» وَضع فاطمة محجوب المفتشة الأولى للغة الانكليزية بوزارة التربية والتعليم بمصر كتبت ما نصه :

---

(٢٥) كتاب دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل لمحمد جميل بيهم . من الصفحة ٩١ الى الصفحة ٩٥ طبع دار الشروق بمصر .

الهجرة : اسم للخروج من أرض الى أخرى ، وهي من الهجر بمعنى الترك ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .. ثم غلب استعمالها على هذا الحادث التاريخي العظيم الذي غَيَّرَ التاريخ ، وهو انتقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الذين آمنوا به من مكة ، مهبط الوحي ، لأول مرة ، الى المدينة ، مأوى الأنصار .

فقد حدث أن علمت قريش أن أهل المدينة بايعوا النبيّ محمداً صلى الله عليه وسلم على حرب العرب والعجم ، وأنه عزم على الخروج اليهم ، فخافوا أن يُؤلِبهُم عليهم ، ويغزوهم في دارهم . واجتمع رؤساؤهم وقادةُ أمرهم في دار الندوة ، للتشاور فيما يتخذونه من وسائل القضاء على محمد وصحبه ، واتفقوا في نهاية الأمر على أن يشترك في قتله من كل قبيلة شاب فيرقبه الجميع أمام داره ، حتى اذا خرج منها ضربوه ضربة رَجُل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها ، ويذهب محمد بالدِّيَة وأطلع الله رسوله على ما بَيَّتُوه له من شر ، فخرج النبيُّ مهاجراً الى المدينة سِراً ، وفي صحبته أبو بكر الصديق ، فوصلا اليها يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم ، وهو يوافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢ من مولد عيسى عليه السلام .

وقد كانت الهجرة حدثاً تاريخياً خطيراً فهي لم تكن مجرد هجرة من بلد الى بلد ، وانما عظمتها ومواضع العبرة والتقدير فيها في الحقائق التالية :

١ ــ الظروف والملابسات التي أحاطت بها ، فقد تمت من غير ارادة قريش ، وعلى غير رغبتها ، لأنها كانت تريد بالاسلام شراً ، وبمحمد فتكاً ، فحالت الهجرة بينها وبين ما تريد .

٢ ــ تمت الهجرة في الليلة التي عَقَدَ المشركون العزم فيها على

قتل محمد والخلاص منه الى الأبد ، كما تَمَّت والمشركون حول داره يترقبونه ليقتلوه .

٣ ــ الذين خرجوا يجرون وراء محمد ليعودوا به الى مكة ، كي ينفذوا فيه ما اتفقوا عليه من ازهاق روحه ، لحقوا به فعلا ورآهم ولم يروه(**) ، ثم عادوا أدراجهم خاسرين(٢٦) .

٤ ــ كانت المرحلة الفاصلة للجولة الأولى بين الاسلام وخصومه ، والنصر الذي أحرزوه في معركة الصراع الأول العنيف ، بينه وبين قريش الذي دام ثلاثة عشر عاماً بين قوتين غير متكافئتين على الاطلاق: قوة قريش بامكانياتها الهائلة : امكانياتها المادية والعددية ، وامكانياتها الهائلة في السلطان والبطش والقوة والنفوذ .. وقوة المسلمين ولم يكن لهم من سلاح يجابهون به كل هذا ، سوى الايمان العميق بالدعوة الجديدة ورسالتها ، والعزيمة الصادقة لتحديد أهدافها .

٥ ــ استأنف الاسلام بعد الهجرة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة في جو من الطمأنينة ، وبين أنصار ُخلَّص ، أحفَظَ للدعوة وأغيرَ عليها ممن نزلت بينهم في بادىء الأمر في موطنها الأصليّ الذين كانوا يتربصون بها الدوائر لكي يقضوا على الرسول وأصحابه .

٦ ــ كانت الهجرة فيصلا بين عهدين : عهد ظلم واضطهاد وعدوان ، وعهد جديد للمقاومة ورد هذا العدوان ، وكانت بداية عهد الاستقرار والاطمئنان في حياة الاسلام ، فقبلها كان المسلمون لا يقدرون على رد عدوان تنزله بهم قريش ، لانه لم يكن لديهم من الامكانيات ما يؤهلهم للوقوف أمامها موقف الخصم ، للخصم ، والنِدّ للنِدِ ، فتحملوا أنواع ايذائها صابرين . أما بعد الهجرة ، فقد

---

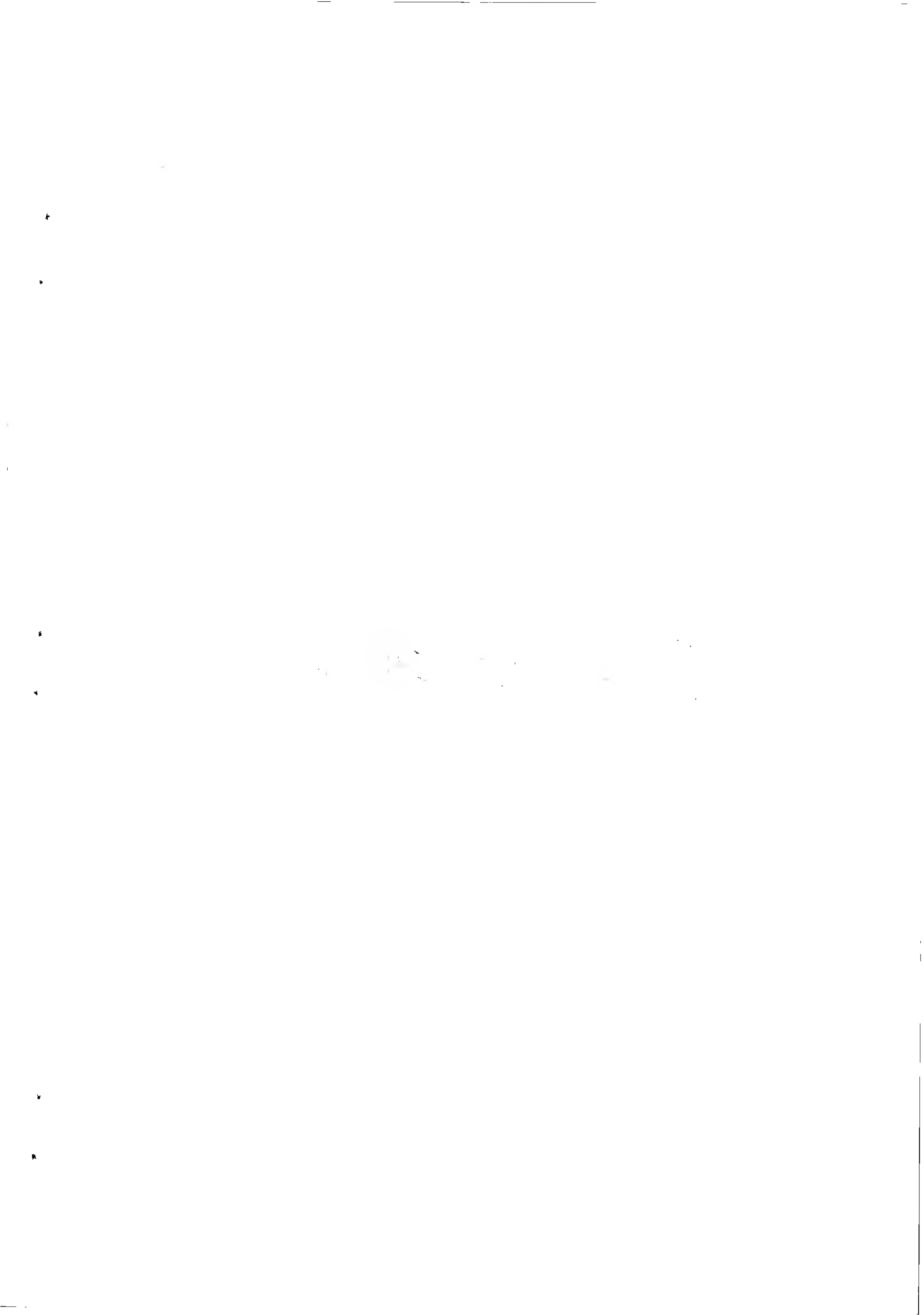
(٢٦) سراقة بن جعشم رآه النبي صلى الله عليه وسلم ولحق به أو كاد ولكنه أخفق في تحقيق مطلبه كما مر بنا وأسلم وحسن اسلامه بعدما أخفى عن قريش نبا رؤيته للنبي وصاحبه .

(★★) الثابت أنه رآهم يعلم ذلك بمراجعة قصاة تاريخ الهجرة النبوية . كتبه المؤلف : عبد القدوس الأنصاري .

استقر بهم المقام ، وبدأوا يكونون جيشهم ، ويقيمون دولتهم ، ويضعون اللبنة الأولى في الدولة الاسلامية الكبرى ، التي امتد ظلها في أقل من قرن ، من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي . ومن أجل هذا كانت الهجرة ، وستظل أثيرة عند المسلمين ، عزيزة عليهم . ومن أجل ذلك عندما تشاور المسلمون السابقون مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، لتحقيق رغبته في اختيار حادث هام في حياة الاسلام ، وفي حياة المسلمين ، للتأريخ به ، لم يختاروا غير حادث الهجرة . ويشير الى أسباب الهجرة ويبين نتائجها قول الله عز وجل خطاباً للمؤمنين : « واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » . كذلك سجل الله تعالى حادث الهجرة في آيات أخرى منها : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .. « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) (٢٧) .

(٢٧) كتاب دائرة معارف الشباب من ص١٠٦٨ الى ص١٠٦٩ نشر دار النهضة العربية بمصر .

الفهارس العامة



فهرس فهارس كتاب

طريق الهجرة النبوية

صفحة

فهـرس الآيات القرآنيـة

صفحة

فهــرس الأحاديث النبــوية

صفحة

صفحة

فهـرس الأعـلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

فهـــرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس

نثر الهجـرة

فهرس الخرائط والصور

فهـــرس المراجـــع

القرآن الــكريم

تفسير ابن كثير

صحيح البخاري

ســنن الترمذي

مسند الامام أحمد بن حنبل

سيرة ابن اسحاق

سيرة ابن هشام

الدرر في اختصار المغازى والسير – **للحافظ** أبي عمر بن عبد البر

الاستيعاب – للحافظ ابن عبد البر

الاصابة في تمييز أسماء الصحابة – **للحافظ ابن حجر العسقلاني**

السيرة النبوية – لاسماعيل بن كثير « أبي الفداء »

الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام – لعبد الرحمن **السهيلي**

هوامش على الروض الانف – لعبد الرحمن الوكيل

الطبقات الكبرى – لمحمد بن سعد

تاريخ الطبري – لأبي جعفر الطـبري

معجم ما استعجم – للبكري

ديوان حسان بن ثابت

معجم البلدان – لياقوت الحموي

معجم متن اللغة – لأحمد رضا

المعجم الوسيط – لمجمع اللغة العربية بمصر

صفة جزيرة العرب ـ للهمداني ... ...

لسان العرب ـ لابن منظور الأنصاري ... ...

تاريخ ابن خلدون ـ لابن خلدون ... ...

الكامل في التاريخ ـ لعلي بن أبي الكرم (ابن الاثير) ... ...

البداية والنهاية ـ لابن كثير ... ...

رحلة ابن جبير ... ...

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ـ لابراهيم الحربي ... ...

الفهارس العامة لكتاب المناسك ـ لحمد الجاسر ... ...

رسائل من عاتق بن غيث البلادي ... ...

وفاء الوفا ـ للسمهودي ... ...

تاريخ مدينة جدة ـ لعبد القدوس الأنصاري ... ...

بنو سليم ـ لعبد القدوس الأنصاري ... ...

آثار المدينة المنورة ـ لعبد القدوس الأنصاري ... ...

تاريخ العين العزيزية ـ لعبد القدوس الأنصاري ... ...

مجلة العرب ـ لصاحبها : حمد الجاسر ... ...

مجلة المنهل ـ لصاحبها عبد القدوس الأنصاري ... ...

التوفيقات الالهامية في مقابلة التواريخ الهجرية ، بالسنين الافرنكية والقبطية
ـ للواء محمد مختار باشا ... ...

تحقيقات على كتاب حياة سيد العرب ـ تأليف حسين عبد الله باسلامة ـ لأحد علماء
الحجاز ... ...

ديوان الملحمة الشعرية التاريخية ، في سرد مآثر وبطولات محمد صلوات الله عليه
ـ للمقدم جميل ذبيان ... ...

ديوان مجد الاسلام ـ لأحمد محرم ... ...

ديوان القلائد ـ لمحمد بن علي السنوسي ... ...

ظلال الأيام ـ ديوان شعر ـ لأنور العطار ... ...

الحديقة ـ لمحب الدين الخطيب ... ...

كتاب بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ـ المجلد الأول ـ اصدار جامعة الملك عبد العزيز بجدة ... ...

مجلة الرسالة المصرية ـ لصاحبها أحمد حسن الزيات

مجلة رابطة العالم الاسلامي ـ اصدار رابطة العالم الاسلامي ... ...

العروض الواضح ـ الدكتور حمدان حقي ... ...

نوابغ الكلم ـ لهاشم محمد سعيد دفتردار ... ...

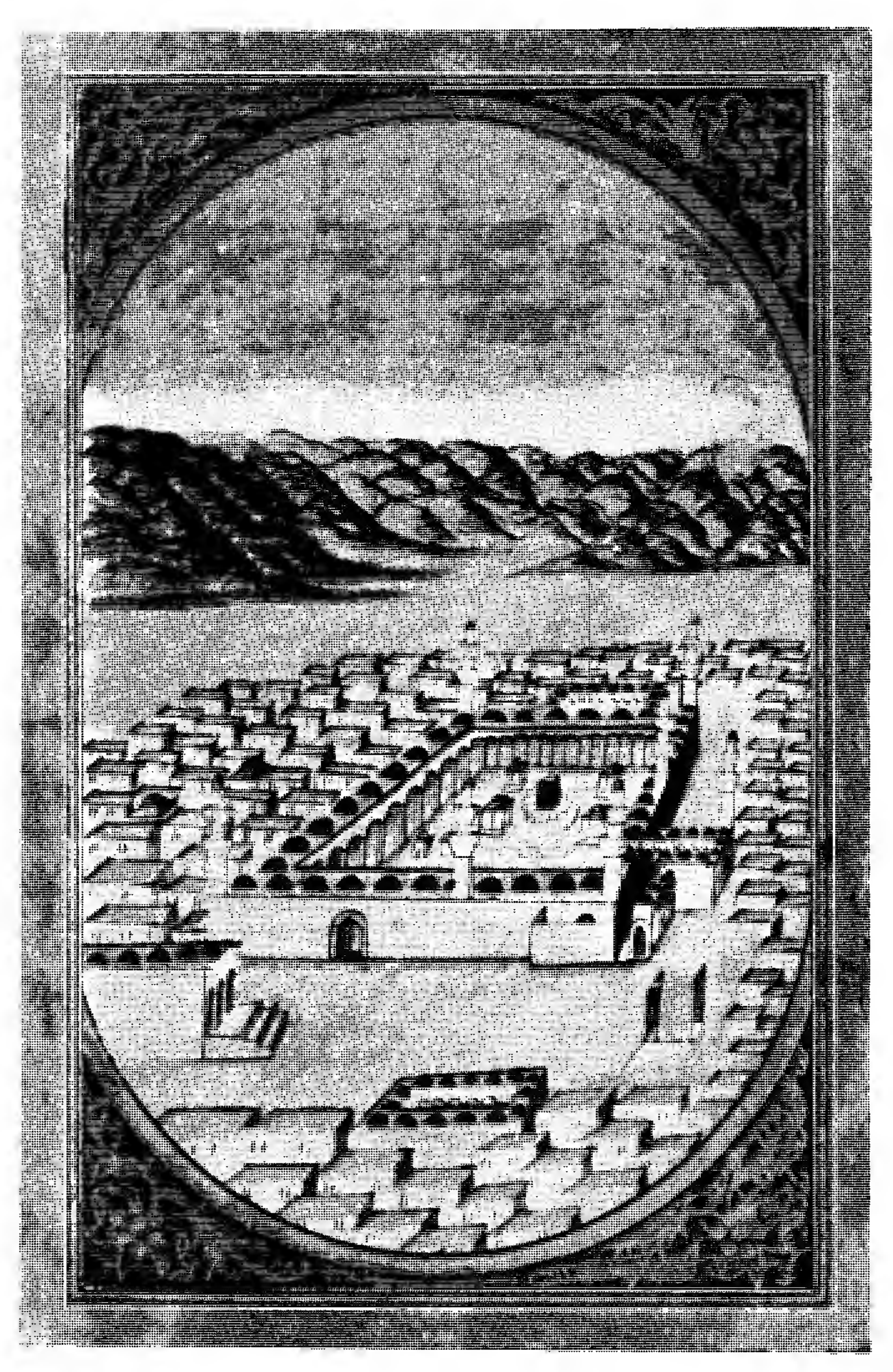
كتاب دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل ـ لمحمد جميل بيهم ... ...

كتاب دائرة معارف الشباب ـ لفاطمة محجوب ... ...

فهـرس موضـوعات الكتاب

تصويبـــات

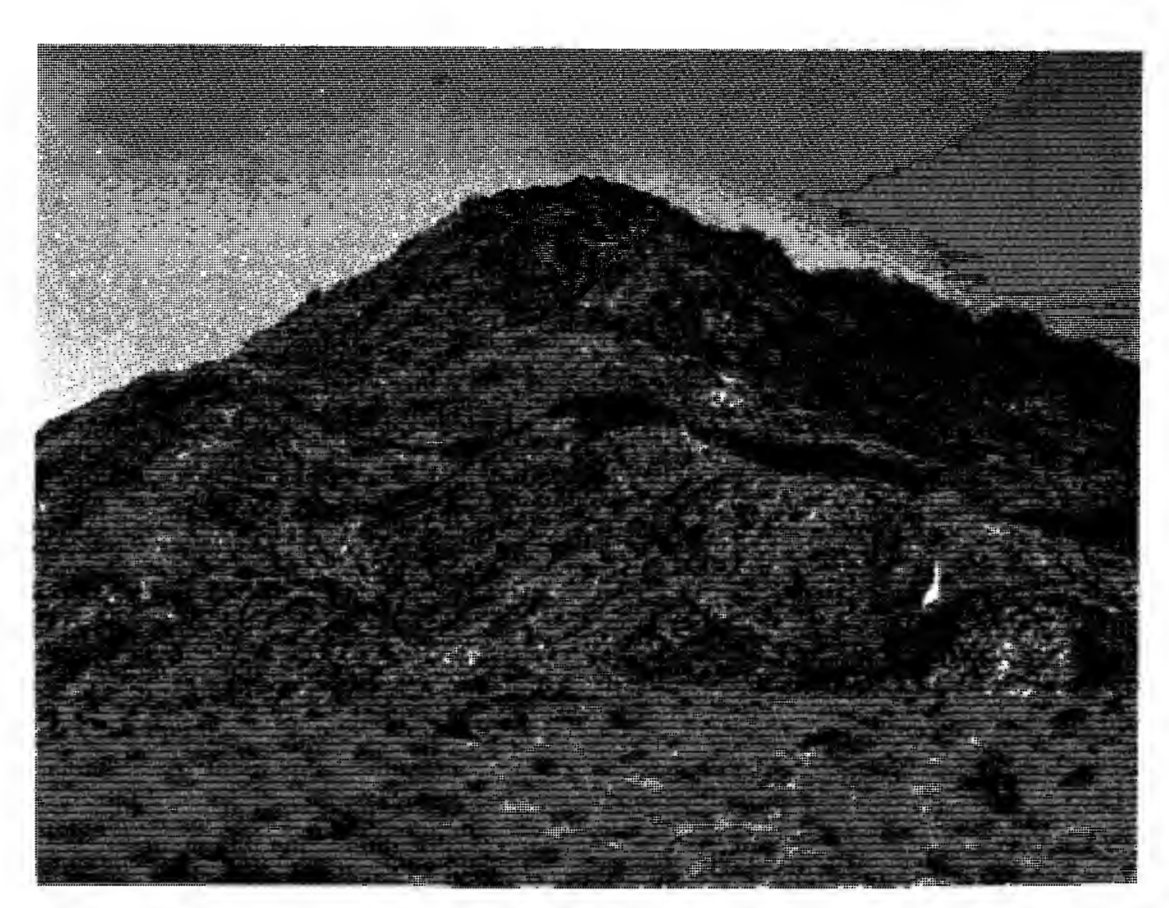
الغلط	التصويب	صفحة	سطر
يأصد	يقصد	٤٥	١٨
أوفى بن مزالة الغبرى	أوفى بن موله التميمي العنبري : الاصـــابة ج ١ ص٨٨ و٨٩ والاستيعاب ج١ ص١٢٣	٥٣	٢٥، ٢٦
صقر	صغر	٤٨	١٣
عَـمَى	عَـمِّى	٥٠	٢٢
تأليف عبد الله باسلامة	تأليف حسين عبد الله باسلامة	٧٥	١٦و١٧
بن رئم	بطن رئم	٨٦	٢١
الرائعة ــ الى آخر السطر ــ	مكرر غلطاً مطبعياً	١٣٢	١٥
(٢٧) المؤلف : كنت أوثر ــ الى آخر السطر ــ كله مكرر في هامش الصفحة كله ملغي		**١٤٧**	**هامش الصفحة باسفلها**
حائما	جائما	١٤٩	١٠
عليُّ الحُسنى	عليُّ الحسنيُّ	١٦٣	١٨
لأبي الحسن الحسنى الندوى	لأبي الحسن على الحسنى الندوى	١٦٩	**آخر سطر بهامش نفس الصفحة**
راهم	ورآهم	١٦٧	١٣
بمراجعة قضاه تاريخ	بمراجعة مصادر تاريخ	١٧٧	**آخر سطر بهامش نفس الصفحة**



مكة المكرمة وبداخلها المسجد الحرام ..رسمت هذه الصورة باليد في أول القرن الثـاني عشر الهجري واسم راسمها : أحمد النائلي من سـكان غلطة سـنة ١٢٠٤ هـ وأصـل الصـورة في المكتبة الظاهرية بدمشق .



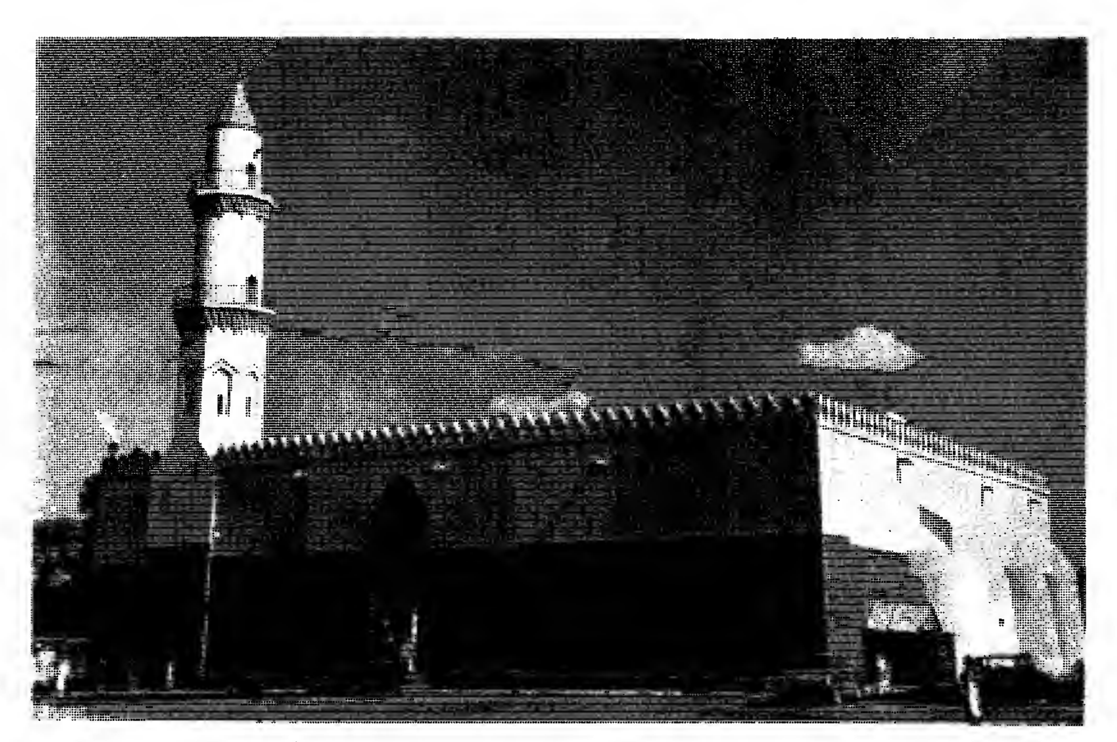
مسجد أبي بكر الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الهجرة من مكة الى المدينة .. وبجانب مسجده داره التي بدأت منها الهجرة .. الى المدينة .



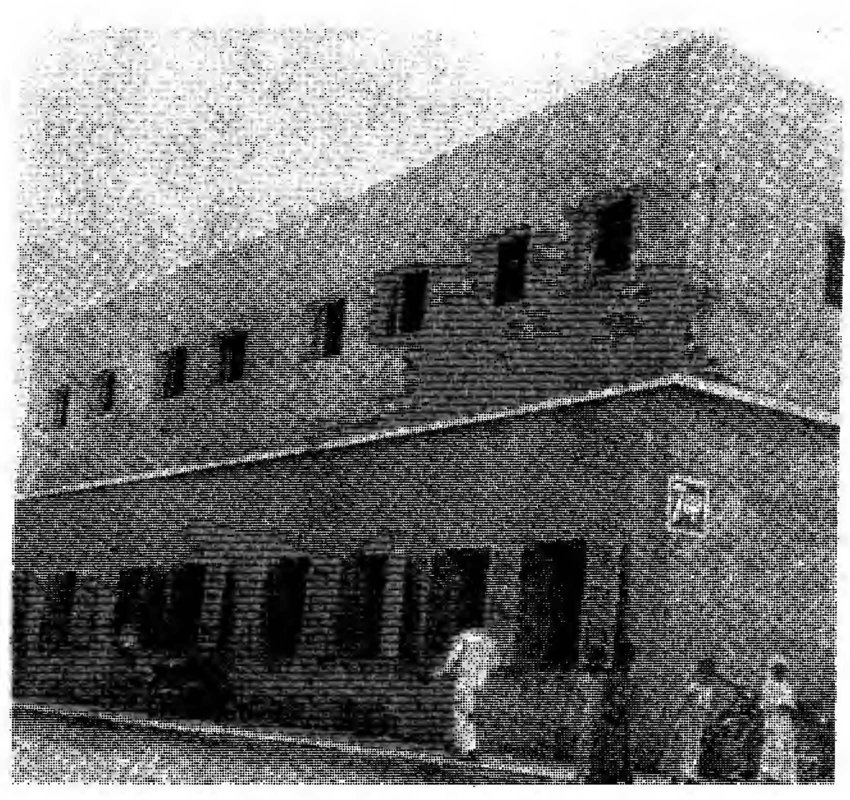
جبـل ثور .. جنـوب شرقي مكة



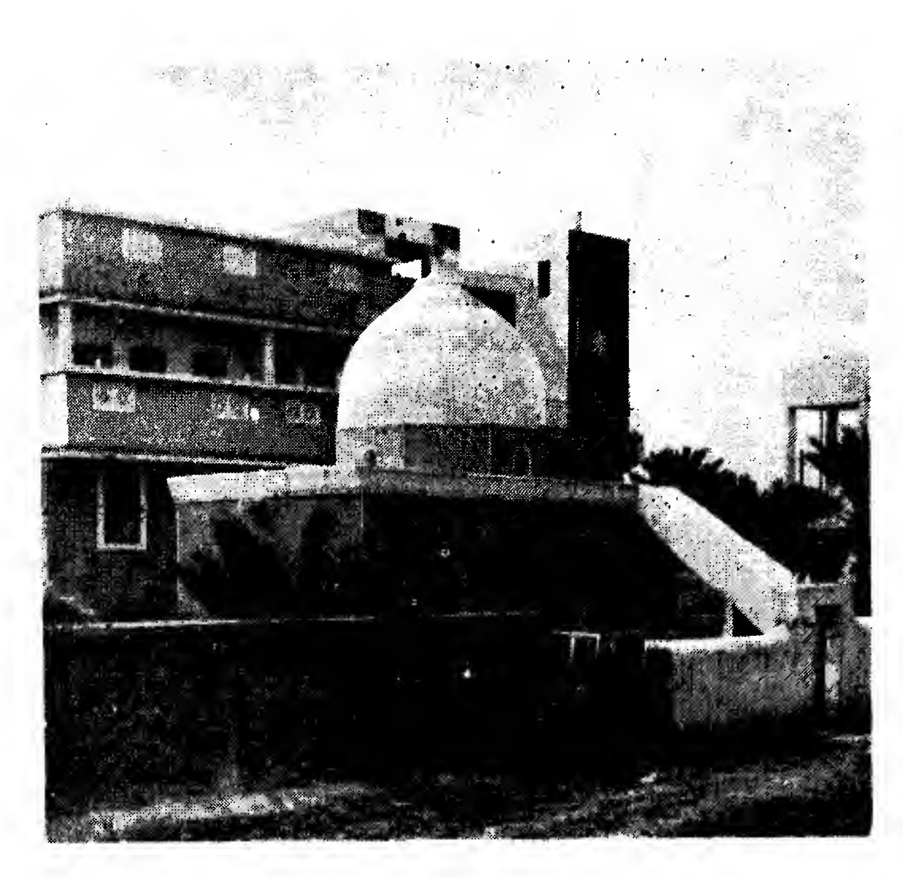
الصخرة عنق الجمل



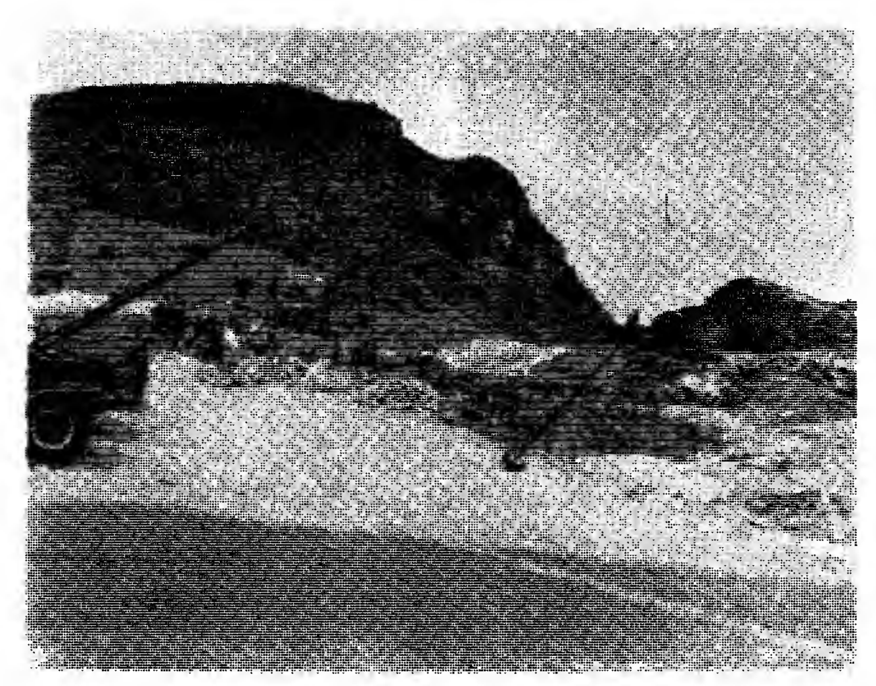
مسجد قباء .. بضاحية المدينة الجنوبية بعد ترميمه في العهد السعودي الحاضر



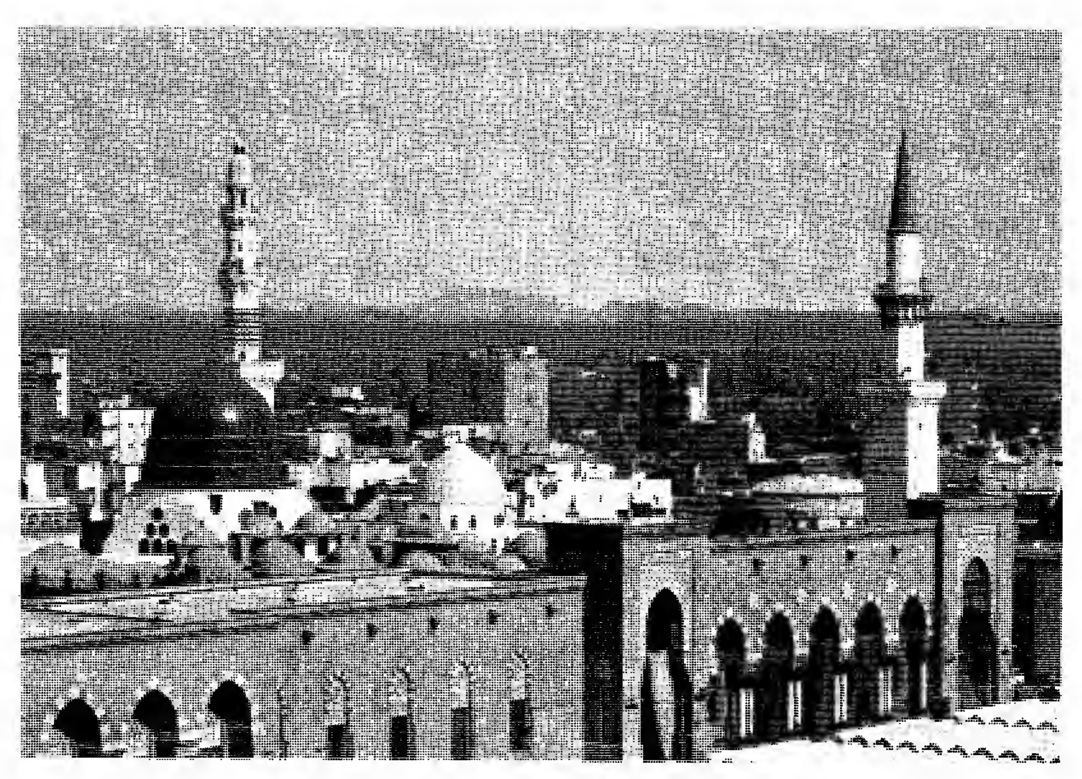
مدرسة قباء الابتدائية في مكان داري كلثوم بن الهدم وسعد بن خيثمة الأنصاريين



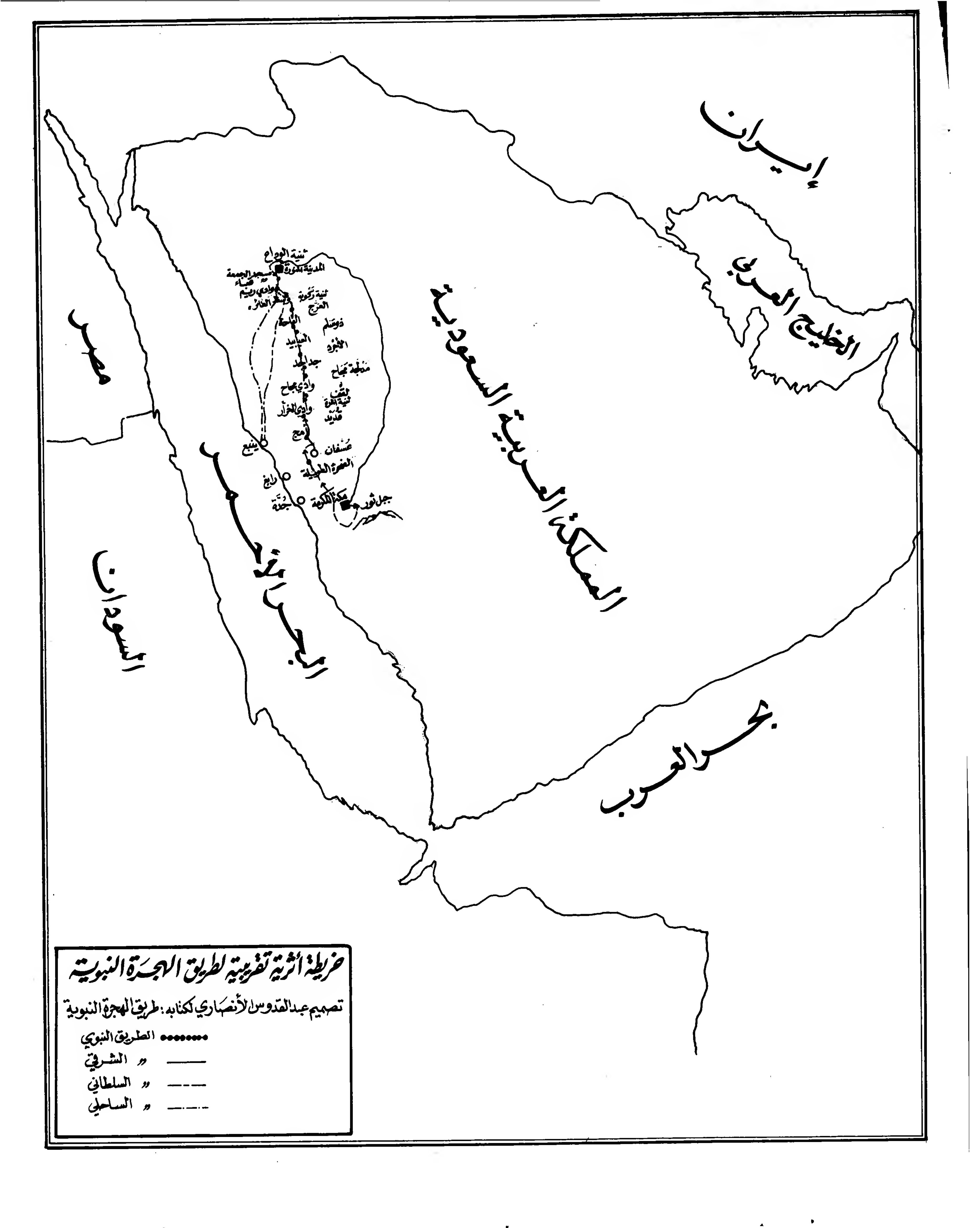
مسجد الجمعة



ثنية الوداع .. ويرى بجانبها الغربيّ شطر من جبل سلع وبجانبها الشرقيّ القطعة المفصولة من جبل سلع وتعرف باسم « القُرَين » تصغير قَرن ..



المدينة المنورة .. وفي وسطها المسجد النبوي ..



إيران
الخليج العربي
المملكة العربية السعودية
مصر
السودان
البحر الأحمر
بحر العرب
ثنية الوداع
المدينة المنورة
مسجد الجمعة
قباء
وادي ريم
العرج
ذو سلم
العبابيد
الأجرد
مدلجة مجاح
وادي مجاح
وادي الخرار
ينبع
عسفان
رابغ
جدة
مكة المكرمة
جبل ثور
خريطة أثرية تقريبية لطريق الهجرة النبوية
تصميم عبدالقدوس الأنصاري لكتابه: طريق الهجرة النبوية
الطريق النبوي
" الشرقي
" السلطاني
" الساحلي